دراسات في التاريخ والآثار

(٥)

مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين
في العراق

مطبعة الرشاد - بغداد



بمناسبة احتفالات قطرنا بأعياد تموز الخالدة التي تتزامن مع
تحرير كل أرضنا الوطنية من دنس صهاينة طهران المجرمين
نتقدم الى فارس الأمة وباني نهضة العراق الشامخ الرئيس
القائد **صدام حسين** "حفظه الله ونصره"
بأسمى آيات الحب والولاء ليبقى العراق شامخاً وسداً منيعاً
للأمة العربية ونعاهدكم سيدي القائد ان نبقى جنود احمل
الراية ونسير خلف قيادتكم الحكيمة وحتى يتحقق النصر الحاسم بعون الله

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة فصلية تصدرها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق

هيئة التحرير

المراسلات : جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق
العراق / بغداد / ص٠ب (٢٧٠٨٩) شارع (١٤) رمضان

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص٠ب : (٢٧٠٨٩) بغداد ـ شارع ١٤ رمضان

مجلة دراسات في التاريخ والآثار ـ جمعية المؤرخين والآثاريين

ت : (٥٣٨١٣٠٤)

الاشتراكات السنوية في مجلة دراسات في التاريخ والآثار

الاشتراك السنوي

الجامعات والمؤسسات في العراق (٢٠) دينارا سنويا

أعضاء الجمعية (٥) دنانير سنويا

الافراد عموما (١٠) دنانير سنويا

تدفع الاشتراكات مقدما وكالاتي :

أ ـ صكوك لامر الجمعية

ب ـ نقدا لامر الجمعية

المحتويات

كلمة العــدد

يسعدنا ان نصــدر العــدد الخامس من مجلة « دراسات في التاريخ والآثار » مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق ، والتي يعبر من خلالها المؤرخين والاثاريين عن روح التاريخ العربي والذي يكشف عن دور الامــة القيادي والحضاري في التاريخ الانساني ، حيث ساهموا في كتابة هذا العدد الخامس كتابة أصيلة نابعة من ذات القيم والمبادىء العربية التي من خلالها وعبرها تاريخ الامة العربية المجيدة ، ونحن اذ نصدر هذا العدد الجديد من المجلة يحدونا الامل والتفاؤل في ان تساهم الجمعية مساهمة فاعلة في الدعوة المخلصة لاعادة كتابة تاريخ الامة وفق القيم والمبادىء التي صنع التاريخ في ظلالها ، ونتوجه الى المؤرخين والآثاريين من أجل المساهمة الجادة والفاعلة لاغنــاء المجلة ببحوثهم ودراساتهم حيث تعبر المجلة من خلالهم عن ذاتيــة التاريخ العربي ، وعن روحيته ، لنجعل منه سلاحا فاعلا في وجه أعداء مسيرة وطننا العزيز وامتنا العربية المجيدة ٠

والله ولي التوفيق

أ٠د٠ نزار الحديثي
رئيس التحرير

المعبد والزقورة : اثنان من ابرز السمات المعمارية في المدينة العراقية القديمة

د• فاضل عبدالواحد علي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لعل من أهم الشواهد الدالة على قدم واصالة حضارة بلاد وادي الرافدين حيث ان باستطاعة الباحث تتبع مراحل تطورها مرحلة بعد أخرى خلال العصور الزمنية المتعاقبة • ولعل من ابرز الامثلة التي يمكن ذكرها في هذا الصدد هو تعاقب مراحل الاستيطان في القطر بشكل مستمر ومتسلسل ابتداء من استيطان الكهوف الحجرية وانتهاء بظهور المدينة في بداية فجر التاريخ• وباستطاعة الباحث ان يميز ، في ضوء التنقيبات الاثرية ، مرحلتين رئيستين للاستيطان في العراق القديم • الاولى تشمل الاستيطان في المقرات المكشوفة ثم الاستيطان في القرى الفصلية الذي يمثل مرحلة الانتقال، من نهاية العصر الحجري الوسيط الى العصر الحجري الحديث • وخير مثال على مواقع الاستيطان الفصلية قرية زاوي جمي التي تقع على بعد ٤كم من كهف شانيدر والتي يرجع تاريخها الى حدود ٩٢٠٠ ق•م •

ويظهر من دراسة عظام الحيوانات المكتشفة في زاوي جمي ان انسان ذلك العصر بقي يعتمد في الاطوار القديمة من استيطان هذه القرية على صيد الحيوانات كالغزال والاغنام والماعز • ويبدو انه استطاع في الادوار الاخيرة من استيطان القرية تدجين الغنم في حين بقي الماعز وحشياً • ولا يعرف على وجه التحديد عما اذا كانت الادوات المنزلية كالرحى والمدقات

والمساحق قد استخدمت في حصد وطحن الحبوب البرية ام الحبوب التي زرعها الانسان نفسه •

اما المرحلة الثانيـة والتي يمكن تسميتها بمرحلة الاستقرار فهي تشمل المستوطنات الدائمية ، أي القرى الزراعية ابتداء من قرية جرمو في شمال القطر وانتهـاء بالعبيد في الجنوب • ففي قرية جرمو الواقعـة شرقي جمجمال والتي يعود تاريخها الى حدود ٦٧٥٠ق٠م تم الكشف عن بيوت سكنية مبنية بالطين واسسها من الحجارة • وقدر عدد بيوت القرية في حدود ٣٠ بيتا وسكانها بنحو ١٥٠ مستوطنا • وكان الشائع ان يدفن الميت في قبر يحفر تحت ارضيات بيوت السكن • وهناك دلائل على وجود طقوس الخصب الخاصة بالالهة الام اذ تم العثور على دمى تمثل نسوة حبالى دوات ارداف واثدية ممثلة •

واستمرت القرى بالتوسع في ممارسة الزراعة وفي التطور التدريجي في صناعة الفخار والأدوات الحجرية التي كانت تستعمل في مختلف شؤون الحياة اليومية خلال الادوار التي لحقت دور جرمو والتي حددها الاثاريون اعتمـادا على جملة خصائص حضاريه وسـموها نسبة الى أسماء المواقع الاثرية التي وجدت فيها اثارها المميزة لاول مرة وهي دور حسونه (الى الجنوب من الموصل) وسامراء ثم حلف (على الخابور) في شمال القطر • أما في الجنوب فيمثل دور العبيد ، نسبة الى تل بهذا الاسم الى الشمال الغربي من مدينة اور ، اقدم المستوطنات القروية في السهل الرسوبي (في حدود ٤٠٠٠ ق٠م) • وجدير بالذكر ان آثار دور العبيد لم تقتصر على جنوب القطر فقط بل انتشرت الى شماله أيضا كما يتضح ذلك من التنقيبات الأثرية التي اجريت في مواقع عديدة نخص بالذكر منها شبه كورا الى الشمال الشرقي من الموصل • والأهم من ذلك ان نهاية دور العبيد في

جنوبي القطر (في حدود ٣٥٠٠ ق٠م) كانت بداية لمرحلة جديدة من الاستيطان في العراق القديم تلك هي مرحلة ظهور المدينة ٠ اذ تم العثور في الجنوب على بقايا أشهد المدن التاريخية مثل اريدو ، الوركاء ، اور ، نفر ولكش فوق بقايا الكقرى الزراعية من دور العبيد مباشرة[١] ٠

وشهد القطر خلال دور الوركاء الذي تلا دور العبيد انتقالة جديدة في نمط الاستيطان تلك هي ظهور المدينة ٠ وهكذا بزغ فجر الحضارة في بلاد سومر متمثلا ظهور المدينة التي أصبحت تضم مرافق عديدة ومهمة كان من ابرزها المعبد ثم الزقورة في زمن لاحق ، بالاضافة الى قصر الحاكم أو الامير ومجموعات من البيوت السكنية للمواطنين وكانت معظم المدن تحيط بها أسوار حصينة لتوفير مزيد من أسباب الأمن والدفاع عن سكانها ٠ ففي عصر فجر السلالات مثلا كانت مدينة الوركاء يحيط بها سور بلغ محيطه تسعة كيلومترات وبلغ عدد سكانها ما يقرب من خمسين ألف نسمة[٢] ٠

ويجد الباحث في مقدمة ملحمة كلكامش الشهيرة وصفا لاسوار مدينة الوركاء وبعض مرافقها الدينية المقدسة مثل « معبد السماء » الخاص بالالهة انانا (عشتار) ٠ فنحن نقرأ في مستهل الملحمة ما نصه :

« لقد سلك (كلكامش) طرقاً بعيدة متقلبا ما بين التعب والراحة
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره
بنى أسوار الوركاء المحصنة
وحرم اي ـ انا المقدس والمعبد الطاهر
فانظر الى سوره الخارجي تجد افاريزه تتألق كالنحاس
وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء
وتلمس اسكفته الحجرية الموجودة منذ القدم

اقترب من اي ـ انا مسكن عشتار
الذي لا يماثله صنع ملك من الآشين ولا انسان
اعلى فوق اسوار الوركاء
وامش عليها متأملا
تفحص اسس قواعدها وآجر بنائها
أفليس بناؤها من الاجر المفخور
وهلا وضع الحكماء السبعة اسسها ! »(٣)

ويصف شاعر آخر مدينة أكـد ، عاصمة الملك الشهير سرجون وحفيده توام ـ سين مصورا ما وصلت اليه من رقي وما كان عليه اهلها من تقدم حضاري •

يقول الشاعر السومري :

« في تلك الايام كانت مساكن أكد مملوءة ذهباً
بيوتها الساطعة اللامعة مملوءة فضة
والى مخازنها كان يحمل النحاس والرصاص وحجر اللازورد •••
عجائزها رهين سداد الرأي
وشيوخها وهبوا فصاحة اللسان
وشبابها عرفوا ببطش السلاح
وصغارها منحوا قلوبا مفعمة بالفرح
البلاد كلها تعيش في امان
والناس لم يعرفوا غير السعادة
وملكهم الراعي نرام ـ سين
يخطو كالشمس نحو عرش أكد المقدس

اجل ! لقد كانت اسوارها تطاول السماء كالجبال الشاهقة »[٤]

ومن العواصم الشهيرة التي بحوزتنا عن بنائها وتجديدها وثائق مسمارية مدينة كلخو (كالح اي نمرود) وهي واحدة من اربع عواصم آشورية مشهورة (آشور ، نينوى و دور شروكين) • وعن هذه العاصمة بالذات يتحدث الملك اشور ناصربال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق•م) الذي أعاد بناءها مجددا واتخذها عاصمة له وذلك من خلال نص اشوري مدون بالخط المسماري في مسلته التي اكتشفت في هذه العاصمة عام ١٩٥١ • وللنص أهمية كبيرة لانه يعكس درجة الرقي والرخاء الاقتصادي التي كانت تتمتع بها الامبراطورية الاشورية مما أدى الى انتشار حركة العمران واتساع المدن وازدهارها • فبعد مقدمة مستفيضة يذكر فيها الملك الاشوري منجزاته العسكرية يأتي على ذكر التفاصيل الخاصة ببناء العاصمة نمرود فيقول :

« عندما رعاني السيد العظيم اشور بانظاره وبانت للعيان قوتي بأمره المقدس ، انا اشور ناصربال ، الملك ذو القوة الممجدة ، انا ذو الدهاء الذي وهبني اياه الاله ايا ، ملك « العمق » المتمرس في الحكمة ، أخذت على عاتقي تجديد مدينة كلخو • فبعد ان ازلت الانقاض من ذلك التل القديم ، ابتدأت بالحفر وصولا الى مستوى الماء • ومن مستوى الماء حتى القمة كانت المسافة ١٢٠ صفا من الآجر • هنا اتمت قصرا من خشب البقس والتوت والارز والفستق والطرفاء والحور • اجل ! لقد كانت هناك ثمانية اجنحة لاقامتي وراحتي الملكية زينتها بطريقة مدهشة • لقد عززت بأشرطة من برونز الأبواب المصنوعة من خشب الارز والسرو والدفران (العرعر) والبقس والتوت ووضعتها في مداخل الغرف • واحطت (تلك الابواب) بمسامير من

البرونز ذات رؤوس كروية • ثم صورت على جدران (أجنحة القصر) بآجر ذي بريق معدني أزرق اللون امجادي البطولية التي حققتها عبر المرتفعات والسهول والبحار •••

وحفرت قناة من الزاب الأعلى قاطعة الجبل عند قمته وسميتها « فاتحة الخير » (Pati hegalli) • لقد سقيت المروج على صفاف نهر دجلة وزرعتها بجنائن من كل صنوف أشجار الفاكهة • وزرعت الكروم في ضواحيها وقدمت اجودها الى سيدي الاله اشور والى المعابد في سائر أنحاء بلادي ، وكرست تلك المدينة الى سيدي الاله آشور •••

في مدينة كالح ، المركز الحضاري لسيادتي ، شيدت معابد للالهة لم تكن موجودة من قبل ••• واقمت فيها مقاعد لسادتي الآلهة وزينتها بطريقة مدهشة وسقفتها بجذوع من خشب الارز وصنعت لها ابوابا عالية من الارز ثم عززتها بأشرطة من برونز ووضعتها في مداخل الغرف ، ثم اقمت تماثيل مقدسة من البرونز في مداخلها • اجل ! لقد جعلت تماثيل اصحاب الجلالة الالهة تسطع بالذهب الاحمر والاحجار الكريمة البراقة ، وقدمت لها حلية من ذهب وكثيرا مما غنمته يداي • ثم زينت بالذهب الاحمر وحجر اللازورد غرفة المصلى لسيدي الاله نورتا ووضعت الواحا من البرونز الى يمينه وشماله ووضعت اثنان متوحشة من الذهب عند عرشه •••

امرت ان يصنع تمثال لشخصي الملكي مماثل بالضبط لملامحي وان يوضع قبالة سيدي الاله نورتا • اما المدن التي أصابها الخراب في ايام ابائي فقد جعلتها مأهولة بالسكان ثانية اذ انزلت

فيها اعددا من الناس لا تحصى ... ولقد جمعت قطعانا من الثيران والاسود والنعام والحمر ذكورا واناثا وجعلتها تتكاثر . واضفت الى بلاد آشور مزيدا من الارض وجلبت لها مزيدا من السكان »(٥) .

بعد هذا الوصف ، الذي لم نقتبس من تفاصيله سوى مقاطع منتخبة ، يأتي الملك آشور ناصربال على ذكر الأعداد الهائلة من الذبائح وصنوف اللحوم والاطباق وأنواع المشروبات التي قدمها في حفل افتتاح عاصمته الجديدة كالح (نمرود) . فهو يذكر انه قدم عدة آلاف وعدة مئات من العجول المسمنة ، والخراف ، والنعاج ، الغزال ، الاوز ، الحمام ، وصنوف أخرى من الطيور والأسماك والبيض والخبز ، وعشرة آلاف مكيال من الجعة والخمر في قرب من الجلد . ويختتم آشور ناصربال وثيقته الشهيرة بقوله : « لعشرة أيام استضفت الحشود الغفيرة المبتهجة من كل البلدان سوية مع اهل مدينة كالح . لقد قدمت لهم الخمر وجعلتهم يستحمون ويتدهنون ثم اكرمتهم وارسلتهم الى بلدانهم بسلام وسرور » . وقد يظن ان في بعض من تلك الارقام التي ذكرها الملك الاشوري شيء من المبالغة ، لكن هذا الشك سرعان ما يتبدد عندما نعرف ان عدد الذين شملتهم الدعوة في تلك المناسبة بلغ ٦٩٥٧٤ شخصا منهم ١٦٠٠٠ شخصا من أهالي العاصمة كالح نفسها و ١٥٠٠ من موظفي القصر الملكي ، اما البقية وعددهم ٥٢٠٧٤ شخصا فكانوا ضيوفا من كافة المقاطعات والاقاليم الصديقة والتابعة للامبراطورية الاشورية .

وفي اية مدينة عراقية قديمة ، كان المعبد والزقورة يشكلان اثنين من ابرز المعالم المعمارية فيها وكان لهما أيضا أهمية خاصة وصفة مقدسة في المجتمع لانهما يرتبطان أساسا بالمعتقدات الدينية ، أي بعبادة الالهة

واقامة الطقوس والشعائر الخاصة بها وكذلك اقامة الاحتفالات الدينية مثل الاحتفال ببدء رأس السنة في الاول من شهر نيسان من كل عام وكان المعبد أيضا المكان المناسب لاقامة الاحتفال بتتويج الملك الجديد •

لقد كان المعبد (في الاكدية bitu « البيت » (في البداية عبارة غرفة صغيرة لا يتجاوز طول ضلعها ٥ر٢م كما يظهر ذلك من الاثار المكتشفة في الطبقة السابعة عشر في تل العبيد[٦] • ولكن سرعان ما تطور بناء المعبد وازدادت مساحته وتعددت مرافقه وتوسعت مهماته حتى صار يضم أصنافاً متعددة من الكهان والكاهنات ويمتلك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية • ويمكن القول بصورة عامة ان للمعبد في وادي الرافدين خصائص معمارية رئيسية يمكن ايجازها بالنقاط الاتية :

١ ـ اتجاه زواياه نحو الجهات الاربع •

٢ ـ وجود ما يعرف بالطلعات (Butlresses) والدخلات (Recemmes) في جدرانه وخاصة في الواجهة •

٣ ـ احتوائه على حجرة الهيكل التي يوضع فيها تمثال الاله والتي تعتبر اقدس مكان في المعبد ، وفي الغالب يوجد المذبح في هذه الحجرة أيضا •

٤ ـ وجود دكة للقرابين •

ويمكن القول بصورة عامة ان المعبد في بلاد وادي الرافدين يتكون من قسمين رئيسين الاول هو المعبد الارضي الذي نحن في صدده الآن ، والثاني المعبد العالي أي الزقورة (البرج) • ويتميز المعبد الارضي ، كما قلنا قبل قليل ، يكون جدرانه ، وخاصة الواجهة ، مزينة بالطلعات والدخلات وهي ظاهرة معمارية قديمة عرفت في معابد عصر العبيد وظلت ملازمة للمعبد في مختلف الادوار اللاحقة • وكان مدخل المعبد يؤدي

الى غرفة صغيرة يوصل من خلالها الى صحن المعبد ، وهو فناء واسع كان الناس يجتمعون فيه لاقامة الاحتفالات الدينية • وكان المرء يدخل من هذه الساحة الى غرفة تؤدي هي الاخرى الى حجرة الهيكل (Cella) المقدسة حيث يوجد المحراب وتمثال الاله الذي جرت العادة على وضعه على دكة في المحراب (Niche) • وفي حجرة الهيكل هذه يوجد أيضا دكة المذبح (Altar) التي تقدم عليها الأضاحي والقرابين للاله • وفي المعبد اجنحة وغرف ومرافق أخرى تستعمل لاقامة الكهان والكاهنات والمشرفين على ادارته ومخزن للادوات والاثاث الخاص به • مكان المعبد يضم مكتبة تحتوي على وثائق مما له علاقة بالحياة الدينية كالصلوات والأناشيد والقصص الخاصة بالخليقة والتكوين ، بالاضافة الى وثائق أخرى تمثل اهتمامات الكهنة الخاصة مثل النصوص اللغوية والأدبية والفلكية(٧) •

وقد أعطى الاقدمون عناية خاصة لتماثيل الالهة التي كانوا يصنعونها من الحجر أو الخشب والتي كانوا يزينونها بالذهب والفضة والاحجار الكريمة ومن ثم يضعونها في المحراب لعبادتها وتقديم الصلوات والقرابين لها • وجرت العادة ان تقام على التمثال قبل ان ينصب في المحراب طقوس دينية وتقرأ عليه تراتيل خاصة • ففي الليل ، وعلى ضوء المشاعل ، يأخذ الكهنة تمثال الاله الى ضفة النهر ثم يوضع على حصير باتجاه الشرق • ويبدأ الكهنة المختصون بتقديم القرابين له وبقراءة تراتيل خاصة بالمناسبة • ثم يوجه التمثال نحو الغرب وتجرى عليه طقوس اضافية أخرى • وفي الصباح يؤتى به لتقدم له القرابين عند بوابة المعبد ومن ثم يحمل الى الداخل ويوضع في مكانه المخصص في المحراب •

كان الاشراف على خدمة الالهة في معابدها وعلى اقامة الصلوات

والطقوس من واجبات مجموعة مختصة من الكهان والكاهنات وكان لكل واحد من هؤلاء لقب حسب المهمة التي يزاولها في المعبد • ولم تكن مهنة الكهنة مقصورة على الامور الدينية فقط بل كانت لهم مهام ثقافية وهي الاستزادة في المعـرفة واستنساخ التاليف الأدبيـة والدينية من وثائقهـا الاصلية القديمة ، وكانت لهم مهام تعليمية أيضا اذ كانوا يعلمون الاخرين فنون الخط المسماري وقواعد اللغـة • ومن المعروف انه كان للمعبـد ممتلكات واسعة تشمل الاراضي الزراعية وانه كان من بين الكهنة جماعة موكولة بالاشراف على الشؤون الاقتصادية للمعبد وعلى ما يرد اليه من مدخولات وفوائد على الفروض الممنوحة للأفراد ، وكذلك الاشراف على النفقات والمصروفات والاجور المدفوعـة للعاملين ممن يؤدون الخـدمات للمعبـد •

ويأتي في مقدمة كهنة المعبد الكاهن الاعظم (في السومرية **en**) وتوازيه في المرتبة الكاهنة العظمى • ويبدو ان منصب الكاهن الاعظم في العصر الشبيه بالكتابي (في حدود ٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق•م) كان مزيجا من السلطتين الدينية والدنيوية وان السلطة الدينية انفصلت فيما بعد بظهور الحاكم أو الامير (في السومرية) الذي صـار يحكـم دويلة المدينة السومرية • وكان للكاهن الاعظم جناح خاص في المعبد يسمى « كيبار » وقد قام ملوك بلاد وادي الرافدين بتكريس بناتهم لمنصب الكاهنة العظمى والخدمة في المعبد مثلما فعل سرجون الاكدي ونبوئيد • وجدير بالذكر ان ام سرجون الاكدي كانت كاهنـة عظمى • وكان ينظـر الى الكاهنة العظمى على انها زوجة للاله • ولذلك فالراجح انه لم يكن لها حق الزواج من الوجهة النظرية في أقل تقدير • ولكن يبدو من بعض مواد قانون حمورابي انـه كان يسمح لها بالزواج ولـكن بشرط عـدم الانجاب • ويفسر بعض الباحثين ذلك بأنه كان يحق لها الزواج وربما

بعد بلوغها سن اليأس وانتهاء خدمتها في المعبد • ومما تجـدر ملاحظته بخصوص منصب الكاهن الاعظم والكاهنة العظمى انه جرت العادة في بلاد وادي الرافدين على تكريس كاهن أعظم عندما يكون المعبد مخصصا لعبادة الهة (انثى) وتكريس كاهنـة عظمى عندما يكون مخصصا لعبادة الـه (ذكر) •

وبالاضافة الى الكاهن الاعظم والكاهنة العظمى ، فقد كان المعبـد يضم أصنافا أخرى عديدة منها كاهن « سنكا » (Sanga) الذي كان يتولى الاشراف على تقـديم الاضاحي الى الالهة • وكان يترأس هـذا الصنف كاهـــن يعـــرف بلقب « كبير السـنكا » (في السـومرية (Sanga mah)) • ويظهر ان عملية نحر الاضاحي فعليـا كانت من مهام كاهن يحمل لقب « حامل المدية (nas Patri) •

وهناك أيضا الكاهن من صنف « بارو » (Baru) وهو « العراف أو البصار » والذي كان يقدم خبرته في العرافة الى القصر حيث كان الملك يستشيره لمعرفة الفأل في حالات مهمة مثل القيام بحملة عسكرية أو عند اسناد ولاية العهد لأحد أبنائه • وكان العراف يمارس مهنته على صعيد المجتمع أيضا أي انه كان يتنبأ بالفأل للناس ممن يطلبون منه ذلك • اما صنف العرافين ممن يحملون لقب « شاعيلو » (shailu) المؤنث منه « شاعيلتو » (Sha'ilu) فيظهر من النصوص المسمارية انه كان أقل مرتبة من صنف « بارو » السابق وان الكاهن شاعيلو ونظيرته شاعيلتو كانا مختصين بالدرجة الاولى بتفسير الاحلام • اما ممارسة التعزيم لطرد الأرواح الشريرة من أجسام المرضى من الناس فكانت موكولة بكاهنين ، أولهما يحمل لقب « كالا » (gala) والثاني « نارو » (narn) .

ويبدو ان مهنة هذين الكاهنين كانتا مرتبطان الواحدة منهما بالاخرى ،

لان الاول كان يقوم بعزف الموسيقى بينما يقوم الثاني (الذي يعني اسمه « المنشـد أو المرتل ») قراءة الادعية والتعاويذ الخاصة بطـرد الأرواح الشريرة • جدير بالاشارة ان هذين العزافين كانا يمارسان مهنتهما في المعبد وفي بيوت المرضى من الناس • وتذكر النصوص السماوية صنفين آخـرين من العزافين همـا « آشيبر » (Ashipn) و « مسمشو » (Mashmashu) • اما شؤون الاغتسال والتطهير فكانت من واجبات كاهن يحمل لقب « رمكو » (ramku) ، في حين كانت مهمة القيام بالرهـان المقدس من واجبـات كاهـن آخـر يسـمى « باسيشو » (Pashishu) [٨] •

من المعروف ان المعبد كان مخصصا لعبادة الآلهة واقامة الصلوات والطقوس وقراءة الادعية والاناشيد الدينية وهو أيضا المكان الذي يقدم فيه الطعام والشراب الله على دكة خاصة في المحراب • وكانت الصلوات ترفع بخشوع امام الاله • اذ كان المتعبـد يقف أمام تمثال الاله ويرفع احدى يديه الى أعلى بمستوى الفم ويبدأ بقراءة الصلوات والأدعية الى الاله • وقـد وصلنا بعض من مشاهد التعبد على المنحوتات القـديمة ، وجدير بالذكر أيضـا ان العلامة المسمارية المستخدمة للتعبير عن كلمـة « صلاة » (في السومرية harabu وفي الاكدية sudy) تتكون من الفم زائدا اليد •

لقد كان بناء معبد جديد من المهمات التي تستلزم اداء طقوس معينة من أجل التأكد من ان رغبة الاله الخاص بذلك المعبد قـد حققت على الوجه الاكمل • وكان الاله يفصح عن رغبته في بناء معبد جديد له من خلال الاحلام التي يراها الملك أو الكاهن في منامه • ومن اقدم الامثلة واكثرها تفصيلا في هذا الشأن ، الحلم الذي روى تفاصيله كوديا امير سلالة لكش الثانية (في حدود ١٢٠م ق•م) • يقـول كوديا ان الالـه

ننكرسو ظهر له في الحلم على هيئة انسان عملاق « ضخم كأنه السماء ، ضخم كأنه الأرض ، جزؤه الاعلى يشبه الاله وله جناحا طائر ، وجزؤه الأسفل يشبه الاعصار • كان اسد يربض الى يمينه وآخر الى شماله • لقد امرني ان ابني معبدا ، لكني لم أفهم مقصده تماما ••• وكان هناك عملاق آخر حاضرا أيضا • فمد ذراعيه وحمل في كلتا يديه لوحا من حجر اللازورد ورسم عليه مخطط المعبد • ثم جاء بطاسة البناء ووضعها أمامي وسوى لي قالب الاجر المقدس وثبت فيه « أجرة تقرير المصير » • ويقول كوديا انه حالما افاق من نومه ذهب مسرعا الى معبد الالهة نانشه ، مفسرة الاحلام ، ليسألها عن مغزى رؤياه • وبعد ان اخبرته الالهة بتفسير ذلك الحلم وشرحت له ما يتوجب عليه القيام به لنيل رضا الاله ننكرسو ، شرع كوديا بانجاز الطقوس تمهيدا لابتداء العمل وتحقيق رغبة الاله • ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ايضا ، انه بعد مضي ما يزيد عن الف وخمسمائة سنة على كوديا ، يذكر الملك البابلي نبونائيد (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق•م) كيف انه هو الآخر جاءه الوحي الالهي في الحلم وأمره ببناء معبد سين ، اله القمر في حران •

ويظهر من تفاصيل حلم كوديا ومن نصوص دينية أخرى ان هناك جملة من الاجراءات التي كان يتوجب انجازها قبل الشروع في بناء المعبد الجديد • ويمكننا اجمال تلك الاجراءات بالنقاط الآتية :

١ ـ جرت العادة ان يبنى المعبد الجديد على نفس الموقع الذي كان يشغله المعبد القديم • فكان هدم الجدران وازالة الانقاض وتنظيف الموقع من أول الأعمال التي يتوجب انجازها • بعد ذلك يقوم العراف بتحديد يوم سعد من الشهر يكون مناسبا لاشعال النار في المساء وتقديم القرابين للآلهة • ثم يبدأ الكاهن المختص من صنف « كالو » بانشاد التراتيم على أنغام المزمار ، ومن ثم يرفع يديه متضرعاً امام الاله داعياً بالتوبة والغفران •

٢ ـ العمل على استظهار الاسس القديمة للمعبد وحفرها واستخراج ما فيها من آجر ومواد بنائية أخرى وصولا الى الارض البكر • ويظهر ان عدم انجاز هذا العمل على الوجه الاكمل كان مدعاة لغضب الاله ، وبالتالي لسقوط المعبد خلال سنين قلائل • ولهذا السبب يؤكد الملك البابلي نبونائيد في أحد نصوصه عن تجديد معبد اله الشمس في سبار فيقول : « لقد استظهرت اسس ذلك المعبد التي كان قد ارساها نرام ـ سين ••• والتي لم يرها ملك من قبلي لثلاثة آلاف ومائتي سنة خلت ••• » •

٣ ـ بعد ان يتم استظهار الاسس القديمة يشرع بتطهير الموقع باشعال النار حول الاسس ورشها بالعطر • وكان يجري تنظيف المدينة واشعال النار حولها واشعار سكانها رجالا ونساءً ، صغارو وكبارا ، بوجوب الالتزام بالمثل والاعراف الاجتماعية بحيث لا يحدث ما يعكر صفو ذلك اليوم الذي يضع فيه الملك أو الحاكم الاسس الجديدة لمعبد الالـه •

٤ ـ يقوم الملك بقطع اللبنة الاولى وفق طقوس دينية معينة • فبعد ان يغتسل ويرفع الصلوات ويقدم القرابين الى الالهة يأخذ واقية الرأس المستديرة التي توضع تحت طاسة البناء ، ثم يأخذ القالب الخاص بتحضير اللبن الذي كان يصنع عادة من نفيس الخشب • ويقوم الملك بدهن القالب بالعسل والزيت النقي ويتناول طاسة البناء ويبدأ بتحضير الطين ومن ثم يصبه في القالب الذي جرت العادة على حفظه في المعبد بعد الانتهاء من صنع اللبنة الأولى ، بعـد ذلك تؤخذ اللبنة لتوضع في العراء تحت أشعة الشمس حتى تجف ، وعندئذ يأخذها الملك ويضعها في الاساس معلنـا بداية العمل في بناء المعبد • وكدليل على التقوى وطاعة امر الالهة لبناء معابدها فقد كشفت التنقيبات عن عدد من التماثيل والمنحوتات التي تصور

الملك أو الحاكم وهو يحمل على رأسه مواد البناء في طاسة تحتها الواقية المستديرة . لقد تباهى ملوك بلاد وادي الرافدين ، وبدافع من عمق ايمانهم وتقواهم ، بانهم بذلوا الغالي والنفيس في سبيل جلب امهر الصناع واجود المواد من أجل بناء معابد الالهة . اذ ذكروا في كتاباتهم انهم جلبوا مختلف مواد البناء والأخشاب والمعادن وانهم صنعوا من الحجر تماثيل لآلهتهم وتماثيل لانفسهم أيضا وضعوها في المعابد . يقول كوديا وقد انتهى من بناء « معبد اعمشين » الاله تنكرسو بعد سنة من العمل الشاق المتواصل :

ان جلال المعبد يعم البلاد كلها وان رهبته تملأ النفوس وان سناه يحيط بهذا الكون كالعباءة » . وبالرغم من انه لم يبق شيء من « معبد الخمسين » يستحق الذكر في لكش فان واحدا من التماثيل العديدة لكوديا والتي عثر عليها في هذه المدينة يصور الامير السومري جالسا بوقار ويداه مضمومتان الى الصدر وتظهر على ركبتيه رقعة مرسوم عليها مخطط المعبد . ولاشك في ان هذا التمثال الاخرى كانت موضوعة في « معبد الخمسين » امام الاله تنكرسو لينال صاحبها بركاته ، وان التصميم الموضوع فوق ركبتي كوديا يرمز الى ذلك المخطط الذي رسمه الاله تنكرسو على لوح من حجر اللازورد والذي رآه كوديا ضمن ما رأى في حلمه سابق الذكر[٩] .

اما المعبد العالي أو البرج فانه يسمى في البابلية (الزقورة) وهي تعني العلو والسمو . والزقورة كما سبق وذكرنا ، ظاهرة معمارية ملازمة للمعبد الارضي في معظم المدن الرئيسية . والراجح ان فكرة الزقورة نشأت في الاصل من اقامة المعابد في أطوارها الاولى فوق دكاك أو مصاطب اصطناعية مرتفعة عن الارض المحيطة بها . واصبحت الزقورة في العصور التاريخية تتألف اما من ثلاثة أو سبع طوابق وهي اما ان تكون مربعة أو مستطيلة الشكل . وكان يرقى اليها بواسطة سلالم جانبية تمتد بين طبقة واخرى . وقد جرت العادة ان يبنى غلاف الزقورة

بالآجر بينما يبنى هيكلها باللبن . ويوجد فوق الزقورة معبد صغير يعرف بالمعبد العلوي ويعـرف في السومرية باسم Gigunu والـذي ربمـا كان يوضع فيه تمثال الاله .

وقد قيلت اراء متعددة حول الفكرة التي تمثلها الزقورة ولعل من أهمها الرأي القائل بان الزقورة بمعبدها العلوي تمثل محلا لاستراحة الاله وهو في طريقه من معبده الارضي الى السماء ، وان مدرجات الزقورة انما ترمز الى سلم يمتد بين الارض والسماء . وجدير بالملاحظة ان مثل هذه الفكرة عن الزقورة لها ما يشابهها تقريبا في التوراة حيث نقرأ في سفر التكوين (١١ : ٣-٥) : « وقال بعضهم لبعض هلم نضع لبناً ونشويه شياً فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان الحمـر مكان الطين . وقالوا هلم ببن لانفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء ، ونضع لانفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الارض . فنزل الرب لينظـر الى المدينـة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها » . كما ونقرأ في السفر نفسه (٢٨ : ١٢) عن حلم يعقوب : « ... ورأى حلما واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب واقف عليها فقال انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق » .

قلنا ان الزقورة أصبحت صفة معمارية ملازمة لمعظم المدن القديمة في وادي الرافدين ، وقد امكن عد ثلاثين زقورة موزعة على المـدن من اقصى جنوب القطر الى اقصى شماله ، وفي بعض الاحيان يوجد زقورتان في المدينة الواحدة كما هي الحالة في مدينة الوركاء مثلا ، وأحيانا أخرى يوجد ثلاث زقورات والمثال على ذلك كل من مدينة كيش وآشور . ولا يخفى ان تعدد الزقورات في المدينه الواحدة معناه تعدد المعابد حيث ان لكل معبد زقورة خاصة بـه . ففي الوركاء على سبيل المثال يوجـد معبدان وزقورتان . فالمعبـد الأول الذي يسمى بـ « المعبـد الأبيض »

مخصص لعبادة انو ، اله السماء ، اما الثاني وهو « معبد السماء » فقد خصص لعبادة الالهة إنانا (عشتار) • وكان لكل زقورة اسم تعرف به • فزقورة بابل كانت تسمى Etemenunhi (المعبد أساس السماء والارض) ، وتعرف زقورة سبار (ابو حبه) بـ U6 — nir بمعنى (البرج) اما زقورة مدينة لارسه فقد اطلق عليها اسم E.i + lu — hiyga (السلم الى السماء المقدسة) •

بقيت الزقورة في معظم المدن العراقية القديمة واضحة المعالم رغم تعاقب الازمان ومهما كان فعل الدهر أو الانسان قاسيا في تغيير معالمها ، فما زال بعض منها في حالة شبه جيدة اما لان المدينة أصبحت بمرور الزمن في مكان بعيد ومنعزل فطمرتها الرمال مما جعلها في منأى عن يد التخريب ، أو لأن بعضها حظى بعناية رجال الآثار فقاموا بصيانتها وتجديدها على النحو الذي كانت عليه في العصور القديمة • غير ان ما يدعو الى الاسف العميق حقا ان تتعرض واحدة من أكثر الزقورات شهرة وأهمية في العراق القديم الى أعمال التخريب مما أدى في النهاية الى زوالها من الوجود • فمن المعروف ان زقورة بابل اختفت كليا بسبب النقص المستمر لاجرها عبر العصور القديمة وفي أزمان حديثة ومتأخرة أيضا بحيث لم يبق من تلك الزقورة الشامخة بطبقاتها السبع سوى حفرة مربعة مملوءة بالمياه الجوفية ، علما بأنها كانت تتكون من سبع طبقات يصل ارتفاعها الى ٩١ر٥ مترا ولها قاعدة عرضها ٩١ر٥ مترا أيضا • وكان غلافها من الآجر بسمك ١٥ مترا وكانت كل آجرة منها على شكل مربع ضلع الواحدة منها قدما واحدا • هذا وقد وصلنا لوح مسماري من مدينة دون في عصر سلوقس الثاني في حدود ٢٢٩ ق•م يذكر قياسات طبقات البرج طولا وعرضا وارتفاعا(١١) •

يقول هيرودوتس (٤٨٠ – ٤٢٥ ق•م) وهو يصف برج بابل

ما نصه : « ... وعند الحصن الثاني تقع حارة الاله « جوبثر – بعل » وهي فنـاء مربع طول كل ضلع من اضلاعه ½ ميـل وذو أبواب من البرونز الصلد • وكانت ما تزال باقية في زمني ، ويقع وسط ذلك الفناء أو الساحة برج ذو بناء صلد طوله ½ ميل وعرضه ⅛ الميل ، اقيم فوقه برج ثان وعلى هذا برج ثالث وهكذا الى البرج الثامن الاعلى • وكان الصعود الى القمة من الخارج بواسطة سلم يدور حول جميع الابراج • وعندما يبلغ المرء منتصف المسافة في الصعود فانه يجد موضعا للاستراحة حيث اعتاد الناس الجلوس بعض الوقت وهم في طريق ارتقائهم الى القمة • ويوجد فوق الطبقة العليا معبد فسيح وضع في داخله سرير ذو حجم غير اعتيادي ومزين بزينة فاخرة وبجانبه منضدة من الذهب • ولا يوجد أي تمثال في هذا المعبد ، كما لا يشغل الحجرة أثناء الليل سوى امرأة يقول عنها كهنة هذا الاله ان الاله اصفاها لنفسه من بين نسوة البلاد ... »(١٢) •

واذا كان برج بابل قد ازيل تماما بسبب النقص المستمر لآجره ولم يبق منه سوى الأبعاد والأوصاف التي يرد ذكرها في النصوص المسمارية وفي كتابات المؤرخ هيرودتس ، فهناك ابراج أخرى ما زالت قائمة حتى يومنا هذا في عدد من المدن العراقية القديمة • ولعل من أحسن الأمثلة الباقية على تلك الابراج ذلك الذي بناه الملك اورغو في مدينة اور التي كانت مركزا لعبادة سين اله القمر • وأهم ما يذكر في شأن هذا البرج ان كتلته الهائلة ، المكونة من ثلاث طبقات والتي يزيد ارتفاع ما بقي من طبقتها العليـا عن عشرين مترا ، تترك في الناظر انطباعا مدهشا بالجمال والخفة بسبب التناسق التام لأبعادها وبسبب الانحناءات الطفيفة لخطوطها • ان الهدف من هذه الانحناءات الدقيقة والتي لم يكن من اليسير ملاحظتها هو تصحيح خداع النظر الذي تبدو فيه الجدران والأعمدة مقعرة لو انها شيدت وهي مستوية السطوح • وفي هذا الابتكار يكون المعمار السومري

قد سبق نظيره الاغريقي بألفي عام • اذ كان يعتقد خطأً ان الاغارقة الذين شيدو البارتنون هـم الذين ابتكروا فكـرة جعل انحناء بسيط في أبدان الأعمـدة •

وأخيرا فأنه من المهم الاشارة هنا الى ان الزقورة بطبقاتها المتعددة وسلمها الجانبي الذي يوصـل بين تلك الطبقات ، كانت في نظـر بعض الباحثين ، مثار اعجاب المعماريين من العرب والمسلمين • اذ يرجح هؤلاء ان تصميم الملوية في سـامراء يعكس تأثرا واضحا بالزقورة القديمة • فالسلم الخارجي والارتفاع التدريجي (على شكل طبقات) للمئذنة دلائل واضحة على هذا التأثر بالرغم من ان قاعدة الملوية دائرية الشكل خلافاً لقاعدة الزقورة المربعة أو المستطيلة أحيانا(١٣) •

مراجـــع

(١) حول هذه المقدمة الخاصة بالانتقال من سكن الكهوف الى المواقع المؤقتة ثم الدائمية وظهور القرى الزراعية انظر : الاستاذ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (١٩٧٣) ص١٦١ـ٢٠١ ٠

(2) Rabert Asam, The Origin of Citiee (in Avenue to Antnpity 1975) p. 191.

(3) E. A. Speiser, The Epic of gilgamésh, in Thè Ancient Near Eastern Texts (Cq) p. 73.

وكذلك الاستاذ طه باقر : ملحمة كلكامش (١٩٨٠) ص٧٣ـ٧٤ ٠

(4) N. Kramer,

(5) K. Grayson, Assyrian Regal Inscriptions, Vel. 2 (1976), p. 172-176.

(٦) حول أقدم المعابد ، انظر السيد علي مهدي : دور المعبد في المجتمع العراقي (اطروحة ماجستير ١٩٧٥) ، ص ٦٤ـ٦٥ ٠

(٧) لابد من ان نثبت للامانة العلمية ان بعضا من الفقرات عن وصف المعبد مقتبس من فصلنا الذي كتبناه ، ضمن فصول أخـرى ، في الكتاب الموسوم : تاريخ العراق القديم ، بالاشتراك مع الاستاذ طه باقر والاستاذ د٠ عامر سليمان (١٩٨٠) ، ص٢٧ـ٣٠ ٠

(٨) حول مجمل هذه المعلومات عن كهنة المعبد :

H. W. F. Saggs, The grectness that wos Balylon p. 395-351.

(٩) المرجع السابق ص٣٦٣ـ٣٧٠ ٠

(١٠) عن الزقورة ، نشأتها وتطورها • انظر :

H. J. Lenzen, pu' Entunichlung der Zihurat vin ihren Anpungen lis Zeit der III Jynastie vonur (1941).

ثم انظر المرجع السابق حول مجمل الاراء التي قيلت في شـــأن الزقورة ص٣٥٤ـ٣٥٨ •

(١١) عن ابعاد برج بابل كما جاء ذكرها في الرقيم المكتشف في الوركاء ، يراجع : فرنيز كويشن ، عجائب الدنيا في عمارة بابل (ىرجمة د• صبحي أنور رشيد) ، (١٩٧٦) ص ١١ـ٢٤ •

(12) Herodotus The Histories (translaled by Aubray pe Selincourt 1959) Book I: 197-185.

(13) Sapgs, op. cit, p.499.

دراسة فنية لمسلتين من معبد جندا
في الحضــر

الاستاذ الدكتور واثق الصالحي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

قامت دائرة الآثار والتراث باجراء التنقيبات الأثرية في معبد صغير في مدينة الحضر خلال موسم التنقيب والصيانة لسنة ١٩٨١ / ١٩٨٢[١] وأوكلت قيادة العمل الى الاستاذ حازم محمد النجفي ، المنقب الاكفء من بين منتسبي دائرة الآثار ، واليه اكرس بحثي هذا عرفاناً بمـا قدمه من أعمال ممتازة خلال سنوات خدمته الطويلة في مواقع الآثار المختلفة وخاصة في مدينة الحضر ولعلاقة الصداقة الحميمة التي تربطني به •

لقد اوضحت نتائج التنقيبات الأثرية أهمية هذا المعبد من نواحي مختلفة حيث القت اضواءاً جديدة على بعض الجوانب المعمارية والفنيــه والدينيــة المتعلقــة بأعمــال التقديس والعبادة الخاصة بالمعابد والمرارات الصغيرة والتي كشف لحد الآن عن ثلاثة عشر منها وجميعها شيدت خارج المعبد الكبير الذي يتوسط المدينة وقد خصصت لعبادة آلهة مختلفة[٣] • لقد مر هذا المعبد ، الذي يقع الى الشرق من المعبد الكبير ، بدورين بنائيين رئيسيين . استنادا الى دلائل مستقاة من دراسة تخطيطية المعماري وطريقة بنــائه[٤] •

لقد بني المعبد من حجر الحلان المنتظم وتألف ، في دوره الاول ،

من خلوة مستعرضة طولها حوالي ٢٠ر٢٢م وعرضها ٥٠ر٨م (شكل ١) وللمعبد ثلاث مداخل في واجهته الامامية الغربية ، وقد شيد المدخل الرئيس الوسطي بعرض مترين يوصل اليه بعدة سلالم مبنية من المرمر الشمعي وتعلوه اسكفة من حجر حلان طولها ٤٤ر٢م وسمكها ٥٨سم وارتفاعها ٣٥سم وهي مزينة بتحليات عمارية تتألف من صنفين من زخرفة ورقة اللسيان تحصر بينها شريطين الاول يتألف من سلسلة من زخرفة البيضة والسهم والآخر خال من الزخرفة صفرت عليه كتابة آرامية عميقة ، في داخل بعض حروفها حبر أحمر اللون وهي كتابة تذكارية حيث تشير الى أسماء شخصين حضريين نشريهب بن تيملي وبدي بن شمش جرم ، يبدو أنهما كانا مسؤولين أما عن تشييد المعبد في هذا الدور البنائي(٥) أو القيام ببعض الترميمات البنائية • وفوق الاسكفه اقيم قوس من حجر حلان منتظم الشكل يتميز بتحليات عمارية • واضيفت على جانبي ركني هذا المدخل تقويرات وتحليات هندسية عمارية لتزيد في زخرفة الاسكفة • أما الفتحتان الثانويتان الاخريتيان فتقعان على جانبي المدخل الرئيس وكل منهما بعرض متر واحد وتتميز أركانها الخارجية بطلعات عرض كل منها ١٠سم لها علاقة باغلاق الفتحات بأبواب وسدها باحكام • وتحيط بالخلوة من الداخل حافة أو دكة واطئة عرضها حوالي ٧٠سم مبلطة بحجر المرمر الاخضر اللون • وعلى محور طولي مع المدخل الرئيس ، تبرز الى الخارج ، الى جهة الشرق كوة عميقة مساحتها الداخلية ٧٠ر٤م طولا × ١٠ر٤م عرضا ، ويرقى اليها بواسطة عدد من الدرجات مشيدة من المرمر الشمعي وتعلو فتحتها العريضة (٦٠ر٢م) اسكفة من حجر الحلان مزينة بتحليات عمارية مشابهة لأسكفة مدخل المعبد الرئيسي طولها ٦٥ر٢م وارتفاعها ٣٨سم وسمكها ٥٥سم وتتضمن اضافة الى أوراق اللسيان زخرفة البيض والسهم والحبل المبروم وتتكسر

معها زخرفه أوراق اللسيان • وعلى الاسـكفه ، حفرت كتابة تذكاوية أخرى تشير الى كاهن المعبد واسمه حيوشا وشخص آخر يدعى دبيا ، وقد تلفت بعض أحرف الكتابة بسبب الرطوبة والاملاح[٦] •

وعثر المنقبون داخل الكـوة العميقة على منصـة مستطيلة الشكل وأمامها دكه طولها ٤٠ر١م وعرضها ٩٠سم مزينة بتحليات عمارية وفي أرضيتها المرصوفة بالمرمر الأخضر حوض غائر للماء دائري الشكل قطره حوالي ٦٠سم • وتم الكشف عن تماثيل مهمة في الكوة أهمها تمثـال هرقل ـ جندا ونحتين بارزين احدهما لكاهن يحرق البخـور الآخـر لشخص مضطجع وسنتناوله في بحثنا هذا • وفي داخل الجدار الجنوبي للخلوة البالغ عرضه حوالي ٩٠ر١سم شـيد سلم المعبـد بعرض ٧٠سم وهي صفة عمارية لم تظهر سابقا في المعابد الصغيرة وقـد يعزى السبب الى أن المعبد بكامله قـد شيد من حجر حلان منتظم وان جدرانه بنيت سميكة وقوية في حين أن معظم جدران المعـابد الصغيرة قـد شيدت من اللبن على أسس من حجر حلان منتظم أو في بعض الاحيان غير منتظم ولطشت بطبقات عديدة من الجص • واسلوب بنـاء هذا المعبد يشبه في بعض تفاصيله بعض المعابد الكبيرة حيث تبرز من أركانه الأربع طلعات عرض كل منها ١٠سم لتزيد في قوة البناء ومتانته • ومخطط هذا المعبد ، الذي يتصف بالمحـور الطولي بين مدخله الرئيس ودكة تمثـال الاله الموضوعة في الكـوة العميقة ، يشـابه مخططات بعض المعـابد الصغيرة الاخرى كالمعبـد الخامس والعاشر والتاسع[٨] • ولكن باختلاف واضح في قياسات حجمه الكبير واسلوب بنائه • وفي فترة لاحقة شيدت غرفـة مستعرضة أمام الخلوة استخدمت مقدمة لها أو ما يعرف عماريا بمقدمة الخلوة طولها حوالي ٢٢م وعرضها ٨٠ر٧م وهي أيضا مبنية من حجر حلان منتظم وبأسلوب معماري مشـابه لبنـاء الخلوة ولهـا مدخل رئيس

واحد عرضه ٢٥ر٥م يعلوه قوس تألف من أحجر منتظمة يحمل البعض منها نحت بارز لآلهة المدينة ونبلائها وعلى اثنين منهما نحت بارز لشخصين ونقشت كتابة تذكر أسمائهما ، وقد صورا بوضعية امامية وهما يرفعـان ايديهمـا بالتحيـة ويحمـلان بالاخـريتين سـعفتين صـغـيرتين ترمزان للقدسية(٩) .

وزينت واجهـة المدخل بعمودين مندمجين يستندان على قاعـدتين مستطيلي الشكل قياس الواحدة منها ١٢٥سم × ٨٠سم اما قطر العمود فيقدر بحوالي ٩٠سم ويوصل الى المدخل بعـدد من السلالم المبنيـة من حجر مرمر شمعي مائل الى الاخضرار . ولمقدمة الخلوة مدخلان ثانويان في ضلعها الشمالي والجنوبي وهي بعرض يتراوح بين ٩٠سم - ١٠٠سم . لا تشير الدلائل الآثارية والكتابية الى الحقبة الزمنية التي تم فيها اضافة مقدمة الخلوة الى المعبد الذي يبدو في مخططه مشابها للمعابد العراقيـة القديمة وخاصة البابلية منهـا التي تألفت من خلوة ومقدمة خلوة وكوة احتوت على دكة لوضع تمثال اله المعبد الرئيس تقع على محور طولي مع مدخلها الرئيس الذي يطل على ساحة مكشوفة يحيط بهـا عدد من الغرف من كافـة جوانبها ، استخدمت لمختلف الاغراض منهـا لخزن النذور والقرابين ومنها لاستعمالات كهنة المعبد .

والمعبد محاط من كافة جوانبه بسور متين قوي شيده شخص اسمه عقا بن بدني (أو برني) اضافة الى ساحتين أماميتين تطل عليها عدد من الغرف المقبأة (الاواوين) كان هو أيضا مسؤولا عن تشييدها وتخصيصها الى جندا اله المعبد الرئيس . وقد وردت هذه المعلومات المهمة في كتابة منسقة منتظمة عثر عليها في احدى الغـرف المقبـأة التي تحيط بالساحة الوسطية في جهتها الجنوبية وتصف الكتابة « عقا » بأنه سيد المدينة وقد قام بعمل هذه الاضافات في شهر حزيران من سنة ٢٣٤ / ٢٣٥ ميلادي

كما نذكر تلك الكتابة[١٠] • وكشفت الحفائر الأثرية عن عدد من الغرف ذات قياسات منتظمة وجدران سميكة مشيدة من حجر الحلان تحيط بالساحة الوسطية في ضلعيها الشمالي والجنوبي ، اما في ضلعها الغربي الذي يحتوي على المدخل الرئيس للمعبد فقد ضم عدد من الغرف من ضمنها اثنتين على جانبي المدخل الغرض منها التأكد من هوية المتعبدين والزوار وربما للحراسة أيضا وجميعها مشيدة من حجر الحلان المنتظم الشكل ، ويبدو من تلك الكتابة ان هذه الغرف كانت تستخدم لسكنى النزلاء من المتعبدين الذين يرومون التقرب من اله المعبد لغرض تلبية طلباتهم أو شفائهم من الأمراض وكان عليهم أن يعتنوا بها ويرمموا الاجزاء التي تتطلب ذلك • وعثر المنقبون على عدد من اللقى الأثرية والمنحوتات في الغرف المطلة على الساحة من ضمنها اللوحة الثانية التي سنبحثها لاحقا •

عثر المنقبون على عدد من اللوحات التي نقشت بالنحت البارز وعلى تماثيل عملت بالنحت المدور ، وسيقتصر بحثنا هذا على دراسة اثنتين من اللوحات التي نحتت بنحت بارز لما لها من أهمية تكمن في القاء الضوء على أسلوب النحت ووضعية الشخص المصور بالنسبة لاحداهما وما تتضمنه الثانية من تفاصيل وما تحمله من رموز تساعدنا في الكشف عن مفردات مهمة من ديانة الحضريين • عثر على المسلة الاولى داخل كوة المعبد العميقة وقد عملت من حجر حلان ويبدو انها تعرضت للتلف والتآكل في بعض من أجزائها نتيجة تعرضها لعوامل طبيعية كالرطوبة مثلا • تظهر اللوحة عدم انتظام في شكلها والذي يتميز أيضا بكونه مستطيلا ناقصا (شكل ٢) ، فقد عملت اللوحة في الأصل بارتفاع ٨١سم وبعرض ١١٥سم وقد اقتطعت منها قطعة مستطيلة الشكل قياساتها ٢٨سم × ٣١سم ، ويعزى سبب هذا القطع ، على الارجح ، الى شكل

ومساحة الحيز الذي احتلته في داخل الكوة • يحيط باللوحة اطار غير منتظم في سمكه حيث يتراوح ثخنه بين ٥ ـ ٢٠سم وقد ينعدم تماما في مناطق أخرى خاصة في ضلع اللوحة الايسر • نحت على وجه المسلة شخص مضطجع على جنبه الأيسر وهو يحتل مساحة اللوحة بكاملها وقد استفاد النحات في مليء الفراغات المحصورة بين الشخص والاطار بنقش كتابتين تذكاريتين لهما علاقة بالشخص المصور • فالكتابة السفلى تذكر تمثال حيوشا بن اشلمو عابد (خادم) الاله اطيب » وهي اشارة واضحة الى الشخص المنقوشة صورته ، أما الكتابة العليا فتذكر « مذكور ربت ابنــه »[١١] يسند حيوشا المضطجع ثقل جسمه على ذراعه الأيسر حيث يضع ساعده على وسادة ، مؤلفة من قسمين ، مستندا على مرفقه الأيسر ، ويمد ساقه اليسرى افقيـا بارتخاء ويثني ركبته قليـلا بينما يحافظ على توازن جسمه بساقه اليمنى حيث تنثني بزاوية قائمة عند الركبة وتستند قدمه على أسفل اللوحة وتخفي خلفها الاجزاء السفلى من ساقة الأيسر وقدمه أيضا • أدت وضعيته المستندة على المرفق الأيسر الى رفع كتفــه الأيسر قليلا ، اضافة الى عضلات الصدر المتصلة به • وتألفت تصفيفة شعره من تجعدات حلزونية الشكل تحيط برأسه وتغطي أذنيه وقــد كسرت بعض التجعدات القريبة من إطار اللوحة • وقد جرت محاولة في القديم لترميمها باستعمال مسمار أو وتد صغير من الحديد ولكن لم يعثر على القطعة المكسورة • لقد تعرض الوجه الى تلف شديد ولم يبق من معالم الوجه سوى بعض الحزوز التي تشير الى الاجفان ، ويبدو حيوشا غير ملتحياً • يضع ذراعه اليمنى لمحاذاة جسمه وفخذه الأيمن ويمسك بيده كيساً صغيرا للنقود مزود ببعض الحزوز الافقية ، وكيس النقــود يدل على انه يمتهن التجارة وقد عثر على تماثيل لأشخاص وهم يقبضون على كيس صغير للنقود[١٢] • ويقف نسر على ذراعه الأيمن بوضعية

شبه امامية ويبدو غير ناشر الجناحين وعلى صدره تتدلى بعض القلائد • لقد فقد راس النسر ، وجرت محاولة لترميمه مشابهة لتجعدات شعر الرجل حيث يبدو مسمار من الحديد واضحا في اطار اللوحة وفي موقع اتصال الرأس • وللنسر أهمية خاصة في معتقدات الحضريين حيث عبد الهاً واطلق عليه « سيدنا النسر » أو « النسر سيدنا » في كتابات المدينة • وقد ظهر على نوعين ، النوع الأول باسط الجناحين ، حيث يعتقد بعض الباحثين بأنه يرمز الى شمس ، اله المدينة الرئيس والنوع الآخر يبدو غير ناشر الجناحين وبوضعية شبه جانبية مثل وقفته على لوحتنا وفي هذه الحالة قد يشير الى مرن (سيدنا) استنادا الى بعض المنحوتات المهمة التي عثر عليها خلال التنقيب في المدينة • ومن أبرزها اللوحة التي عثر عليها في المعبد الاول حيث يصور مع سميا أو « الراية » وهو يقف على قاعدة محفور عليها كتابة تذكر « رمزا مرن وسميا العائدة الى البيت عقوبا »(١٣) اضافة الى اللوحة التي عثر عليها في « كوة النسر » في باحة مدخل الباب الشمالي والمنقوش عليها النص القانوني الخاص بتنبيه الحضريين والعرب وزوار المدينة والقاطنين فيها الى عقوبة السرقة وتتصدر الكتابة العبارة التالية « بملكا دي الها » اي « بملكوت أو بمشيئة الاله » وان نحت النسر يرمز الى « الاله » الذي يشير الى مرن كبير آلهة التثليث الحضرية المعروفة(١٤) • ويبدو النسر في هذه اللوحة بوضعية مشابهة لعدد من اللوحات المكتشفة في المدينة وخاصة تلك التي سبق ذكرها اضافة الى لوحة مشابهة عثر عليها في الباب الشرقي وعليها نقش النص القانوني ذاته(١٥) •

ويمسك جيوشا بيده اليسرى الملتصقة على صدره كأسا كبيرا لم يبق منه سوى حدوده الخارجية وقاعدته التي تستقر في يده • ويرتدي قميصا ذا أكمام طويلة يصل الى ركبتيه وسروالا ، وقد عملت طيات

القميص ضحلة وتختلف في اتجاهاتها ، حيث تبدو على الذراعين وأسفل الخصر بشكل أقواس عمودية بينما تظهـر على الصدر وعلى الساعـد بشكل افقي • ويرتدي حزاما يتالف من حلقات صغيرة متعاقبة ، وهي تختلف في شكلها وزخرفتها عن معظم الاحزمة التي ارتداها الحضريون الذين بذلوا عنـاية خاصة في زخرفة اشكالها وطريقة نحتها وقد طعـم البعض بالاحجار الكريمة وحمل قسم اخر نقوشا تمثل الالهة • وتميزت الاحزمه التي ارتداها الملك بنفس نقوش الملابس وزخرفتها • تعرضت سطوح النحت الى التلف بشكل عام ويتوضح ذلك عند ساقي الشخص حيث لم يبق من طيات السروال الا بعض خطوط مائلة ، وفقدت كليـا قدمه اليمنى •

تعتبر وضعية جيوشـا المضطجعة من الوصفيات النادرة في النحت الحضري وغير الشائعة ومن الأمثلة القليله التي وصلتنا نقش على اسكفة مدخل المعبد الخامس حيث يصور نصرومريا بالنحت البارز مضطجعـا ومتكأ على وسادة وهو يحمل كاسا في يده اليسرى وشيئا غير واضح في اليد الأخرى(١٦) وعلى يمينه يقف ولجش ابنـه وعلى يساره تمثـال لاله الحامي بينما تظهر اله النصر المجنحة وهي تحمل اكليلا للنصـر مفتوحا ، ربما تخليدا لانتصاره على الجيوش الرومانية التي قادها تراجان في حملته الفاشلة على المدينة في عام ١١٦ / ١١٧م والتي ، على الارجح ، قاد الدفاع عنهـا نصرو مريا • وخلد نصرو انتصاره أيضاً على لوحـة مشابهة لم يبق منها الا بعض الكسر وقد عثر عليها في المدخل الرئيس للباب الشمالي والتي من المحتمل انهـا كانت تزين واجهة المدخل من الخارج حيث تم العثور على الاله الحامي ورأس نصرو وذراعه الايسر التي تحمل الكأس وسيقانه وكانت الاخيرة تالفة جدا(١٧) • ويستدل على عائديتها الى نصرومريا بدليل كتابة وجدت بين انقاض المدخل تذكر

اسم نصرو[١٨] والتي تشير الى قيامه بتصليحات وترميمات في الباب الشمالي اثر حصار تراجان وما تعرضت له أسوار وأبواب المدينة من دمار بفعل قذائف المدفعية الرومانية • وقد عثر في الباب الشرقي على لوحة مكتوبة تذكر اسم نصرو ايضا وهي تؤكد أعمال الصيانة التي قام بها في تعمير الأسوار والأبواب • ويتكرر مشهد الشخص المضطجع والمتكيء على وسادة في الرسوم المحززة التي عثر عليها منقوشة على جدران بعض مرافق المدينة التي امتدت اليها الحفائر الأثرية ويعتقد بأنها قد عملت في فترة متأخرة من تاريخ المدينة تقليدا لأعمال كانت لا تزال قائمة حينذاك • فقد عثر على مشهدين لشخص مضطجع في احدى غرف الوحدة السكنية المعروفة باسم « بيت معنو » حيث يبدو فيها شخص مضطجع على سرير ومتكأ على وسادة مقسمة الى ثلاثة أقسام أو قد تكون ثلاثة وسائد وضعت الواحدة فوق الاخرى • وقد يعكس المشهدان صورة الأشخاص الجالسين في ايواني بيت معنو المتقابلين[١٩] • وعثر على تصوير جداري بحبر أحمر اللون مرسوما على ملاط الوجه الداخلي للضلع الجنوبي لكوة النسر في الباب الشرقي يمثل شخصا مضطجعا على سرير مرتفع ذي أرجل مزخرفة وهو متكيء على جنبه الأيسر ويضع مرفقه الأيسر على وسادة عالية[٢٠] • ويستدل من معثرها في الكوة ان الشخص الذي رسمها قد أراد أن يستنسخ صورة شخص مضطجع بالنحت البارز ضمن أسكفة المدخل الرئيس للباب الشرقي والذي من المحتمل انه كان يمثل نصرو مريا والمشابهة لتلك التي عثر عليها في الباب الشمالي ، ونعتمد في اقتراحنا هذا على صورة أخرى في الوجه المقابل من الكوة نفسها تمثل هرقل وقد عملت بالحبر الأحمر أيضا وقد تكون تقليدا لتمثال هرقل الذي عثر عليه في كوة قريبة ولكن باختلاف بسيط هو أن هرقل في الصورة يضع هراوته على كتفه بينما يمسك بها في يده اليمنى في تمثاله •

وفي نحتين بارزين صور هـرقل بوضعية مضطجعـة حيث جلس ليستريح في حديقة التفاح الذهبي بعد عناء ومشقة تحملها في سبيل انجاز أعماله الاثنتي عشر البطولية الشاقة(٢١) • وفي تدمر ، اقتصـر اعتماد الوضعية المضطجعة على أمثلة من الفـن الجنائزي حيث ظهـر أفـراد تدمريون منذ بداية القرن الأول للميلاد بتلك الوضعية والتي استمرت حتى القرن الثالث للميلاد وقد طرأ عليها تطورات فنية مهمة خاصة في علاقة الساقين مع بعضها البعض وطريقة تقاطعها(١١) ووصلنا مثال واحد لهذه الوضعية من دورايوروبس يصور اله النهر ويعتقد بعض الباحثين بانه تمثيل لنهـر الفرات(٢٢) • لقـد عـرف الاغريق هـذه الوضعيه واستخدموها في أعمالهم بالنحت البارز والمدور ولكن اللوحة الجدارية التي يظهر فيها الملك اشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ ق•م) تعتبر من أقدم واروع الأمثلة التي وصـلتنا حيث يبـدو فيها الملك الآشوري بوضعيه مضطجعة متكأ على جنبه الايسر وهو يحتفل بانتصاره الحاسم على تيامن الملك العيلامي وتجلس بالقرب منه زوجته(٢٤) • لقد نجح نحات مسلة حيوشا في تصوير الوضعية المستريحة على جنبها وما يتبعها من تغير في وضعيه أعضاء الجسم المختلفة والتي نحتها بشكل متناسب ونفـذ الفنان الشخص المصو ر بوضعيه أمامية ، وهي صفة بارزة للنحت في الحضـر ولكنها مع بعض الاختلاف في وضعية الساقين وامتداد الذراع اليمنى التي يقف عليها النسر ، لذلك تعتبر مسلة حيوشا مثلا للابتعاد ، ولو قليلا ، عن الوضعية الامامية الجامدة •

أما المسلة الأخرى التي عثر عليها في احدى غرف الجانب الشمالي المطلة على الساحة الامامية فمن المحتمل انها قد نحتت في الاصل لتثبت ضمن البناء ليست منتظمة لا في شكلها فحسب وانما في حجم كتلة حجر الحلان التي عملت منها ، فعرضها يتراوح بين ٥٢ – ٦١سم وارتفاعها

٥٨سم (شكل ٣) • على وجه اللوحة نحت بارز لرأس وصدر شخص تشير اليه الكتابة القريبة من رأسه وعلى يمينه باسم عبد عجيلو وتصفه بالقاضي أو العادل • ويعتقد بأنه نفس الشخص الذي عثر على صورته منقوشه على احدى حجرات قوس المدخل الرئيس للمعبد في دوره البنائي الثاني • لقد تعرضت اللوحة الى تهشيم متعمد مما ادى الى تحطيم الوجه وفقدانه اضافة الى اجزاء من خصلات شعره وكذلك الذراع اليمنى المرفوعه للتحية • وامتد تشويه القطعة ليشمل أيضا الكتابة المحفورة في الاسفل والتي تالفت من عدة اسطر وكانت مملوءة بالرصاص واستطعنا قراءة بعض منها بصعوبة بالغة[٢٥] • ومن الغريب ان اسم الاله جندا المكتوبة احرفه بالرصاص لم يتعرض الى الازالة المتعمدة ، ربما خشية من الاله نفسه او احتراما له صفف عبد عجيلو شعر رأسه بتسريحه تالفت من خصلات حلزونية منتظمة تدور حول الرأس بصفين ويرتدي قميصا ذا اكمام طويلة مزين من الامام بأربعة صفوف عمودية من اقراص نحصر بينها زخرفة العنب وتظهر طيات القميص واضحة تحت ذراعه اليمنى المنثنية والمرفوعة الى الأعلى وعلى كتفه الأيسر وذراعه اليسرى أيضا ويبدو حفرها عميقا واضحا نوعما • ويضع حول رقبته طوقا بسيطاً مزخرف في وسطه بقرص قد يكون حجرا كريماً • يثني ذراعه اليسرى عند المرفق ويلصقها بجسمه ويقبض بيده على شيء يبدو بشكل حزمة تتألف من سبعة عناصر ربما لها علاقة بالمنتجات الزراعية أو قد تكون الجزء العلوي من سعفة نخيل ولكنها نحتت بشكل غير مألوف ، ولو لم يكن الشخص المصور بشرا لأفترضنا بأنها تمثل حزمة برق تشابه تلك التي يقبض عليها بعلشمين اله المطر والبرق في الحضر[٢٦] • ويرتدي أيضا سوارا بسيطا خاليا من الزخرفة حول معصمه الايسر ، والى يساره نحتت في سطح اللوحة كوة غائرة ارتفاعها ٥٢سم وعرضها ١٢سم يعلوها

قوس وهي بعمق يتراوح بين ٢ - ٣كم (شكل ٤) وفي داخلها نقش بالنحت البارز الواطيء تمثيلا لهرقل - جندا واقفا بوضعية امامية ويحيط براسه اكليلا يقف عليه نسر ناشر الجناحين • يظهر الاله حافي القدمين يقبض بيده اليمنى على هراوته التي تصل الى الارض ويمسك في اليد الاخرى كأسا وهو يضع جلد الاسد فوق ذراعه حيث يظهر راسه واطرافه متدلية الى الامام • يرتدي الاله الملابس الحضريه الاعتياديه التي تتألف من قميص ذي اكمام طويلة يصل الى فوق الركبتين وتتدلى اجزاء منها بين الساقين وقد أوضح النحات طيات الثياب على شكل خطوط منحنية متوازية طويلة •

لقد اثبتت الدراسات الفنية التي تعتمد على الادلة الآثاريه والكتابية على تطابق هرقل مع جندا اله الحظ في الحضر ولوحتنا هذه تعزز من اقتراحنا السابق بشان تطابق الالهين وان تنقيبات هذا المعبد تلقي اضواءا جديدة حول العبادة الطقوسية المهمة التي جرت فيه والمكرسة لهرقل - جندا[٢٧] • لقد عثر على العديد من تماثيل ومنحوتات تصور هرقل عاريا حيث يبدو فيها حاملا مميزاته المعروفة وهي جلد الأسد والهراوة وفيها تطابق مع نرجول اله العالم الأسفل في الأساطير العراقية القديمه[٢٨] ، ولكن هرقل الذي يرتدي الملابس بتطابق دائما مع جندا اله الحظ • والى الجهة اليسرى من رأس عبد عجيلو كتابة تذكر « عدنا د جندا د رمجو » أي « مقام جندا العائد الى رمجو »[٢٩] • وهذه هي الاشارة الاولى التي يرد فيها كلمة « عدنا » في كتابات الحضر والتي تدل على المزار أو المعبد[٣٠] • نحت هذه اللوحة نحات أسمه « أبا » في شهر حزيران من سنة ٤٥٦ اي سنة ٢٣٤/٢٣٥ ميلادي كما تذكر الكتابات المنقوشة على اللوحة • ان هذه اللوحة مهمة لعدة أسباب فهي تصور لنا ولأول مرة ضمن منحوتات الحضر ، متعبدا وخلفه تمثال اله المعبد وكذلك لأنها تقوي من اقتراحنا السابق حول تطابق هرقل مع جندا اله الحظ عند العرب •

الهوامش :

(1) "Excavations in Iraq 1981-82" Iraq Vol. XLV, Parta, 1983, p. allf.

(٢) أود أن أسجل عميق شكري وامتناني اليـه لموافقتـه على قيامي بدراسة ونشـر منحوتات معبد جنـدا • ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ حازم النجفي أحال نفسه على التقاعد بعد سنوات طويلـة من الخدمة في دائرة الآثار اتسمت بالعطاء المتواصل والعمل المضني الدؤوب •

(٣) حول المعابد الصغيرة من الأول الى الحادي عشر ، يراجع فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ـ الحضر ـ مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ص٣٥٠ ـ ٣٦٩ ، أما الثاني عشر فأنظر :

Wathiq Al-Salihi, "The Shrine of Nebo at Hatra" Iraq, XLV, 1983, pp. 140-145.

(3) Wathiq Al-Salihi, "Palwyrcne Sculptnres found at Hatra", Iraq, XLIx (1987 p. 53.

(٥) واثق الصالحي ، « كتـابات الحضـر » سومر (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦) الكتابة المرقمة [٤٠٦] ، ص٩٩ •

(٦) المصدر السابق ، الكتابة المرقمة [٤٠٧] ص٩٩ •

(7) Excavations in Iraq", Iraq, p. 212.

(٨) سفر ومصطفى ـ ص٣٥٧ـ٣٥٨ ، ٣٦٢ـ٣٦٣ ، ٣٦٥ •

(٩) واثق الصالحي « كتابات الحضر » ، الكتابة المرقمـة [٤١٥] ص ١٠٨/١٠٩ •

(١٠) المصدر السابق ، الكتابة [٤٠٨] ص٩٩ـ١٠٢ •

(١١) المصدر السابق ، الكتابة [٤١٢] ، ص١٠٥ •

(١٢) سفر ومصطفى ، ص٢١٢ •

(١٣) المصدر السابق ، الكتابة [٣] ص٤٠٥ •

(١٤) واثق الصالحي ، « كتابات الحضر » سومر ، ٣٤ (١٩٧٨) [٣٣٦] ،
ص٦٩-٧٠ •

(١٥) جابر خليـل ابراهيم ، « نصـان قانونيان » سومر ، ٣٨ (١٨٩٢)
ص١٢٢-١٢٣ •

(١٦) سفر ومصطفى ، ص٢٤٧ •

(١٧) راثق الصالحي « التنقيب في الباب الشمالي » سومر ٣٦ (١٩٨٠)
ص١٧٦-١٧٧ (شكل ٣٢) - والأثر معـروض في احـد اواوين
الحضر •

(١٨) راثق الصالحي « كتابات الحضر » ، سومر ، ٣١ (١٩٧٥) [٣٣٥]
ص١٨٧-١٨٨ •

(19) J. K. Ibrahim, Pre-Islamic Settlments in the Jezira, Baghdad, 1986 pl. 169, p. 417.

وماجد الشمس ، « رسوم عربية من الحضر » ، سومر ٣٧ (١٩٨١)
ص١٤٨ ، شكل ١٩ ، ٢٠ •

(20) Ibrahim, op. cit, pl. 174, p. 422.

والشمس ، المصدر السابق ، ص١٤٨ ، شكل ٢١ •

(٢١) سفر ومصطفى ، ص١١٧ ، ص٢٤٢ •

Wathiq Al-Salihi, "Aspects of Hatran Relijion" Sumer (22), 1970, p. 187-188.

(22) Malcdm Colledge, The Art of Palmyra London, 1976, p. 136.

(23) Susan Downey, Stone and Plastre Sculpture, Excavations at Dura-Europos, Los Angeles, 1977, p. 78-79.

(24) Eva Strommenger, The Art of Mesopotamia London, 1964, Pl. 241, p. 252.

٢٥ـ واثق الصالحي « كتــابات الحضــر » ســومر ، ٤٤ ، [٤١٣] ص ١٠٥ـ١٠٧ •

(٢٦) واثق الصالحي « بعلشمين ـ اله البرق والمطر في الحضر » مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٥ (١٩٧٩) ص٤٥٠ـ٤٦٨ •

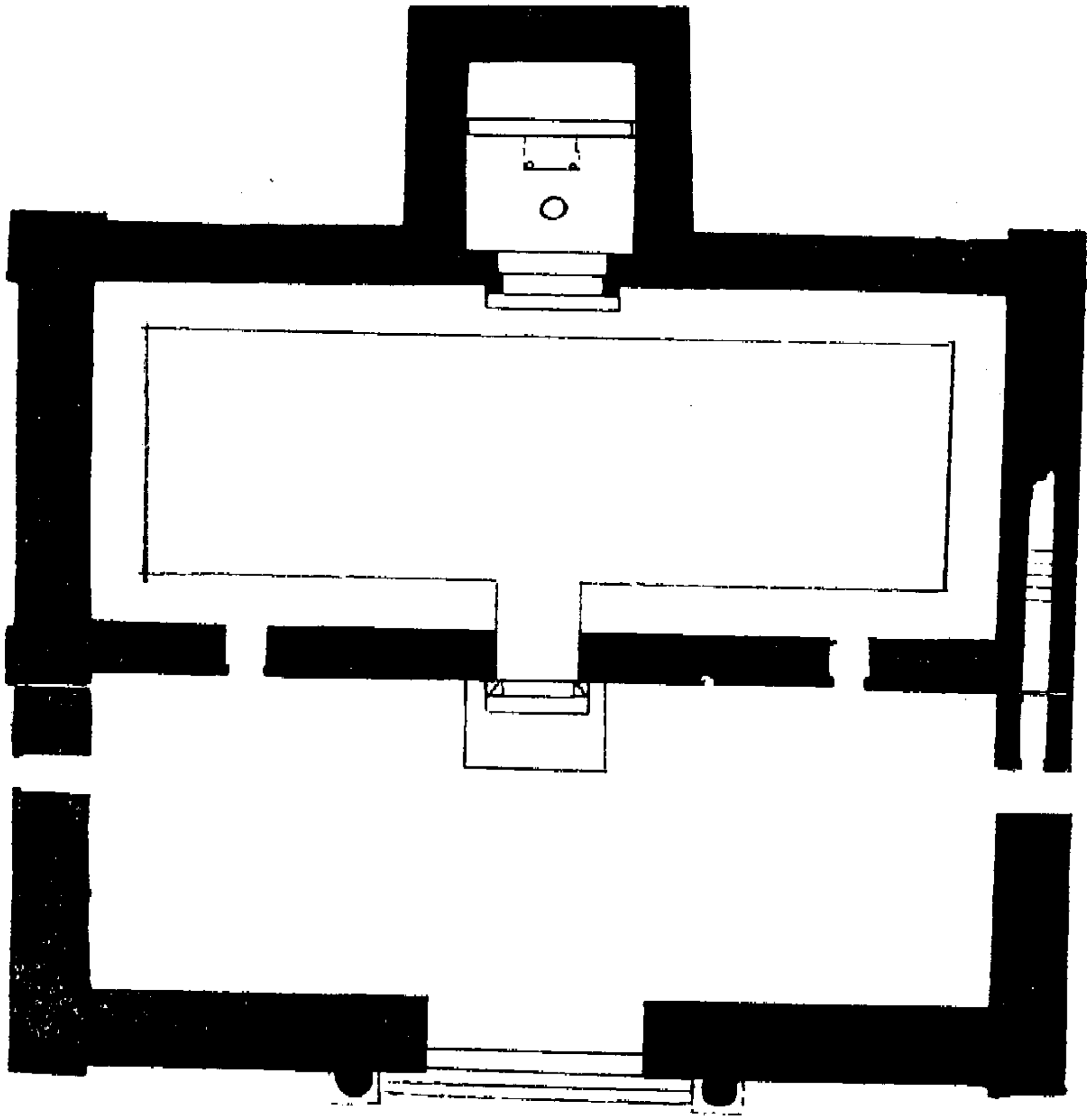
(٢٧) واثق الصالحي ، « هرقل ـ جندا اله الحظ في الحضر » سومر ٢٩ (١٩٧٣) ص١٥١ـ١٥٥ •

Wathig Al-Salihi "Further Notcs on Hercules-Gnda at Hatra", Sumer, 38 (1982) pp. 137-140.

(28) Wathig Al-Salihi, "Hercules-Nergal at Hatra II", Iraq, xxxv, (1973) p. 65-69.

(٢٩) واثق الصالحي « كتابات الحضر » ، [٤١٣] ص١٠٦ •

(٣٠) لقد وردت هذه الكلمة في كتابة وجدت في السعدية القريبة من الحضــر ، انظــر فؤاد سفر ، « كتابة من السعدية » سومر ١٧ (١٩٦١) ص٢٨ـ٣٣ •



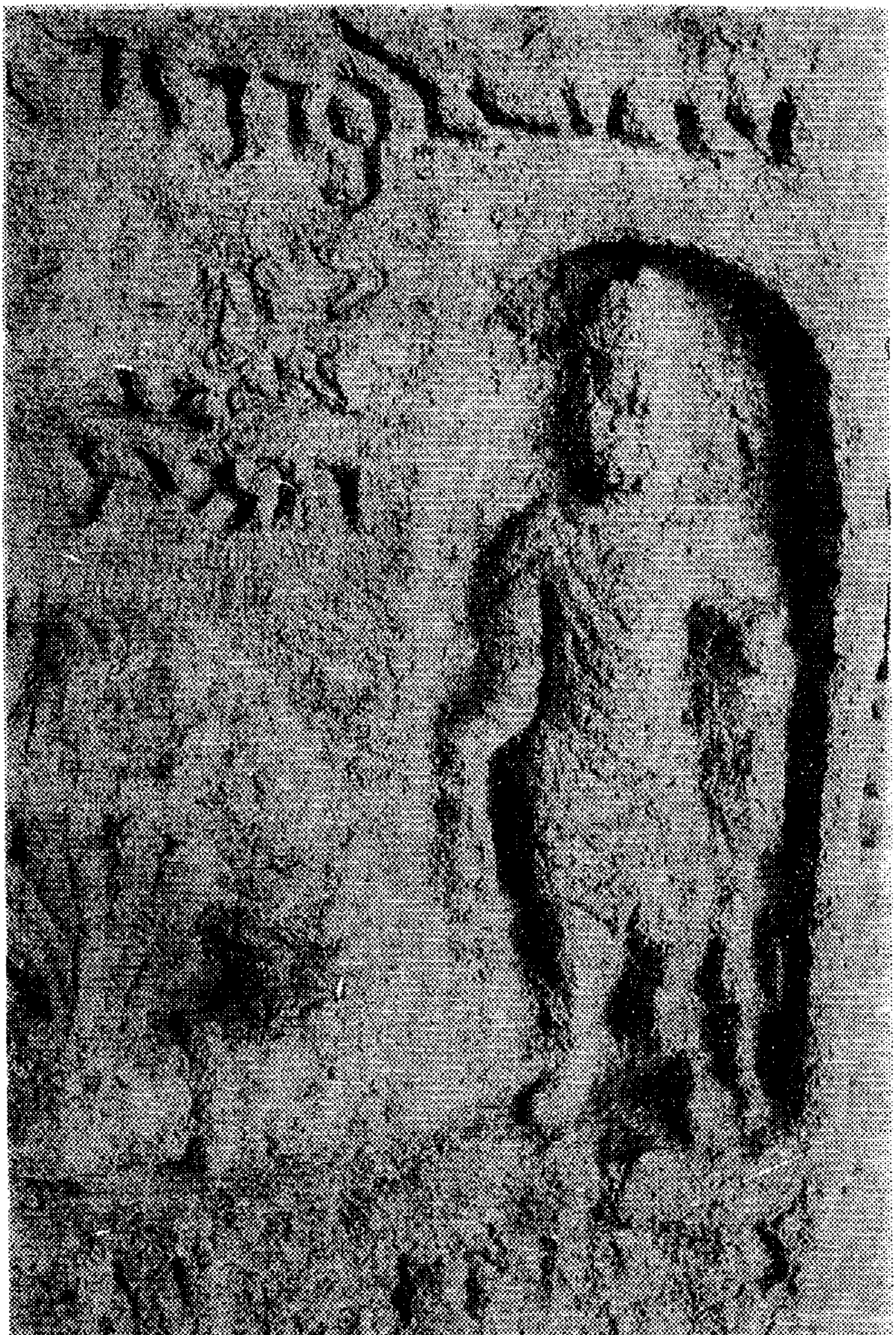
شكل (١) المخطط الأرضي لمعبد جندا



شكل (٢) مسلة حيوشا المضطجع من معبد جندا



شكل (٣) مسلة عبد عجيو من معبد جندا



شكل (٤) تفاصيل لمسلة عبد عجيلو ويظهر فيها نقش لهرقل ـ جندا

الرايات والالوية وشعارات الحرب عند العرب

د. فاروق عمر فوزي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقدمة :

الراية لغةً هي العلم والجمع رايات[١] ، ويشير ابن منظور في (لسان العرب) الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة خيبر ضد اليهود قوله .. « سأعطي الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله » . فالراية هنا العلم .

اما اللواء فهو لواء الأمير . والجمع ألوية .. ولا يمسك اللواء الا صاحب الجيش[٢] والهدف منه معرفة مكان الرئيس أو الأمير واشهار موضعه لكي يعرفه الجند .

يقول الشاعر :

حتى اذا رفع اللواء رايته
تحت اللواء على الخميس زعيماً

وكانت بعض العرب تسميه « لواي » يقول الشاعر :

غداة تسايلت من كل أوب
كتائب عاقدين لهم لوايا[٣]

من ذلك نلاحظ بأن الراية هي الوحدة أو الكتيبة أو القبيلة المقاتلة ويحملها أحد المقاتلة المعروفين بشجاعتهم ، أما اللواء فهو رمز للأمير قائد

الجيش • قال الطريحي في مجمع البحرين[٤] :

« الراية هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها واليها تميل المقاتلة • والمواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار » •

يقول الدكتور مصطفى جواد[٥] :

« راية الجيش ملاذ له عند التفرق والاضطراب ومجمعة لقلوبه وعلامة لتميزه عن غيره ومفخرة له حين التقدم واحمرار البأس بالموت الأحمـر ومهيجة للنفس ومشجعة للقلوب • فكأين من جيش استخدم لسقوط رايته وكم خميس تشتت بقتل صاحب لوائه •

فلذلك كان القائد والامير والخليفة لا يسلم رايته الا الى رجـل ونيق أيد شجاع يتقدم بها الى عدوه بقلب صبور وعزم غيور ويرى الموت سلماً الى الفخر وشامخ الذكر ••• » •

لقد اشرنا سابقا الى تمييز النبي (ص) لصاحب الراية • وفي رواية تاريخية ان أبي بكـر الصديق (رض) كان يعقـد الالوية بنفسه لقادة جيوشه التي ارسلها الى بلاد الشام • فقد عقد أربعة ألوية لأربعة رجال :

اللواء الأول ليزيد بن ابي سفيان وأوصاه خيراً ثم قال له :

« اذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة المأكول ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون انهم ترهبوا في الله ولا تهدموا صوامعهم »[٦] •

اللواء الثاني لشرحبيل بن حسنة وأوصاه قائلا :

« اوصيك بالصبر يوم البأس حتى تظفر او تقتل »[٧] •

اللواء الثالث لأبي عبيدة عامر بن الجراح وقال له :

« انك تخرج في اشراف الناس وبيوتات العرب وصلحاء المسلمين وفرسان الجاهلية ... أحسن صحبة من صحبك وليكن الناس عندك في الحق سواء واستعن بالله »[٨] .

اللواء الرابع لعمرو بن العاص وما قاله له :

« يا عمرو انك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب . وقد خرجت مع اشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على اخوانك فلا تألهم فضيحه ولا تدخر عنهم صالح مشورة فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور »[٩] .

ومن وصايا علي بن أبي طالب (رض) في الراية قوله :

« ورايتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم المانعي الذمار والصبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفزون برايتكم ويكشفونها : يضربون خلفها وأمامها ولا يضيعونها »[١٠] .

والمعروف أن لكل قبيلة عربية قبل الاسلام راية خاصة تميزها عن سائر القبائل بلونها وكانت تعقد على رمح وتناط الى مقاتل شجاع . وللرايات مقام رفيع وتبجيل كبير عند العرب في الحرب والسلم . وكانت القبائل أثناء المعركة تعرف براياتها . فكان المقاتل يعرف موضع قبيلته اذا احتدمت المعركة ويقاتل معها في الكر والفر . وقد استمر تقليد الرايات في الاسلام حيث تشير العديد من الروايات التاريخية الى عقد الألوية للقادة وعقد الرايات للقبائل مع ألوانها وصفاتها وأسمائها .

ألوان الرايات والألوية وأسمائها :

ان غموض الروايات التاريخية وندرتها حول ألوان الرايات والألوية وصفاتها هي السبب في قلة الابحاث حول هذا الموضوع وخاصة في فترة صدر الاسلام .

على ان الاستاذ الدكتور مارتن هانيز من جامعة كمبردج كتب مقالة عن هـدا الموضوع معتمـداً على نسختين من مخطوطه واحدة مجهولة العنوان والمؤلف • وهذه المخطوطة تشابه في متنها وأسانيدها ـ مع اختلاف في ترييب الاحداث وأضافات أخرى ـ كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م) • ويعتقد الدكتور هاينز ان هذه المخطوطة اما ان نكون نسخة أكبر من النسخة المعروفة لحد الآن عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم أو ان تكون مخطوطة أخرى لمؤلف آخر مجهول الا انه معاصراً لنصر بن مزاحم المنقري[١١] •

وبقدر ما يتعلق الأمر بموضوع بحثنا فالواقع ان الذي يهمنا من هذه المخطوطة هو الفصل المهم والذي يقع تحت عنوان :

« ••• تعبية وضع الرايات وعقد الألوية على مراتب الأمراء والقواد والرؤساء والاجناد وصور الرايات بصفاتها وألوانها وأسمايها في الجاهلية والاسلام »[١٢] •

وفي هذا الفصل تفاصيل جيدة عن رايات القبائل وشعاراتها قبـل الاسلام وبعده وقد أورد الدكتور هاينز هذا الفصل كاملا في آخر مقالته وقد عمدنا الى الاستفادة مما ورد فيها في بحثنا هذا •

ولعلنا نبـدأ كلامنـا بالقـول أن الرسول (ص) كان ـ على اثبت الروايات التاريخية ـ له راية سوداء ولواء أبيض • وكانت راية الرسول (ص) السوداء تسمى (العقاب) • ومع أن النبي (ص) كان في الرايات الى السواد أميل ، الا ان ذلك لا يعني ان راياته كانت كلها بلون واحد • فراية فتح مكة وكذلك اللواء كانا سوداوان • ولكن الرسول (ص) حين جهز جيش مؤته جعل الراية بيضاء • وعلى ذلك فهناك معلومات عن رايات بيضاء وصفراء وعن لواء أسود للرسول (ص)[١٣] •

ووصفت الراية بأنها خرقة أو قطعة مربعة أو مستطيلة أو غير ذلك وان حجمها كبيراً • اما اللواء فكان عبارة عن أشرطة بحجم مناسب تربط في اعلى الرمح •

وكان لواء الرسول (ص) يسمى « اللواء الاعظم » • قال محمد بن عثمان فحدثني الهيثم بن عدي عن محمد بن اسحق عن ابن عباس عن محمد بن المعاش ان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبيض ورايته سوداء(١٤) •

اما قريش فكانت رايتها بيضاء ولوائها أسود • وقد اشارت الروايات الى لواء قريش الأسود يوم الفجار قبل الاسلام كان مع علقمة بن كلدة ابن عبد مناف واشارت الى رايتهـا البيضاء يوم اليرموك حيث كانت مع فراس بن النضر بن الحارث ابن كلدة • وكانت نفس الراية يوم اليمامة مع طلحة بن عثمان •

اما راية الانصار الاوس والخزرج فيقول الواقدي بأنهما خضراء وحمراء على التوالي في فترة ما قبـل الاسلام وقد حافظوا عليهما بعـد الأسلام • على ان هناك رواية تاريخية أخرى تشير ان الرسول (ص) أعطى الانصار راية صفراء • ولكن الراية التي عقدها الرسول (ص) لعبدالله بن جحش كانت خضراء وأصبحت فيما بعد راية بني أسد جميعا • كما وان راية الانصار في حرب صفين كانت سوداء وبيضاء مستطيلة •

وكانت راية بني محارب التي يقال لها (الضياء) وهي سوداء فيها عينان حمراوان ذات عذبتين حمراوين • وكانت يوم صفين الى عايذ بن سعيد بن جندب فقتل وهو يحملها فأعطيت الى علي بن شعم فأقبل وهي معه فأستقبلته ذريفة ابنة عايذ فقالت اين أبي فقال ابن شقم :

وقايلة هل أب في الجيش عايذ

الا غاله عنـك السنان المحـرب

سصى ورماح القوم تشرع نحوه

وكـان غـداة الروع لا يتهيب

وكانت راية بني تغلب في فترة ما قبل الاسلام بيضاء فخصبوها بحمـرة فجعلت حمراء وبيضاء وفيها يقول عمرو بن كلثوم :

وكنـا نورد الرايات بيضـاً

ونصدرهن حمـراً قـد روينـا

وكانت راية النخع ذات ثلاث عذبات صفر كلها ليس لها حواشي •

اما راية الاشعريين فكانت خرقة خصراء وبيضاء وحمراء وفي الوسط هلال أحمر عقدها رسول الله (ص) لأبي عامر الأشعري •

وكانت راية همدان مدبجة بالحمرة والخضرة والصفرة والسواد وكان شعارهم « يا مجالد » وفي ذلك قال عمير بن أفلح :

وكيف تهـابوا القـوم لله انتم

وألف كمي من معـد كواحد

من الحي همدان بن زيد اذا انتمت

فوارس تدعو في الوغـا لمجالد

وكان حامل راية طي في صدر الاسلام عدي بن حاتم الطائي وكانت رايتهم حزمة سوداء وبيضاء وحمراء في السواد هلال أبيض وثلاث عذبات سوداء وبيضاء وحمراء •

ويعمـل الواء أحيانا عمـل الراية وذلك حين يكـون زعيم القبيلة

صاحب رأي وتدبير في الحرب وله لواء معروف به متميز له • فالاشعث ابن قيس الكندي كان له لواء أسود وقد ظل هذا اللواء مرفوعا كراية للندة في معركة صفين •

وفي رواية تاريخية ان حمير وعمير قدمتا على رسول الله (ص) فعقد لهما لواءين طولهما بين الرمح والسنان أصفرين •

وكانت راية قضاعة بيضاء ذات عذبتين بيضاء حمراء اما راية الازد فكانت صفراء مربعة وكان رسول الله (ص) قد جعل شعارهم جميعا « مبرور » •

اما لواء بني سليم من مضر فهو ابيض فخضبوه دماً يوم حنين فهو أحمر ليس لاحد من العرب لواء أحمر غيره ومنه النبي (ص) يوم حنين الى معاوية بن الحكم • وبنو سليم ينشدون فيه شعراً :

ونحن خضبناها دماً فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجرة

وقال عباس بن مرداس السلمي مشيراً الى شعار سليم وهو مقدم :

تظل السيوف اذا قصرن بخطونا
نحو المنية مظلم يتقدم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه
وشعارهم يوم اللقاء مقدّم

وكانت راية غسان بيضاء جانباها أحمران(١٥) •

وبمرور الزمن ومع بقاء هذه الرايات القبلية فأن القبائل بدأت

ستقر في الأقاليم الجديدة مثل العراق وبلاد الشـام وخراسان ومصر ، ولهذا نلاحظ ظهور رايات عامة تدل على جند الاقليم ككل . ففي رواية تاريخية[١٦] ان رايات جند العراق كانت سوداء وحمراء وداكنة . كما برزت علامات خاصة بجنـد الاقليم وخاصة أثناء المعركة لكي يعـرف بعضهم الآخر ويتبينوا الطرف الآخر . تشـير رواية ان علامات جنـد العراق كانت الصوف الأبيض وعلامات جند الشام الخرق الصفر[١٧] . وان علامات بعض الخيالة في عسكر معاوية الخضرة[١٨] .

وقد ظهرت قبل ذلك رايات تجمع القبيلة بأجمعها مثلا « راية بني أسد جميعاً » . أو فيما يخص بني بكر هناك « الراية التي تجمع بكر بن وائل قاطبـة » . وكان للرسول (ص) « اللواء الأعظم » الذي يجمع كل المقاتلة المسلمين في بدر وأُحد ورفعه علي بن أبي طالب (رض) في معاركه فيما بعد . وكان لمعاوية بن أبي سـفيان لواء سماه « اللواء الاعظم لواء الجماعه » . وكان لبعض الرايات أسماء تعرف بها ، فراية الرسول (ص) السوداء تسمى « العقاب » . وفي رايه حضرموت عينان ولهذا كانت تسمى « الضياء » وراية همدان كانت تسمى « الحون » ، اما بنو كلاب فرايتهم تسمى « السعور » . ويبدو أن بعض الرايات كانت لها أسماء بينما لم تسمى ارايات الأخرى بأسماء معينة رغم ان هـذا التقليد استمر حتى بدايات العصـر العباسي[١٩] . فحـين ارسل ابراهيم الامام رايتين الى سليمان بن كثير الخزعي نقيب النقباء بخراسان اعطاهما اسمين متميزين هما « الظل » و « السحاب »[٢٠] .

شعارات القبائل ونداءاتها في المعركة :

يقدم لنا فصل « ذكر التعبئة الثانية » من المخطوطة معلومات مهمة عن شعارات القبائل ونداءاتها أثناء المعركة .

وشعارات العرب وصيحاتها أثنـاء الحروب قديمة ولدينا معلومات عنهـا في فترة ما قبل الاسلام وهذه الشعارات التي يتنادى بها المقاتة أثنـاء المعركة ضرورية ومهمـة لكي يعـرف المقاتل اخوانه في السلاح الذين يقاتلون حوله • كما وانها ضرورية حين يقع المقاتل أو جماعة من المقاتلين في محنة أثناء المعركة فيستغيث طالباً النجدة من أبناء قبيلته أو وحدته ، فيثير فيهم النخوة والشجاعة والشهامة •

وكان الشعار عـادة يرمز الى بطل اسطوري أو قديم من أجـداد القبيلة تتعارف عليـه القبيلة وينتقل من جيـل الى آخر مثل يا آل خزيمة يا آل ربيعة وهكـذا • ويعتبر الشـعار رمزاً لذكريات الماضي المجيـدة ومواقف القبيلة البطولية ولذلك يستثير الحماس والنخوة لدى أبنائها •

وحين جـاء الاسلام لم يقف الرسول (ص) موقفا معارضا لها بل أراد لها ان تتفق مع تعاليم الاسـلام ومبـادئه • لذلك عدّل وغيّر من بعض هذه الشعارات التي لها دلالات وثنيـة أو غيرها مما لا تنسجم مع روح الاسـلام وتتفق مع روح الجاهليـة ودعاواها[٢١] • فقـد جعل الرسول (ص) شعار المهاجرين الجديد « يا بني عبدالرحمن » وشعار الخزرج « يا بني عبدالله » وشعار الاوس « يا بني عبيدالله » • كما بدل شعار جهينة أو مزينة من « يا حرام » الى « يا حلال »[٢٢] •

وبعد فتح مكة لم يبق مبرر لشعارات قريش أمثال يا آل العـزة ويا آل هبل •

كما أعطى الرسول (ص) للازد شعارا جديدا هو « مبرور » • وبعد معركة حنين منح الرسول (ص) لبني سليم شعارا جديدا هو « مقدم » مما يدل على دورها المتميز أثناء المعركة[٢٣] •

وفيما عـدا ما اشرنا اليه فليس هناك في مصادرنا التاريخية ما يشـير

الى أن الاسلام وقف موقفا معارضا من الشعارات والدعوات والنداءات التي استخدمتها القبائل اثناء المعارك • ورغم ما يذكره جولد تسيهر[٢٤] معتمدا على حديث في صحيح البخاري فان موقف الرسول (ص) لم يكن عاما كما اشرنا ، بل يخص بعض الشعارات والنداءات التي لا تنسجم مع مبادىء الاسلام •• بل ان هذه الشعارات استمرت كما يشير الى ذلك الواقدي وابن حبيب وصاحب مخطوطة وقعة صفين[٢٥] •

وفيما يلي شعارات الحرب عند العرب كما جاءت في فصل « ذكر التعبية » من المخطوطة التي اشار اليها الدكتور هاينز[٢٦] :

شعار ورثة النبي	يا محمد يا منصور
شعار بني هاشم	هذا الله
شعار بني عبدالمطلب	يا محمد يا مهدي
شعار الانصار	يمن من الله
شعار كنانة	رحمة الله
شعار هذيل	نبهان ذو الحسين
شعار حنظلة	نبهان ذو العينان
شعار سعد بن زيد	معروف
شعار محارب	حلب أو محارب بن خصافة حلف
شعار عبدالقيس	كوكب
شعار شيبان	فريق
شعار بنو يشكر	يا ذا الرقاع
شعار سعد بن مالك	حدرجان (معناه القصير)
شعار بنو عجل	مقدم
شعار بنو كلب	جماعة صقهب (معناه الطويل)
شعار نخع	رباح

شعار الاشعريين	مهاجر
شعار عك	ثواب
شعار جعفي	كوكبان
شعار خثعم	جحفل
شعار همدان	يا مجالد
شعار طي	فيّاض
شعار خزاعة	يا منصور
شعار كندة	يا سائر جرير
شعار حضرموت	صفوان
شعار ثقيف	احمد
شعار باهلة	فرياد
شعار سلول	ريان او ربّان ذو الرمحين
شعار ذهل	سياسة
شعار كلاب بن عامر	جماعة مسلم
شعار الكلاعيين	حمْير
شعار قضاعة	يا مهدي يا راشد
شعار الازد	مبرور
شعار بجيله	يعلا
شعار سليم	مقدّم
شعار غسان	مسعدان
شعار جذام	ربان

ويبدو من هذه الشعارات أن بعضها كان يرمز الى شخص معين من أجداد القبيلة الذين ميزوا أنفسهم بالشجاعة والنخوة ، أما البعض الآخر فربما كانت ألقاباً لهؤلاء الابطال من أجداد القبيلة والذين تذكرهم كتب النسب والتراجم بأسمائهم الحقيقية وليس بألقابهم .

الخاتمــة :

نستنتج من الروايات التاريخيه آنفة الذكر أن اللواء كان رمزاً لامارة القيادة ورمزا لكل الجيش • اما الراية فكانت رمزا لأمير أو شيخ القبيلة رصاحب الحرب فيها • وكانت الرايات والألوية وشعارات الحرب معروفة لدى العرب قبل الاسلام وقد أبقاها الاسلام ، بصورة عامة ، على حالها بعد ان عدّل فيهـا وغيّـر ما لا يتناسب مع تعاليم الاسلام ومبادئه ويعود سبب استخدام الدولة العربية الاسلامية لها لأسباب عديدة[٢٧] :

أولها ــ انها شعار الحرب ومن ضرورات المعركة حيث يتعرف عن طريقها المقاتل على اخوانها من أعدائها •

ثانيها ــ انها ذات تأثير نفسي على المقاتل حيث ترفع من معنوياتهم وتزيد من بسالتهم وتضعف معنويات عدوهم •

ثالثها ــ ان اكثـار الرايات والألوية وتلوينهـا تزيد من فعاليات المقاتلة واقدامهم وتساعد على تجمعهم واندفاعهم في الدفاع عنها وحمايتها •

رابعها ــ ان الاكثار منها دلالة على سعة الدولة وعظمة الأمة •

خامسها ــ ان الراية تميز الوحدة المقاتلة ومنها يعرف مقدار استبسالها أو تخاذلها أثناء المعركة •

وكانت الراية أو اللواء يعقد على رمح طويل يرفعه صاحبه أثنـاء المعركة ليكون بمثابة علامة للجند ومرجعا لهم عند اشتداد القتال[٢٨] •

وفي رواية تاريخية ان أحد الانصار اقسم ان يرفع للرسول (ص) راية عنـد دخوله المدينـة مهاجرا فنشر عمامته على رمحه وسـار أمام الرسول (ص) فكان أول لواء عقد في الاسلام[٢٩] •

وقد استمرت العادة المتبعة هي ان يقلد الرسول (ص) اللواء الى

القائد الذي يختاره ففي غزوة بدر كان لواء الرسول (ص) الأبيض مع مصعب بن عمير من المهاجرين ورايته السوداء (العقاب) مع علي بن أبي طالب (رض) وراية سوداء أخرى مع سعد بن معاذ من الانصار[٣٠] .

وفي غزوة تبوك سنة ٩هـ رفع الرسول (ص) لواءه الى أبي بكر الصديق (رض) ورايته العظمى الى الزبير بن العوام . اما في يوم حنين ويوم فتح مكة فكانت رايته السوداء على حد قول بعض الروايات مع عمه العباس بن عبدالمطلب (رض)[٣١] .

وعندما بعث الرسول (ص) أسامة بن زيد الى البلقاء عقد له لواءً اشعاراً بالقيادة العامة للمقاتلة . فركز اسامة اللواء بالجرف (خارج المدينة) ليتجمع حوله المقاتلة المجاهدون . وعندما توفي الرسول (ص) وعاد أسامة بالجيش ركزه أمام بيت النبي (ص) حتى بويع أبو بكر بالخلافة فطلب من اسامة ان يركزه أمام بيته استعدادا للجهاد كما أمر رسول الله (ص) بذلك[٣٢] .

وحين ارتدت بعض القبائل على عهد أبي بكر الصديق (رض) وعزم على قتالهم ركز لواء القيادة في مسجد رسول الله (ص) ثم خرج بالمجاهدين الى (ذي القصة) وقسمهم الى احدى عشر فرقة وركز لكل قائد لواء . فكان اللواء الأول لخالد بن الوليد واللواء الثاني لعكرمة بن أبي جهل والثالث لشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم جميعا .

وفي عهد عمر بن الخطاب (رض) كانت فتوحات العراق والشام .. وفي رواية تاريخية ان خالد بن الوليد كان يرفع في معركة اليرموك رايه الرسول (ص) العقاب والتي كانت بيد خالد في معركة خيبر كذلك[٣٣] .

اما راية الانصار في اليرموك فكانت (خضراء) وراية المهاجرين (صفراء) وفيها أبيض وأخضر وأسود . أما راية أبي عبيدة عامر بن

الجراح فكانت صفراء وهي راية للرسول (ص) كذلك .

كما عقد عمر بن الخطاب (رض) للقائد سعيد بن عامر راية (حمراء) على قناة تامة وأرسله لليرموك نجدة لهم[٣٤] .

وكان عمر بن الخطاب (رض) وسائر الخلفاء قبله وبعده يزودون القادة بالتوجيهات حين يسلمون لهم الالوية ، ففي رواية ان عمر كان يقول عند عقده لأي لواء :

« بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله وبالنصر الامين عند الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »[٣٥]

وقد سار هذا التقليد في المجتمع العربي الاسلامي بحيث أصبح لكل دولة راية خاصة بها كما اوضحنا ذلك في مقال سابق منشور .

الهوامش والتعليقات :

(١) راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة ١٥٥٦ ، ج١٤ ص٣٥١ـ ٣٥٢ • ـ الفيروزبادي ، القاموس المحيط ج٢ ص٣٣١ ، ج٤ ص ٣٣٨ • ـ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص١٦٠ •

(٢) راجع : لسان العرب ، ج١٥ ص٢٦٦ • ـ القاموس المحيط ، ج٤ ص٣٨٧ • ـ تاج العروس ، ج١٠ ص٣٣٤ • انظر كذلك
E. I. (1) Liwa

(٣) تاج العروس ، ج١٠ ص٣٣٤ •

(٤) راجع : مصطفى جواد ، الراية واللواء وامثالهما ، مجلة لغة العرب ج٨ السنة التاسعة ١٩٣١ ص٥٧٣ـ٥٧٤ •

(٥) المصدر السابق ، ص٥٧٤ •

(٦) الازدي ، فتوح الشـــام ، القاهـــرة ١٩٧٠ ، ص١١ ، ص١٣ • ـ الواقدي ، فتوح الشام ، ص٨ •

(٧) الازدي ، المصدر السابق ، ص١٥ •

(٨) المصدر السابق ، ص١٧ •

(٩) المصدر السابق ، ص٥٠ •

(١٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص٤٨٣ عن كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم •

(11) M. Hinds,. The banners and battle cries of the Arabs...., al-Abhath, Beisut. Vol. XXIV. 1971 p. 4.

(١٢) وقد حقق الدكتور هانيز هذا الفصل ونشره كملحق لبحثه آنف الذكر (هامش ١١) •

(١٣) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ص٨ • ـ الواقدي ، مغازي رسول الله ،

مصر ١٩٤٨ ، ص٤٢ • ـ النويري نهاية الارب ج١٧ ص٢٧٩ • ـ الواقدي ، فتوح الشام ج١ ص٢٠٣ ، • ـ صبح الاعشى ج٣ ص٢٧٠ • ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ص٢٠٧ـ ٢٠٨ ، ج٣ ص٤٠٣ •

(١٤) راجع : فصل ذكر التعبية ، تحقيق مارتن هاينز ، مجلة الابحاث ، ١٩٧١ ، ص١٧ـ١٨ •

(١٥) عن هذه الروايات راجع ذكر التعبية • تحقيق د• هاينز في مجلة الابحاث •

(١٦) راجع وقعة صفين ص٣٣٢ عن عمرو بن شمير •

(١٧) المصدر السابق •

(١٨) ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ، ج٢ ص٢٧١ فما بعد •

(١٩) Hinds. op. Cit. p. 11.

(٢٠) راجع فاروق عمر ، الالوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي •• في بحوث في التاريخ العباسي ، بيروت ١٩٧٧ •

(21) Goldziher. Muhammedanische Studien. English trans. London. 1967. 1. pp. 63-62.

(٢٢) راجع د• هاينز ، المصدر السابق ، ص١٣ (هامش ٦٤) •

(٢٣) ابن سعد ، طبقات ، ج٢ القسم الاول ص٢٩ ، ٧١ ، ٤٩ •

(٢٤) كولدتسيهر ، المصدر السابق • ـ هاينز ، المصدر السابق ، ص١٤ •

(٢٥) الواقدي ، المغازي ، ص٨٩٩ • ـ ابن حبيبة المحبر ، طبعة حيدر اباد ، ص٣٠٩ فما بعد •

(٢٦) راجع فصل ذكر التعبية من المخطوطة في آخر بحث د• هاينز في مجلة الابحاث ، ٢٤ ، ٧١ •

(٢٧) حازم ابراهيم العازف ، الجيش العربي الاسلامي ، ١٩٨٥ ، ص٨٢ •

الفائقة ولذلك نلاحظ في رواية تاريخية ان عمرو بن العاص صمد في أحد المعارك ضد الروم أثناء تحرير بلاد الشام وكان معه أصحاب الرايات صمود بطوليا مما جعل بقية المقاتلة المسلمين يعودون الى ساحة المعركة بعد ان انسحبوا منها في البداية بسبب قوة زخم العدو . (راجع : الازدي والواقدي في فتوح الشام) .

(٢٩) الادريسي ، التراتيب الادارية ، طبعة فاس ج١ ص٣١٧ .

(٣٠) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ص٨ . – الواقدي ، المغازي ، طبعة السعادة، ص٤٢ ، الحلبي السيرة الحلبية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ج٢ ص١٥٧ .

(٣١) صبح الاعشى ، ج٣ ص٢٧٠ .

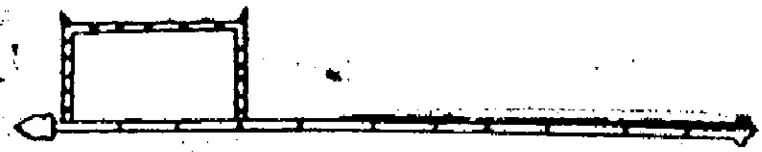
(٣٢) ابن سعد ، الطبقات ، ليدن – ج٢ ص١٣٦ فما بعد .

(٣٣) الواقدي ، فتوح الشام ، ج١ ص٢٠٢ .

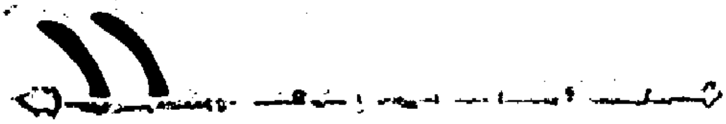
(٣٤) المصدر نفسه .

(٣٥) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ص١٠٧ .

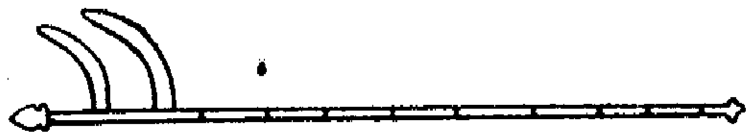
راية قريش



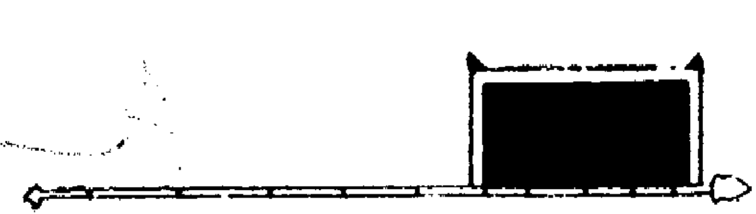
لواء قريش



راية رسول الله



لواء رسول الله



القائد ... الامة ... في القادسية ونهاوند

الاستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالكريم العاني

عميد كلية التربية / جامعة بغداد

المقدمة :

لقد أدرك العرب ومنذ أقدم العصور مخاطر الموقف الفارسي المعادي للعراق والامة العربية ، حيث اتخذ العدوان الفارسي في كل مرحلة سماته المنسجمه مع طبيعتها ، فالخطر الدائم والذي يهدد الامة وارضها وحضارتها يأتي وبأستمرار من الشرق .

وقد أكد الفرس هذه الحقيقة التاريخية من خلال تصرفاتهم وأعمالهم العدوانية ضد العراق والأمة العربية منذ فجر التاريخ والى الوقت الحاضر .

وفي ضوء هذ الوعي التاريخي ، ادرك العرب حقيقة هذا الصراع وابعاده ، ونتائجه الخطيرة على مستقبلهم ، ارضا وشعبا وحضارة ورسالة فكان موقف القادة والامة بمستوى المسؤولية اللتاريخية ، وبما يحقق سحق العدوان ومنعه من تحقيق أهدافه التوسعية وهذا يبدو وبصورة واضحة في معركتي القادسية ونهاوند ضد العدو الفارسي المجوسي حيث ادرك قائد الامة الخليفة عمر عمر بن الخطاب (رض) انهما معركتي المصير العربي بحيث حشد الفرس كل ما لديهم من امكانات بشرية ومادية ، وهيئوا للمعركة خيرة رجالهم وسلاحهم ، فكان على الخليفة ان ينهض بمسؤولية التاريخ العربي ، وان يواجه العدو بشروط تتكافأ مع قوته .

فكان النصـر حليف العـرب المسلمين ، حيث سحقوا القوات الفارسيه وبشكل نهائي •

القادسية ••• عصر البطولة ••• والفداء :

بعد ان استكملت الجزيرة العربيه وحدتها في ظل سلطة مركزية واحدة ، بدأت حينذاك مرحلة جديدة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية هي مرحلة تحـرير الاراضي العربيـة المحتلة من قبـل الغـزاة الروم والفرس • وكانت قضية تحرير العراق من سيطرة الفرس المجوس ، وسحق الدولة الساسانية ، في مقدمة أهـداف الدولة العربية الاسلامية ومن أبرز مهماتها الملحة حيث ان استمرار الاحتلال الفارسي للعراق ، يشكل خطرا جسيما يهدد مستقبل الأمه العربية ورسالتها الاسلامية •

لقد أصبح تحرير العراق من السيطرة الفارسية هدفا مركزيا في سياسة الدولة العربية لاعتبارات كثيرة في مقدمتها :ـ

أ ـ انأرض العراق جزء لايتجزء منالأرض العربية ، وانمسؤولية تحريرها من الفرس تقـع على عـاتق العـرب المسـلمين ، فحددت بذلك مسؤوليتهم القومية والدينية والتأريخية بهذا الاتجاه •

ب ـ ان عرب العراق قد بدأوا عملياتهم العسكرية ضد الفرس منذ وقت مبكر ، فكان لزاما على الدولة العربيـة ، ومن واقع مسؤولياتهـا القومية دعم هذا النضال لتعزيز روح الصمود وصولا الى النصر والتحرير •

ج ـ النظرة الآنية والمستقبلية لأهمية موقع العراق ومكانته المتميزة في جسم الدولة العربية حيث أصبح العراق بعد وقت صغير من تحريره من براثن الاحتلال الفارسي قاعدة مركزية لانطلاق القوات العربية

الاسلامية شرقا لتحرير الشعوب من الظلم والطغيان ونشر راية الاسلام ، واحلال الأمن والاستقرار في تلك الربوع ، فضلا عن ان العراق بموقعه الستراتيجي يشكل صمام الأمان بالنسبة للأمة العربية ، كما كان للقوات العراقية دورا فاعلا وكبيرا في المعارك التأريخية التي خاضها العرب المسلمون ضد الفرس المعتدين •

وقد عملت القيادة العربية الاسلامية في المدينة على حشد جميع طاقات الأمة لاحراز النصر وسحق العدو الفارسي المجوسي • وعندما ذهب المثنى بن حارثة الشيباني قائد القوات العربية الاسلامية المتواجدة في العرق الى المدينة لشرح الموقف العسكري للخليفة أبي بكر الصديق (رض) وطلب امدادات جديدة ، وجد الصديق في النزع الأخير ، ومع ذلك فقد استمع الصديق الى ما أدلى به المثنى رغم مرضه الشديد ، وأعرب عن اهتمامه البالغ بتحرير العراق من براثن الاحتلال الفارسي ومن أجل ذلك فقد استدعى عمر بن الخطاب (رض) وطلب منه اعادة القوات العراقية التي ذهبت مع القائد خالد بن الوليد الى بلاد الشام لنجدة القوات العربية التي كانت تقاتل الروم الى العراق ، وكذلك امداد المثنى بالمقاتلين ، فقال له (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، اني لأرجو ان أموت من يومي هذا ••• فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، وان فتح الله على امراء الشام فأردد أصحاب خالد الى العراق ، فأنهم اهله وولاة أمره وحده وأهل الضراوة منهم والجرأة عليهم)[1] • بهذه الكلمات العظيمة ، وبهذا المستوى الرفيع من الشعور بالمسؤولية يؤكد الصديق اهتمامه الكبير بالمعركة مع الفرس المجوس ، وأهمية حشد طاقات الأمة لمواجهة العدو كما يؤكد الصديق على الدور العظيم للمقاتلين العراقيين الذين ناهضوا الاحتلال لفارسي وانتصروا عليه في أكثر من

موقعة •

وبعد تولي عمر بن الخطاب (رض) قيادة الأمة أثر وفاة الصديق (رض) كان الشغل الشاغل له هو تحرير العراق واسقاط الدولة الفارسية المجوسية • وقد أعد الخليفة الثاني الأمة لهذه المهمة الكبيرة وكانت القادسية الأولى المعركة الفاصلة •

لقد أدرك لخليفة عمر بن الخطاب ان القادسية هي معركة مصيرية حيث حشد العدو الفارسي المجوسي كل ما لديه من امكانات بشرية ومالية وهيأ للمعركة خيرة رجاله وسلاحه ، ولذلك فقد كان على الخليفة الراشد الثاني ان ينهز بمسؤولية التاريخ العربي الاسلامي وان يواجه العدو بشروط تتكافأ مع قوته وتأثيره ، ومن هنا كان عليه ان يعبأ قوى الأمة وينظم صفوف مقاتليها بهدف سحق العسكرية الفارسية وتدميرها ، وقد عبر الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك في كتابه الى المثنى بن حارثة الشيباني (اما بعد ••• ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا الا اجتلبتموه ، فأن جاء طائعا والا حشرتموه ، أحملوا العرب على الجد اذا جد العجم ، فلتلقوا جدهم بجدكم)[٢] • وهو أمر صريح من قائد الأمة عمر الى المثنى باعلان النفير العام ، والطلب من القبائل العربية الانضمام الى صفوف الجيش العربي الاسلامي وتجنيد من يرفض التطوع تجنيدا اجباريا •

كما كتب الخليفة الثاني الى العمال على الكور والقبائل (لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي والعجل العجل)[٣] •

وطلب الخليفة من القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح قائد القوات العربية الاسلامية في بلاد الشام بعد تحرير دمشق عودة القوات العراقية

الى العراق • يقول الطبري (بعد فتح دمشق بعثوا بالبشارة الى عمر (رض) وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن أصرف جند العراق الى العراق ••• فأمر على جند العراق هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ••• وضربوا بعد دمشق نحو سعد فخرج هاشم نحو العراق في جند العراق[٤] •

ونظرا لأهمية جبهة العراق وستراتيجيتها التعبوية ، فقد تحتم ان توضع الأمة وقواها وطاقاتها جميعا في خدمة المعركة الفاصلة مع الفرس ، ومن أجل ان تحسم المواجهة المسلحة لصالح العرب المسلمين ، فقد أمر الخليفة عمر (رض) بتجميد جبهة الشام وبصورة مؤقتة والدفاع عن المناطق المحررة ، يقول الطبري (ثم كتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح يأمر بأن يتمسك بما فتح عز وجل على يديه ولا يحارب أحدا من الروم الى ان يفرغ سعد بن أبي وقاص مما هو فيه من أمر العراق)[٥] • ولم تكن المعركة لتجري وقائعها دونما تهيئة الشروط المادية والمعنوية لتحقيق النصر ، فقد عمل الخليفة الثاني على توفير المستلزمات الضرورية التي من شأنها أن تعزز موقف المقاتلين العرب المسلمين وتعينهم على انجاز مهامهم بنجاح أكيد ، يقول عمر (والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب) ، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سلطة ولا خطيباً ولا شاعرا الا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغررهم)[٦] •

وبمثل هذه الاجراءات التعبوية والميدانية ، وفي ضوء هذا الوعي التاريخي صمم الخليفة الثاني لوحة القادسية الأولى وعمل على تنفيذها بنفسه ، وقد قرر الخليفة عمر (رض) ان يقود المقاتلين من المدينة الى العراق ولكن الصحابة ألحوا عليه بالبقاء وتعيين رجلا من أصحاب رسول الله (ص) لقيادة القوات العربية الاسلامية المتوجهين من المدينة الى العراق على ان يستمر برفد المعركة بالمقاتلين ، يقول ابن ابي الحديد ، (استشار

عمر المسلمين في أمر القادسية فأشار عليه علي بن أبي طالب الا يخرج بنفسه وقال : انك ان تخرج لا يكون للعجم همة الا استئصالك لعلمهم انك قطب رحا العرب فلا يكون للاسلام بعدها دولة)[٧] .

وقد استجاب عمر (رض) لرأي الصحابة ، فبقي في المدينة يمد المعركة بالمقاتلين وعين سعد بن أبي وقاص قائدا للقوات العربية الاسلامية التي خرجت من المدينة نحو العراق لمقاتلة الفرس في معركة تاريخية فاصلة هي القادسية ، حيث انتصر العرب وسحقوا عدوهم .

معركة نهاوند : التحدي والانتصار الكبير

بعد الهزائم الكبيرة التي مني بها الفرس المجوس على أيدي القوات العربية الاسلامية في معارك القادسية والمدائن وجلولاء ، بدأوا يوحدون صفوفهم تحت قيادة ملكهم يزدجرد ويحشدون كل ما لديهم من امكانات بشرية ومادية ، لمواجهة العرب في معركة فاصلة ، وقد اتخذوا مدينة نهاوند مركزا لهم .

واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه المعركة فذكروا انها كانت بين سنه ١٨هـ و٢١هـ ، ولكن أغلبهم يجعلها في سنة ٢١هـ[٨] .

يقول ابن اعثم الكوفي واصفا تحشدات الفرس (وتحركت الأعاجم بأرض نهاوند واجتمعوا بها فأجتمع أهل الري وسمنان والدامغان وما والاها في عشرين ألف وأهل ساوة وهمدان في عشرة آلاف ، وأهل نهاوند خاصة في عشرة آلاف ، وأهل قم وقاشان في عشرين الفا وأهل أصفهان في عشرين الفا ، وأهل فارس وكرمان في اربعين الفا ... ثم بعثوا الى اذربيجان يستمدونهم الى حرب العرب فأقبل أهل اذربيجان في ثلاثين ألفا فذلك خمسون الفا ومائة الف ما بين فارس وراجل من المرازبة ، والاساورة

والأبطال المعدودين المذكورين في كل بلـد من أرض فارس[٩] وولوا عليهم ذو الحاجب مردا نشاه قائدا .

ويقول المقدسي (واجتمعت الأعاجم والاساورة وعظماء الفرس .. وجمعوا من المجموع ما لا يبلغه الاحصاء والعدد)[١٠] .

ان هذه الأعداد الكبيرة قـد تكون فيهـا مبالغة ، الا انها تؤكد ان الفرس قاموا بحشد أعداد كبيرة في هذه المعركة .

وكان الفرس يهدفون من وراء ذلك سحق الجيوش العربية المتواجدة في العراق ثم مهاجمة المدينة عاصمة الدولة العربية الاسلامية ، يقول ابن اعثم الكوفي (ثم اقبل بعضهم على بعض فقالوا .. وقد اجتمعتم من كل بلد ... فتعالوا بنا حتى ننفي من بقربنا من جيوش العرب ثم انا نسير اليهم في ديارهم فنستأصلهم عن جديد الأرض)[١١] .

ويقول المقدسي (واجتمعت الأعاجـم والاساورة وعظماء الفـرس وعزموا على غزاة عمر في عقر داره وتعاقدوا على ذلك وتحالفوا)[١٢] .

لقد أدرك العرب بأن نهاوند سوف تكون المعركة الفاصلة ، وانها معركة المصير العربي ، وهذا يتضح من خطبة قائد الأمة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في المسجد واصفا الموقف بقوله ان الفرس (قد اجتمعوا بنهاوند ... وقد سربوا عسكرهم الى حلوان وخانقين وجلولاء وليست لهم همة الا المدائن والكوفة ، ولئن وصلوا الى ذلك فأنها بلية على الاسلام وثلمة لا تسد أبدا ، وهذا يوم له ما بعده من الأيام)[١٣] .

كما ان القائد العراقي النعمان بن مقرن المزني قد أدرك خطورة الموقف فقال في خطبته في جنـده (ان الفرس قد اخطروا لكم اخطارا واخطرتم لهم اخطارا ، فان أنتم هزمتموهم ترجعون الى نعمة وسرور ،

وان هزموكم فلا بصرة ولا كوفة ولا مدينة ، واعلموا بانكم قد أصبحتم بابين بين الاسلام والشرك ، وان كسر هذا الباب دخل على الاسلام منه بلاء)[١٤] .

وعلى هذا الأساس من الشعور بالمسؤولية التاريخية تصرف الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فبعد أن توفرت المعلومات لديه عن تجمع الفرس في نهاوند ، عقد مؤتمرا لمناقشة الموقف واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحطيم الفرس وقد حضر المؤتمر كبار القادة والصحابة ، حيث قام الخليفة في المسجد بشرح تفاصيل الوضع وطلب من الحضور تقديم مقترحاتهم .

وقد تمت الموافقة على المقترح الذي تقدم بـه الامام علي بن أبي طالب (رض) حيث قال (اما بعد يا أمير المؤمنين ، فانك ان اشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشـة الى ذراريهم وانك ان شخصت من هـذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، اقرر هؤلاء في امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا فيهـا ثلاث فرق ، فلتقـم فرقة لهـم في حرمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة الى اخوانهم في الكوفة عددا لهم ، ان الأعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا : هذا أمير العرب وأصل العرب ، فكان ذلك أشد اكلبهم والبتهـم على نفسك)[١٥] .

ثم استشارهم ثانية فيمن نختـار لقيادة المعركة فقال (واشيروا علي برجل أوله ذلك الثغر غدا قالوا أنت أفضل رأيا وأحسن مقدرة ، قال اشيروا علي واجعلوه عراقيا قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم ، فقال والله لاولين أمرهم رجلا

يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا ، فقيل مَنْ يا أمير المؤمنين فقال النعمان ابن مقرن المزني فقالوا هو لها)[١٦] .

وقد كان النعمان عاملا على كسكر وكان قد كره هذه الولاية فكتب الى الخليفة يرجو اعفاءه من عمله ، ورغبته في الجهاد فقرر عمر تعيينه قائدا لقوات الهجوم على نهاوند[١٧] .

وكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرن كتابا هـذا نصـه : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن ، سلام عليك فأني أحمد الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد فانه قد بلغني ان جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينـة نهاوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فهو بأمر الله ، وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفر ، ولا تدخلنهم غيضة ، فأن رجـلا من المسـلمين أحب الي من مائة ألف دينار ، والسلام عليك)[١٨] .

كما كتب الخليفة عمر بن الخطاب رسـالة الى حذيفة بن اليمـان بتشكيل جيش من أهل الكوفة والانضمام الى النعمان بن مقرن ، وكتب أيضا رسالة الى أبي موسى الاشعري طالبا منه التوجه على رأس جيش من أهل البصرة لدغم النعمان والعمل تحت قيادته[١٩] .

وفي الوقت ذاته كتب الخليفـة عمر رسالة الى سلمى بن العين ، وحرملة بن عرفطة وامراء الجند الذي كانوا عماله على اقليم الاحواز رسالة هدا نصها : (اشغلوا فارس عن اخوانكم وحوطوا بذلك أمتكـم وارضكم ، واقيموا على الحدود ما بين فارس والاحـواز حتى يأتينكـم أمري)[٢٠] .

ان تلك الاجراءات ضرورية لضمان الأمن ، ومنع الامدادات عن

نهاوند لحين استكمال استعدادات القوات العربية .

لقد تسلم النعمان بن مقرن قيادة الجيش العربي وعسكر بالقصر الأبيض امتثالا لأمر الخليفة عمر ، وحتى يجتمع اليه اهل الكوفة واهل البصرة ، ثم يسير بعد ذلك الى نهاوندا[٢١] .

وقد التأمت العساكر بالعراق ، وبعد ذلك عرض النعمان جيشه وعدهم وأحصاهم فكانوا يزيدون على ثلاثين الفا من البصرة والكوفة[٢٢] .

وقد ضم جيش النعمان كبار الصحابة منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وجرير بن عبدالله البجلي ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكرب وطليحة بن حويلد الأسدي وقيس بن مكشوح المرادي[٢٣] .

وكان على مقدمة الجيش نعيم بن مقرن ، وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود العلمي[٢٤] ، وكتب الخليفة عمر الى النعمان (ان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن)[٢٥] .

وقد تقدم النعمان بقواته نحو نهاوند سنة ٢١هـ واشتبك مع الفرس في معركة ضارية تمكن العرب فيها من سحق القوات الفارسية وحققوا نصرا تاريخيا واستشهد النعمان في المعركة .

نتائج سقوط نهاوند :

ان الانتصار التاريخي الذي حققه العرب المسلمون على الفرس المجوس في معركة نهاوند كانت له نتائج كبيرة من الناحية العسكرية والاستراتيجية ، فان معركة نهاوند تعتبر تصفية نهائية لقاعدة العدوان ،

وزال حطـر الفرس وتهديداتهم للدولة العربيـة الاســلامية والرسالة الاسلامية وقد أطلق المؤرخون على المعركة (فتح الفتوح) وذلك لانهم (لم يقم للفرس بعد هذه الموقعة قائم)[٢٦] و (لم يكن للاعاجم بعـد ذلك جماعة)[٢٧] •

وأصبح المجال مفتوحا أمام القوات العـربية للانسياح في الأقاليـم الشرقية لنشر الدين الاسلامي • كما أصبحت لدى المقاتل العربي حصيلة من التجارب الخبرات ، وتعززت الثقة بالقدرة على تحقيق النصر وانتزاعه مهما كانت الظروف صعبة وشاقة ، وفي مختلف الأجواء والأراضي •

ان معركة نهاوند تعـد بحق من المعارك الكبرى المصيرية ، حيث وضعت حداً نهائياً لمقاومة الفرس العسكرية وتهديداتهم للدولة العربية الاسلامية والرسالة الاسلامية كما ان انتصار العرب في تلك الموقعة الخالدة عزز من دور القوات العراقية في صيانة أمن الدولة والدفاع عن الحدود الشرقية كما ومكنها من القيام بدور كبير في عمليات الفتوح في الشرق لنشر لاسلام •

الخلاصـة :

ومثلما تحمل العراقيون الأماجد مسؤولية الدفاع عن الأمة العربية قديما ضد الفرس ، حيث قدر العراق ان يكون حارسا للبوابة الشرقية للوطن العربي ، فهـو يتحمل اليوم بشرف وكفاءة مسؤولية الدفاع عن شرف الأمة العـربية ووجودها أزاء هجمات النظـام العنصري في ايران وغزاوته الوحشية التي حطمها جنـد الرافدين الواحـدة تلو الأخـرى بشجاعة لا مثيل لهـا انتصارا للسيادة والكرامة القوميـة ، حيث يبرهن شعبنا العراقي لعظيم مرة أخرى وأخرى على ارتباطـه العميق بالمبادىء ووعيه التاريخي ، بضرورة تصفية العدوان وتحطيم أحلامه التوسعية ،

والحاق الهزائم بقواته ، وهو في قادسية صدام المجيدة ، كما كان في القادسية الأولى ونهاوند يقاتل من أجل الحياة والمبادىء ، دفاعاً عن الكرامه الوطنية والاستقلال القومي ، مبرهناً على صلابته المبدئية ، وجوهره الحضاري ، وقدرته اللامحدودة على الصبر واحتمال الشدائد وتحمل المهمات التاريخية ليس فقط في معركة قادسية صدام ، وانما في كل المواقف الوطنية والقومية التي تؤكد على تماسك بنائه النفسي والاجتماعي والحضاري ، وعلى وحدة شعبه النموذجية في التصدي للغزاة المعتدين بقيادة قائد النصر وفارس الأمة الرفيق المناضل صدام حسين • ولم تكن قادسية صدام معركة اقليمية قدر ما هي معركة الوجود العربي ، ومعركة الأمة العربية ضد أطماع الزمرة الخمينية الحاقدة الذين يحاولون بالدعم الصهيوني والامبريالي وغرب الجنسية السيطرة على الأراضي العربية واذلال الأمة وسحقها • وما حدث ئي البحرين والكويت والجمهورية العربية ليمانية والسعودية ، والتصريحات العنصرية للمسؤولين الايرانيين، ومحاولاتهم المقبورة لاجتياز الحدود الدولية للعراق الا دليل قاطع على حقدهم وأطماعهم التوسعية في القادسية الأولى وفي نهاوند واجه العرب المسلمون خطر الفرس المجوس بحشد جميع طاقات الأمة وزجها في المعركة ومطلوب منهم اليوم تنظيم صفوفهم ، وتعبئة طاقاتهم وزجها في معركة قادسية العرب الثانية قادسية صدام المجيدة •

ان الدعوة بضرورة حشد طاقات الأمة العربية البشرية والمادية في معركة الشرف والكرامة معركة الوجود العربي ضد النظام الايراني الطامع تعبير عن ضمير الأمة وشرف رسالتها وتواصل مع المواقف التاريخية المسؤولة التي يزخر بها تراثنا وتاريخنا العربي الذي قدم عشرات النماذج ومئات المواقف على وحدة المصير العربي ، ووحدة القرر العربي في مواجهة الأخطار الكبيرة التي تحدق بالعرب ، انها دعوة تنبثق من منطق حتمية

المصير العربي الواحد ومن واقع مسؤولية التاريخ القومي • أنها دعوة الواجب العربي ، لا تمليها الحاجة أو يقررها الموقف المرحلي ، فالعراق العظيم القوي المقتدر ، قادر على الاستمرار بالقتال والمحافظة على روح النصر سنوات ليس لها حدود • ومن هنا فأن دعوة العرب الى المشاركة الفعالة في المعركة ، لا تجيء من خلال ما يصطلح عليه السياسيون التقليديون بالمعونة والمساعدة وانما من خلال الواجب القومي ومن خلال قومية المعركة التي توجب على جماهير الأمة العربية بأن تضع كل ما لديها من امكانات مادية ومعنوية في خدمة المعركة ، وفي خدمة الشعب العراقي العظيم الذي يقاتل من أجل أمته العربية ، ومن أجل كيانها الموحد ، وحياتها ومستقبلها • أما الذين يقفون في خندق العدو ، والذين يقفون على الحياد وكأن الأمر لا يعنيهم ، أن شعبنا وأمتنا لن تنسى لهؤلاء الذين باعوا الأرض والضمير والشرف من حملة الجنسية العربية مواقفهم الخيانيه ، فانها قادرة على سحق رؤوسهم العفنة في القريب العاجل •

الهوامش

١ ـ الطبري / تاريخ الرسل والملوك / ٣/٤١٤ ٠
٢ ـ ن٠م / ٣/٤٧٨ ٠
٣ ـ ن٠م / ٣/٤٧٨ـ٤٧٩ ٠
٤ ـ ن٠م / ٣/٤٤٠ ٠
٥ ـ ابن اعثم الكوفي / الفتوح / ١/١٩٥ ٠
٦ ـ الطبري ٣/٤٨٧ ٠
٧ ـ ابن ابي الحديد / شرح نهج البلاغة / ٩/٩٧ ٠
٨ ـ البلاذري / فتوح البلدان / ٣٧٤ ، اليعقوبي / التاريخ / ٢/١٤٦ ، ابن اعثم الكوفي / ٢/٣٨ ، الطبري / ٤/١١٤ ، ابن الاثير / الكامل / ٣/٥ ، سير أعلاء النبلاء / ١/٢٨٩ ٠
٩ ـ الفتوح / ٢/٣١ ، ٣٢ ، انظر ابن الاثير / ٣/٧ ٠
١٠ـ المقدسي / البدء والتاريخ / ٥/١٨٠ ٠
١١ـ الفتوح / ٢/٣٢ ٠
١٢ـ المقدسي / ٥/١٨٠ ٠
١٣ـ الفتوح / ٢/٣٤ـ٣٥ ٠
١٤ـ ن٠م / ٢/٤٧ ٠
١٥ـ الطبري / ٤/١٢٥ ، انظر ابن الاثير / ٣/٨ ٠
١٦ـ الطبري / ٤/١٢٦ ، انظر ابن الاثير / ٣/٨ ، ٩ ، المقدسي / ٥/١٩٨١ ٠
١٧ـ الطبري ٤/١٢٦ ٠
١٨ـ ن٠م / ٤/١١٥ ٠
١٩ـ فتوح / ٢/٤١ ، الطبري / ٤/١١٨ ٠
٢٠ـ الطبري ٤/١١٥ ٠
٢١ـ الفتوح / ٢/٤١ ٠
٢٢ـ ن٠م / ٢/٤٢ ٠
٢٣ـ الطبري ٤ : ١١٥ ٠
٢٤ـ ن٠٠م / ٤/١٢٨ ٠
٢٥ـ ن٠م / ٤/١٢٧ ٠
٢٦ـ ياقوت / معجم البلدان / ٤/٨٢٩ ٠
٢٧ـ الطبري / ٤/١١٦ ٠

أصحاب الحرف والمهن « البناؤون »

في المصادر الاثرية في العصر العباسي

الدكتور صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لعب أصحاب الحرف والمهن دورا بارزا في الحياة العربية الاسلامية من خلال ما قدموه من جهود وخدمات في مختلف الميادين وفي شتى المجالات •

ونزودنا كتب التاريخ والادب بالاضافة الى كتب الحسبة بأسماء الكثير من الحرف والمهن التي كانت تزاول في المجتمع العربي الاسلامي وقد بلغت مائتي حرفة ومهنة(١) •

الا ان الذي يؤسف له ان هذه الحرف والمهن لم تحظ بعناية المؤرخين فمن المعروف ان كتب التاريخ قد اهملت كثيرا من مظاهر الحياة الاجتماعية وطبقات الناس بل اقتصر كلامهم في أغلب الأحيان على الحالة السياسية وما يجرى في بلاط الخلفاء والسلاطين ، لذا نراهم يتوسعون ويسهبون في الحديث عنها ، اما عامة الناس فلا يأتي ذكرها في كتبهم ومؤلفاتهم الا عرضا ، وبقليل من الاهتمام والتفصيل ، كما ان الكثير من هذه الحرف والمهن لا نعرف عنها الا الاسم حتى ان كتب الحسبة التي كانت دستور المحتسبين في ممارستهم مهامهم لم تتحدث عن أكثر هذه الحرف وأصحابها •

لكل ما تقدم رأيت ان اكتب عن أصحاب هذه الحرف والمهن

واخترت البناء في العصر العباسي موضوعا لبحثي آملا ان تتناول أبحاثنا التالية شخصيات أخرى من أصحاب الحرف والمهن •

اما معلوماتنا عن البناء فقد استقيناها من رافدين ، الأول هو ما جاء من المصادر التاريخية ، اما الرافد الآخر لمادة البحث فهو ما جاء في الاثار العربيه الاسلامية المختلفة وبالأخص التصوير فأنه بحكم نقله للبيئة وتأثره بها فقد كان أكثر شيوعا نحو هذا اللون من العمل ، وقد انعكس هذا كله على منتجاتهم المختلفة فجاءت اثارهم غنية بالرسوم والصور التي تمثل تلك الجوانب لذا استطعنا ان نستخلص من الصور الممثلة على الاثار العربية الاسلامية من عمارة ومخطوطات مصورة وغيرها كثيرا من سمات أصحاب هذه المهنة من حيث شخصياتهم وملابسهم وأدوات مهنتهم ، وهي في حقيقتها تعتبر مادة أساسية يستند عليه هذا البحث •

اما المعلومات التي جاء بها المؤرخون بشأن البناء فقد كانت شحيحة ومقتضبة ، ومع ندرة الأخبار والاشارات الواردة عن البنائين في العصر العباسي فأننا نستطيع ان نلمح ولو بصورة مقتضبة الى شيء من تخصص العمل الحرفي بين جماهير البنائين حيث ورد مصطلح (البناء) للدلالة على مدبر البناء وصانعه[٢] كما كان يطلق على البناء لفظ الهاجري[٣] وأنشد :

كعقـر الهاجـري اذا ابتنـاه
بأشـباه حـذين على مثـال[٤]

وقيل الهاجري الحاذق بالاستقاء ويقال هذا اهجر من هذا أي افضل منه[٥] ، و (الفعلة) وهي صفة غالبة على عملة الطين[٦] و (الطيّان) صانع الطين وحرفته الطيانة[٧] وهناك عمال يحملون مواد البناء يسمون (بالرفاصين)[٨] لكثرة حركتهم ، كما ورد مصطلح (الاجري) وهو

الذي يقيم اتونا يطبخ فيه الاجر والبان الذي يضرب اللبن والذي يبيع اللبن أيضا[٩] .

ولابد لنا ونحن نتكلم عن البنائين ان نشير الى أمور تتعلق بحياتهم مثل الأجور التي كانوا يتقاضونها والملابس التي يرتدونها فضلا عن أسمائهم .

الواقع ان المعلومات التي بين أيدينا عن هذا الجانب قليلة جدا بل نادرة ولا يمكن معها تكوين صور واضحة المعالم لهذا الجانب ، لكننا فهمنا من بعض المصادر ان اجور البنائين على العموم واطئة ، فالخطيب البغدادي يذكر ان الاستاذ من الصناع كان يعمل عند بناء مدينة بغداد المدورة بقيراط الى خمس حبات في اليوم والروزجاري يعمل بحبتين الى ثلاث حبات[١٠] .

ويجدر بنا هنا ان نقف قليلا عند كلمة (الروزجاري) وماذا تعنيه هذه الكلمة ، ويبدو ان الكلمة تتألف من مقطعين ، الاول (الروز) وهو البنّاء سمي بذلك لانه يروز الحجارة أو اللبن ، و (الجاري) الأجير أو الوكيل على العمل ، وتأتي (الروز) بمعنى رئيس البنائين ، ويبدو ان الكلمه اندمجت لتدل على رئيس البنائين أو وكيلهم أو القائم على العمل[١١] . وكان للوزجاريين سوق خاصة في واسط . ونحن لا نتفق مع التفسير الذي ذهب اليه محمد التونجي من ان كلمة الروزجاري تعني العامل الذي يعمل بأجرة يومية لأن النص الذي أورده الخطيب واضح من ان الروزجارية تعنى صنف من عمال البناء يسمون بهذا الاسم[١٢] .

واذا كانت هذه الأجور الزهيدة هي من نصيب من اطلقوا عليه اسم الروزجاري فيبدو هنا ان المصطلح الذي استخدم لمعنى اجير البناء وليس بالمعنى الوارد في المعجمات كما ذكرنا قبل قليل ، أو كما يطلق عليه في الوقت الحاضر اسم (عامل البناء) وليس (الخلفة) .

وبالاضافة الى أجور (الروزجاري) فقد وردت اشارات أخرى الى ان أجرة عامل بناء سنة ١٨٤هـ كانت درهما ودانقا[١٣] ، وان اجرة عامل طين زمن الرشيد كانت أربعة دوانيق في اليوم[١٤] .

ومن هذه الأمثلة القليلة نستطيع القول بأن أجرة عمال البناء كانت واطئة قياسا الى بقية أصحاب الحرف والمهن الأخرى وقد أكد الجاحظ ذلك بقـوله « ان الفقر ملازم للقصابين والجزارين وأصناف الصيادين وكذلك ضارب الطين والطيان والحراث »[١٥] .

اما عـن الملابس التي اختص بلبسها البناؤون فأن المعلومات التي وردت في المصادر التاريخية كانت قليلة ، كما هـو الحـال بالنسبة الى أجورهم ، فقد وردت اشارة الى ان البنائين كانوا خاصة الفعلة والطيانون منهم يلبسون التبان هـذا ما أكدته كتب الحسبة في معرض حديثها عن واجبات المحتسب حيث بينت ان من بينها الزام الفعلة بلباس التبابين الملحم فأن فيه سترة لعوراتهم عند تعريهم في أشغالهم في طلوعهم ونزولهم[١٦] .

ونجد في هجاء حماد عجرد للشاعر بشار بن برد أشار الى ان التبان كان من ملابس الطيانين :

يابن برد اخسا اليك فمثل الـ
ـكب في الناس انت لا الانسان
بل لعمري لأنت شر من الكـ
ـب واولى منـه بكـل هـوان
ولريح الخنزير اهون من ريـ
ـحك يابن الطيان ذي التبـان[١٧]

وبالأضافة الى الاشارات التاريخية والنصوص الأدبية فأننا سنتصرف على أنواع أخرى من الملابس من خلال صور البنائين الذين ستظهر على الآثار العربية الاسلامية في الصفحات القادمة .

وبالاضافة الى ما تقدم فأن المعلومات التي جاءت عن أسماء البنائين كانت هي الأخرى قليلة بل نادرة ، ومن دواعي الاسف ان العرب لم يحتفظوا لنا بأسماء عباقرة المهندسين والمعمارين الذين أقاموا عمائرهم الرائعة الا بعض اشارات وردت في الكتب تشير الى أسماء بعضهم نذكر منهم على سبيل المثال ما ذكره الخطيب البغدادي ان رباحا كان ممن تولى بناء سور مدينة المنصور(١٨) .

والى جانب العمال كان هناك من يتولى الاشراف على البناء ومراقبه سير العمل فيه ، كما فعل المنصور عندما اختار لهذه المهمة كلا من الحجاج ابن ارطأة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت حيث اختير الاخير ليتولى القيام بضرب لبن مدينة المنصور وعده وكان يعد اللبن بالقصب وهو أول من فعل ذلك فاستفاد الناس منه(١٩) .

يشكل البناؤون طبقة كبيرة من المجتمع في العصر العباسي ، فساهموا بتنفيذ عشرات العمائر والمدن وكثير من المشاريع العمرانية الدينية والمدنيه والعسكرية .

وبالنظر لما تحمله مهنة البناء من خطورة على حياة الناس وممتلكاتهم لذا كان القوم يحرصون على انتقاء من يحسن الصنعة ، فالمعرفة بشؤون البناء والهندسه كانت أمرا ضروريا ، لذلك نجد ولاة الأمر وغيرهم من الذين يحرصون على البناء اختيار المهرة من الصناع والفعلة وخاصة المشاريع الكبيرة ، فهذا الخليفة أبو جعفر المنصور مثلا عندما عزم على بناء مدينة بغداد المدورة احضر المهندسين من أهل المعرفة بالبناء والعلم .. ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم وكتب الى الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من امر البناء ، ولم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات الوف كثيرة(٢٠) .

كما ان الدولة لم تغفل مراقبة أصحب‌ا هذه المهنة لذلك كانت تفرض رقابتها على أعمالهم عن طريق المحتسب ، ومن بين واجباته مثلا ملاحظة المواد التي تدخل في البناء ، ومنع الغش فيهـا ، « اذ يجب على البنائين نصيحة أرباب العمـل ممن يبنون لـه بالجير والاصطال في الصهاريج والقنوات ، وما يشـاكل ذلك ان يكـون الخلط الجيـد الذي تحمـد عاقبته ... »

« ومن شأن البنائين القيام به ان يبيضوا موضع الانسان وان يكثروا من اخلاط الخيّر من جبس البياض وقت عجنه ليسهل عليهم بسطه على الحيطان بغير تعب ، فيكون سببا لوقوع البياض من على الحيطان ، وقلة حفظه لها ، وثباته عليها فيمنعون من ذلك . ويجب على البنائين اذا بنوا الحيطان ، ان لا يبنوها بالطوب القليل النضج اللين فأنه يتفتت بعد مدة فيسقط ما فوقـه ويخـرب الحـائط فيأمرهـم ان يجلعـوه حشـوا مع الطوب »[٢١] .

واذا انتقلنا الى الأدوات التي كان البناؤون يستخدمونها في أعمالهم ، فأن المصادر التاريخية تعطينا قائمـة بأسـماء تلك الأدوات وهي تختلف الواحدة عـن الأخـرى في شكلها ووظيفتها التي تناسـب العمليات التي التي تتطلبها مراحل البناء .

ومن هذه الأدوات المسحه والمضمار وهي الخشبة أو الحديدة التي تسمى المالج[٢٢] ، والمنقل هو الذي ينقل فيه الطين[٢٣] ، ومن أدواتهم أيضا الكسكرة وهو الذي ينقل عليـه الطين بين رجلين[٢٤] ، والملبن الذي يلبن به[٢٥] . كمـا عـرف من أدواتهم الكنهبر وهـو الخشبتان العريضتان اللتان ينقـل عليهمـا اللبن على الدابة[٢٦] . كمـا استخدم البناؤون الكتلة وهي الخشبة التي يدق بها المدر[٢٧] .

وبالاضافة الى ما تقدم فقد عرف من أدوات البناء أيضا السابل وهو

الذي ينقـل فيـه التراب على البقرة ويسمى الطخم أيضا[٢٨] . ومن الأدوات أيضا المسيعة وهي الخشبة التي يطبن بها[٢٩] . ومن أدوات البنائين أداة يقـال لها الحـال أو الصاقور وهي الفأس التي تكسر بهـا الحجارة[٣٠] ، وقيل الصاقور الفأس العظيمة لها رأس واحد دقيق تكسر به الحجارة وهي الصوقر والمعول أيضا[٣١] .

وبالاضافة الى ما تقدم فقد استعان البنؤون في أعمالهم بأداة تعرف بالمشاة وهو الزبيل الذي يخرج فيـه التراب من البئر[٣٢] . وعرف لديهم المران الذي يسمى الكوفين[٣٣] .

ويمكن ان نضيف الى قائمة ادوات البنائين العتلة ، وهي حديدة كأنها رأس فاس عريضة في أسفلها خشبة يحفر بها الأرض والحيطان ليست بمعقفة كالفأس ولكنها مستقيمة مع الخشبة ، وقيل العتلة العصـ الضخمة من حديد لهـا رأس[٣٤] . كما عرف لديهم حبل يقال لـه الامام ، وهـو كما عرفـه العسكري الحبل الذي يمد على البناء ، وكان يطلق عليه اسم المطمر[٣٥] ، اما ابن سيده فالمطمر عنده الخيط الذي يقدر به[٣٦] . ويسمى الزيج أيضا[٣٧] .

اما ابن منظور فالامام عنده الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء قال :

وخلقته حتى اذا تم واستوى كمخة ساف أو كمتن امام وفسره ابن منظور : أي كهذا الخيط الممدود على البناء في الاملاس والاستواء . ويبدو ان اللفظة مشتقة من الاستقامة أو الاستواء وذلك ان أصلها ائتم به وائتم وام القوم اي تقدمهم وهي الامامة ، والامام : كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم .

كما اطلق على الخيط المذكور اسم « التر » والتر بالضم الخيط

الذي يقدر به البناء ، وقيل هو الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه وهو الامام واذا غضب احدهم على الآخر قال والله : لأقيمنك على الشر »[٣٨] .

ومن دراستنا للآثار العربية الاسلامية وجدنا صورا للبنائين وما يتعلق باعمالهم ممثلة عليها ، والذي يتفحص هذه الآثار يرى نماذج متعددة من هؤلاء العمال هو يمارسون اعمالهم في ميادين العمل نذكر من هذه الآثار عددا من الصور التي تزين قصير عمره الذي يقع على بعد خمسين ميلا شرق مدينة عمان يعود تاريخه الى النصف الثاني من العصر الاموي ، وربما كان من الابنية التي شيدها الوليد بن عبدالملك (٨٦ – ٩٦هـ / ٧٠٥ – ٧١٥م) حيث نشاهد في الرواق الأيسر من القصر المذكور صورا تمثل بعض أصحاب الحرف والمهن مثل النجار والبناء والحداد ، والذي يهمنا منها صور البنائين ، ففي الشكل (١)[٣٩] عامل يقوم بعملية سحب كتلة من الحجر ، بينما نشاهده في صورة أخرى يقوم بتقطيع الأحجار ، في حين تعرض صورة ثالثة عاملا وقد هوى بفأسه أو صاقوره على حجر فغاصت في قلب الحجر[٤٠] (شكل ٢) .

بينما بدأ في الصورة الرابعة وهو يمسك بفأس استعدادا لتكسير حجرا امامه[٤١] (شكل ٣) ويرتدي هؤلاء العمال ملابس أقرب في شكلها الى ما يعرف بالجمازة ، والجمازة نوع من الجباب ، وهي كما يصفها ابن سيدة[٤٢] جبة مشقوقة المقدم قصيرة تصنع من الصوف وتظهر في الصورة قصيرة وتصل في الطول الى الركبتين ، وللجمازة كمان قصيران .

وفي مكان آخر من القصر نشاهد رسما لرجل جلس على حافة مهراس[٤٣] واستند بقدميه على الحافة الأمامية وقد امسك بقضيب أو خشبة تعرف بالعتلة ، واخذ يدق مادة في داخل المهراس ، تبدو انها مادة

تستخدم في عملية اكساء جدران البنـاء ، ويرتدي هـذا العامل نوعاً من الملابس يعرف بالأزار (شكل ٤) والأزار ما يلتحف به[٤٤] .

ومن العصر العباسي وصلنا رسم محفور فوق جدران أحد القصور في سامراء اكتشفته بعثة التنقيبات في مؤسسة الآثار العراقية ، ويمثـل الرسم رجلا ممسكا بالميزان أو الشاهول كما يسميه العراقيون[٤٥] .

وتصادفنا صورة البنائين في بعض المخطوطات الاسلامية منها صورة تعود الى نهاية القن الخامس عشر الميلادي[٤٦] وهذه الصورة على الرغم من كونهـا متأخرة الا ان فيهـا معلومات قيمة عن البنائين وجدت من الضروري الرجوع اليها لاستكمال الصورة الصحيحة لموضوع البحث . وتعرض الصورة (شكل ٥) مجموعة من البنائين يؤدون أعمالا مختلفـة وتظهر هذه الاعمال في شكل تسلسل طبيعي للعمـل الجاري في ميدان العمل الذي يتمثل ببناء قد يكون مسجدا ، وقد علت جدران البناء حتى اضطر العمال الى عمل اسقالة من الخشب والحبال[٤٧] . ففي الزاوية السفلى على يمين الصورة عاملان يحملان كسكرة وهو الذي ينقل عليها الطين بين رجلين وعند تدقيق النظر في الصورة يظهر ان المادة المحمولة بدو لنا حجرا وليس طينا (شكل ٦) .

ويسترعي زي هذين العاملين انتباهنا اذ يظهر كل منهما بسروال قصير يصل في الطول الى الركبتين تقريبا ، والى جانب السروال تظهـر الصورة انهما يرتديان نوعا آخر من ملابس البدن أقرب ما يكـون الى القميص وفوق السروال والقميص يرتدي كل منهما نوعا ثالثا من ملابس البدن تعرف بالحجمازه . وقد ثبت في وسط كل من العاملين بما يعرف بالمنطقة أو البند ، وبالاضافة الى ذلك فقد وضع كل منهما فوق رأسـه غطاء رأس من نوع يعرف بالطاقية وهو اشبه ما يعرف لدى العراقين في الوقت الحاضر بالعرقجين .

ويتوسط هذين العاملين عامل ثالث (شكل ٦) بنفس زيهما يحمل فوق ظهره كتلة قد تكون حجر اشبنها بحبل امرره من جانبي الحجر واسفله ثم ادار الطرف الثاني من الحبل حول رأسه ثم امسك الحبل ليحاذر سقوط الكتلة الحجرية • ولغرض حماية ظهر العامل من احتكاك الحجر به فقد وضعت قطعة نسيج فوق ظهره اغلب الظن انها مصنوعة من اللباد ، وهي ظاهرة لم تزل تستعمل الى اليوم من قبل امثال هؤلاء العمال والعتالين •

وفي الزاوية المقابلة من الصورة نفسها نشاهد عاملين منهمكين في اعداد المادة التي تستعمل في البناء وقد تكون من الطين ، والذي يسميه العسكري[٤٨] سالنبثية وفي يدي كل منهما مسحاة أو كما يسميها صاحب كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء بالمعرفة[٤٩] ، وقد ادخلها في المزيج ليقلبه كالمعتاد في مثل هذه الأعمال وقد غاصت قدما احد العاملين في الطين (شكل ٧) •

وخلف أحد هذين العاملين يقف عامل آخر يحمل على ظهره قربة ماء أو ما تسمى بالروايا ثبتها على جانب من جسمه وتبدو وكأنها معلقة في كتفه كالحقيبة • وقد امسك بكلتا يديه بفتحة القربة استعدادا لتفريغها فوق المادة الممزوجة •

وقد هدتنا التصويرة نفسها الى رؤية أربعة من العمال المتخصصين في نقل الطين الى مكان العمل ، الاول يتوسط العاملين السابقين ، وهذا العامل يحمل في يده وعاءاً فارغا عرضه لتوضع فيه مادة الطين أو اللبن التي تستعمل في البناء ولا يلاحظ على هذا العامل أي اختلاف في الملابس التي يرتديها قياسا الى من تقدم وصفهم (شكل ٧) •

ويقف خلف هذا العامل عامل آخر من نفس اختصاصه وقد تأبط وعاءه منتظرا دوره بعد ان أخذ زميله مادة الطين • بينما يبدو على القرب

منه عاملان آخران بنفس تخصصهما يحمل كل منهما فوق كتفه وعاءً مملوءاً وقد اقترب احدهما من السلم المنصوب على حائط البناء ليوصله الى اعلى حيث العمل .

والعاملان اللذان يحملان الوعائين المملوئين يبدوان مرتديين زياً مغايرا لبقية العمال الذين جئنا على ذكرهم اذ يرتديان سروالا وازارا في حين ظهر القسم الاعلى من الجسم عاريا وقد غطى كل منهما رأسه بقلنسوة (شكل ٨) .

وفي الجزء الأعلى من العاملين المنهمكين في اعداد الطين نشاهد عاملين آخرين يجلسان على الأرض أمام كومة من الحجارة وفي يدي كل منهما فأس أو الحال أو الصاقور أو المعول ، والمعول موجه لكسر حجارة كبيرة ، اما العامل الثاني فهو يحمل الصاقور المدبب من طرف واحد يعمل على تهذيب الحجارة واعدادها لوضعها من البناء (شكل ٩) .

وقد ظهر العامل الأول بملابس أقرب ما تكون الى الدراعة : والدراعة جبة مشقوقة المقدم ، ويورد دوي وصفا لها فيقول « الدراعة مفتوحة من جهتها الأمامية حتى أعلى القلب ومزررة بأزرار وعرى »(٥٠). وقد ثبت على وسطه بما يعف بالمنطقة أو البند ، في حين ظهر العامل الثاني بملابس مؤلفة من سروال ودراعة ومنطقة .

وعند اسفل الاسقالة عامل يناول الطابوق الى عامل آخر يقف فوق حائط البناء (شكل ١٠) وعلى مقربه من هذا العامل يوجد عامل آخر يبدو عليه الانهماك في مساعدة رفع وعاء مملوء وقد شد بحبل تدلى من أعلى البناء وأمسك به عامل يقف فوق الحائط لسحب الوعاء من أسفل البناء (شكل ١١) .

وعلى السلم نشاهد أحد العمال متهيئا لاستلام وعاء من العمال الذين سبق الاشارة اليهم (شكل ١٢) في حين نشاهد عاملا آخر منهمكا

في اكمال نصب الاسقالة ، بينما وقف في الطابق العلوي من الاسقالة رجل يبدو لنا من هيئته ووقفته انه رئيس العمل الذي يقوم على يديه البناء ، وقد أمسك بيده اليمنى فأسا على عادة البنائين من أمثاله وباليد الأخرى حجارة يعدها ليضعها في مكانها من جدار البناء (شكل ١٣) •

وقبل ان اغادر وصف هذا البناء أود ان أشير الى الملابس التي يرتديها فهي كما تبدو في الصورة تتألف من سروال وازار وقباء ومنطقة وعمامة ويحتذي خفا • وقد ميز الفنان هذا العامل بوقفته وملابسه عن بقية العمال الآخرين ليعطي صفة الأهمية لشخصيته في العمل •

ويقف على القرب من هذا البناء عامل يناوله الحجارة بينما وقف وراءه عاملان آخران يقومان بصب الطين أو اللبن فوق الجدار استعدادا لوضع الطابوق عليه •

وعلى العموم فالصورة تعكس مشهدا متكاملا لعملية تشييد بناء تقوم به مجموعة من البنائين وقد فصلت الصورة في تخصص كل منهم كما تقدم شرح عملهم ، ويستطيع المرء من خلالها ان يكون في ذهنه فكرة لصورة تعتبر فريدة في نوعها ، وتكاد تكون الوحيدة من بين الاثار العربية الاسلامية التي تجمع عدة فعاليات لعملية بناء متكامل في وقت واحد •

الهـــوامش

١ ـ سعد ، فهمي عبدالرزاق : العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين (الاهلية للنشر والتوزيع) بيروت ١٩٨٣ ص١٢٢ ٠
٢ ـ ابن منظور ، لسان العرب ٩٤/١٤ ٠
٣ ـ العسكري ، كتاب التلخيص ٦٨٣/٢ ٠
٤ ـ ابن سيده ، المخصص ٢٥٨/١٢ ٠
٥ ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٥٨/١٢ ٠
٦ ـ ابن منظور ، المصدر السابق ٥٢٨/١١ ٠
٧ ـ ابن منظور ، المصدر السابق ٢٧٠/١٣ ٠
٨ ـ ابن الاخوة ، معالم القربة في أحكام الحصبة ، عنى بنقله وتصميمه ، روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون ، بكيمبرج (١٩٣٧) ص٢٣٥ ٠
٩ ـ العسكري ، المصدر السابق ج٢ ص٦٨٣ ٠
١٠ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ ١٠/١٨٥ ٠
١١ـ انظر لسان العرب ، مادة ـ روز ـ ومادة ـ جرى ـ ٠
١٢ـ انظر محمد التونجي ، المعجم الذهبي ص٣٠١ ، ٤٤٩ وكتاب الاصناف في العصر العباسي للدكتورة صباح الشيخلي ص٧٤ ٠
١٣ـ الاربلي ، عبدالرحمن سنبط قيتنو « خلاصة الذهب المسبوك » تحقيق مكي السيد جاسم ص١٣٧ ٠
الدرهم يساوي ثمانية دوانق ، انظر البلاذري كتاب النقود ص (٣٨) اما المقرزي فيذكر ان الدرهم يساوي ستة دوانق ، كتاب النقود ص٢٣ ٠
١٤ـ الخطيب ، تاريخ بغداد ٧٠/١ ٠
١٥ـ الجاحظ ، الحيوان ٤٣٣/٤ ، ٤٣٤ ٠
١٦ـ ابن بسام ، المحتسب ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة حققه حسام الدين السامرائي ٠ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص١٤٤ ٠
١٧ـ الاصفهاني ، أبو الفرج علي الاموي الكاتب ، الاغاني ، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية وزارة الثقافة والارشاد القومي ٠ مصر ١٣٨٣هـ ص١٣٧/٣ ٠
١٨ـ الخطيب ، المصدر السابق ٧١/١ ٠

١٩ـ الخطيب ، المصدر السابق ٧١/١ ٠
٣٠ـ الخطيب ، المصدر السابق ٦٧/١ ٠
٢١ـ ابن بسام ، المصدر السابق ص١٤٥ـ١٤٦ ٠
٢٢ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧٠/١ ٠
٢٣ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٤ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٥ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٦ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٧ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٨ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٢٩ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٥٩/١٢ ٠
٣٠ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٣١ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٥/١١ ٠
٣٢ـ لعسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٣٣ـ العسكري ، المصدر السابق ٢٧١/١ ٠
٣٤ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٧٩/١٢ ٠
٣٥ـ العسكري ، المصدر السابق ٧١/١ ٠
٣٦ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٥٨/١٢ ٠
٣٧ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٥٨/١٢ ٠
٣٨ـ انظر لسان العرب ج٤ ص٩٠ ، ج١٢ ص٢٥ ٠
٣٩ـ انظر شكل (٣٧) من كتاب « قصير عمره » تاليف مارتين المافرو ، ولويس كايا ليبرو ، وخوان شونايا وانطونيو المافرو ٠ (مدريد ١٩٧٥م) ٠
٤٠ـ انظر شكل (٠٣٦ب) من المصدر السابق ٠
٤١ـ انظر شكل (٠٣٦أ) من المصدر السابق ٠
٤١ـ انظر شكل (٠٣٦أ) من المصدر السابق ٠
٤٢ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٢٦/٤ ٠
٤٣ـ المهراس ، صخرة مستطيلة منقورة يتوضأ منه ويدق فيه ٠ انظر لسان العرب مادة « هرس » وشكل (٠٣٨ب) من كتاب قصير عمره ٠
٤٤ـ ابن سيده ، المصدر السابق ٦٨/٤ ٠
٤٥ـ العبيدي ،صلاح ، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي ، من

المصادر التاريخية والاثرية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية (١٩٨٠) ص١٠٩ لوحة ٣١ .

٤٦ـ زكي ، محمد حسن ، أطلس الفنون الزخرية شكل ٨٤١ مكرر .

٤٧ـ وفي المنتظم لابن الجوزي (٧/١٠٠) سقال ويراد بها الاسقالة وهي ما يربط من خشب وحبال ليتوصل بها الى المحال العالية وتعرف اليوم عند العراقيين بـ « الاسكله » انظر الصابي ، رسوم دار الخلافة ص٨٥ .

٤٨ـ العسكري ، المصدر السابق ١/٢٩٥ .

٤٩ـ العسكري ، المصدر السابق ٢/٤٧٦ .

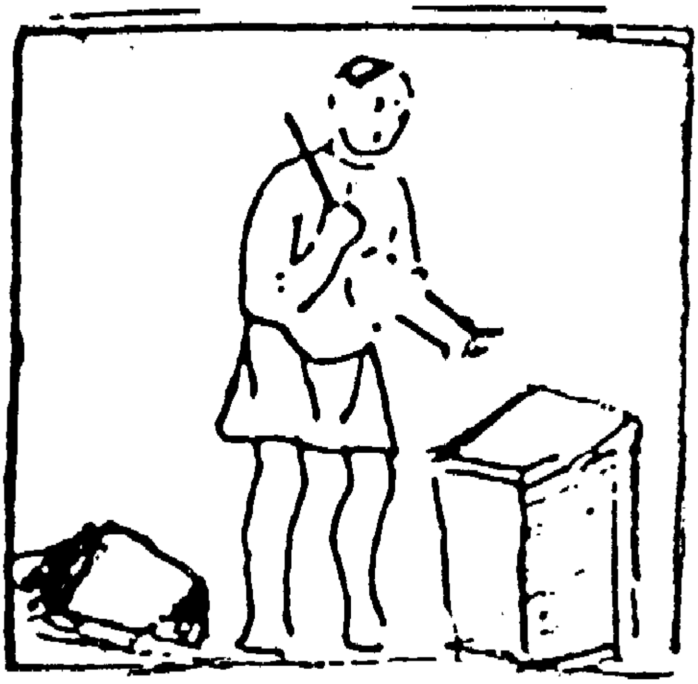
٥٠ـ دوزي : رينهارت ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . ترجمة الدكتور أكرم فاضل (مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ١٩٧١م) ص١٤٦ ، وانظر العبيدي ، الملابس ص٢٥٥ .



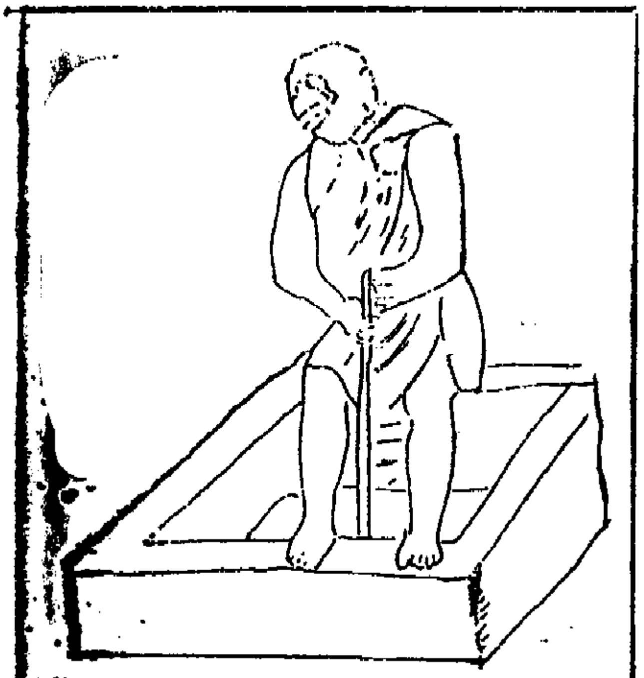
شكل (١)



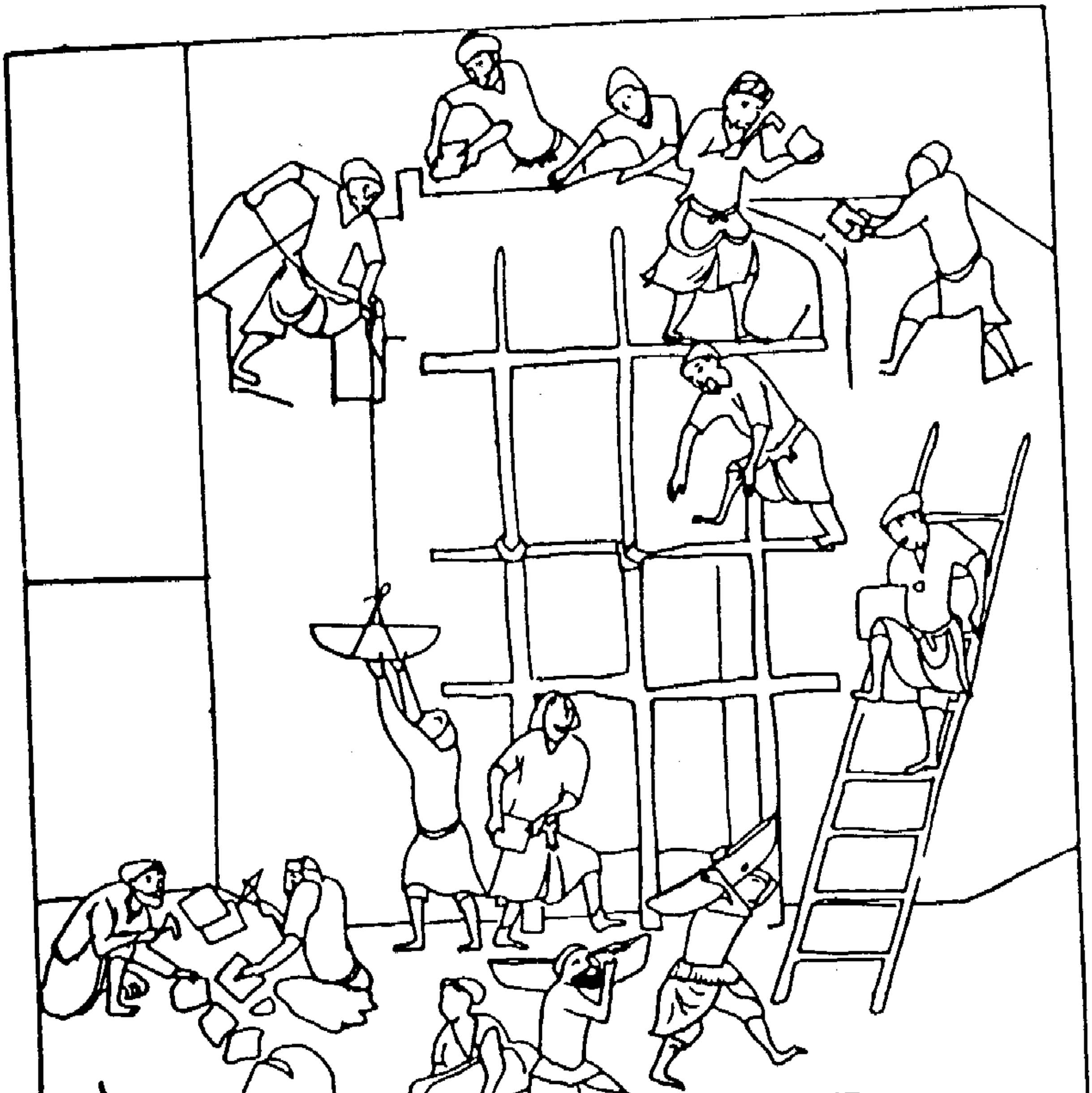
شكل (٢)



شكل (٣)



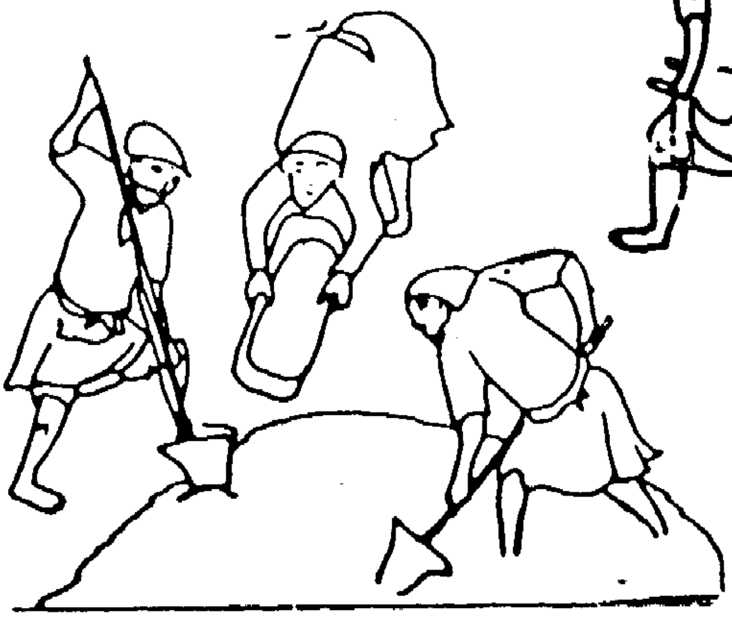
شكل (٤)



شكل (٥)



شكل (٦)



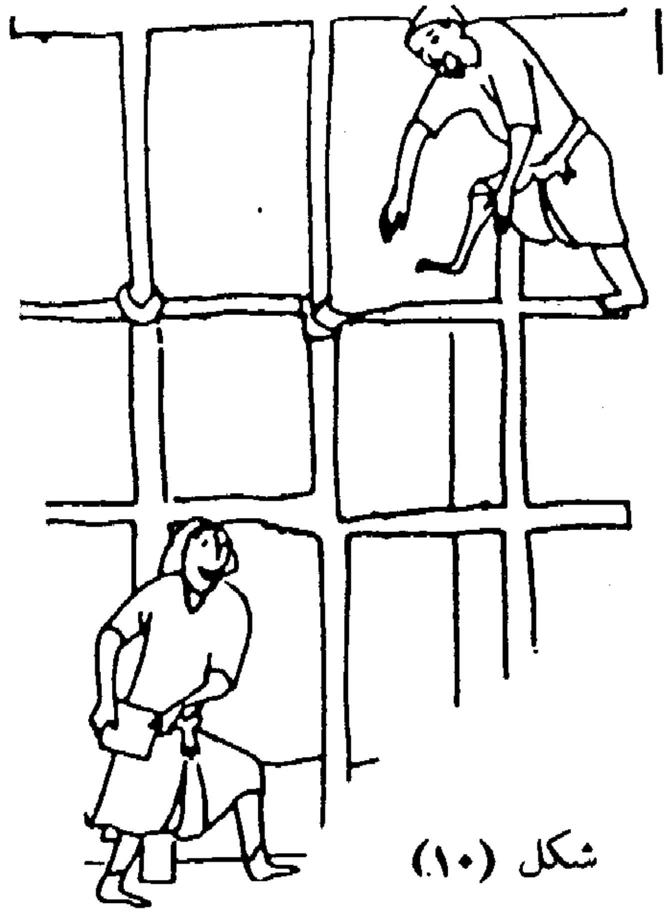
شكل (٧)



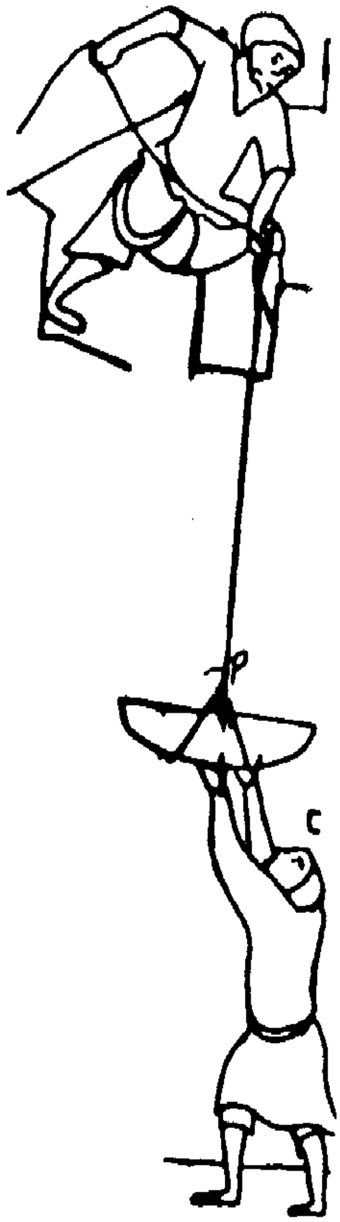
شكل (٨)



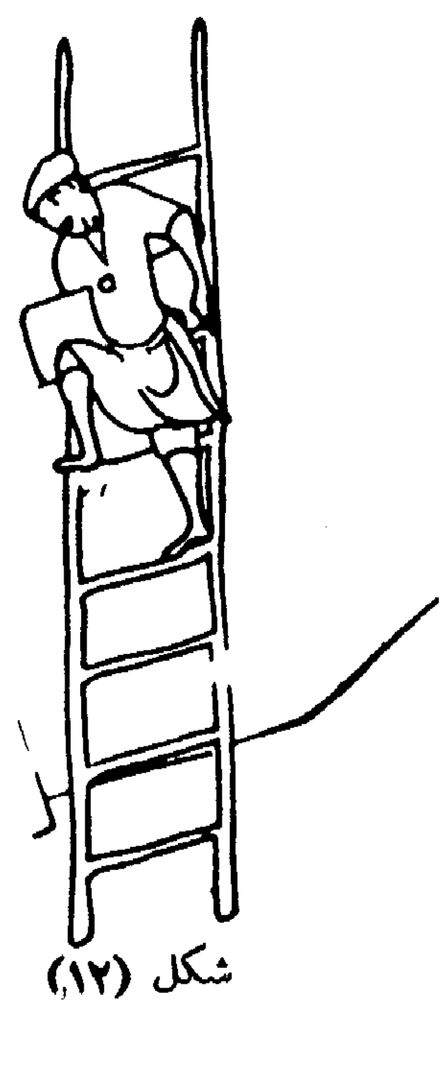
شكل (٩)



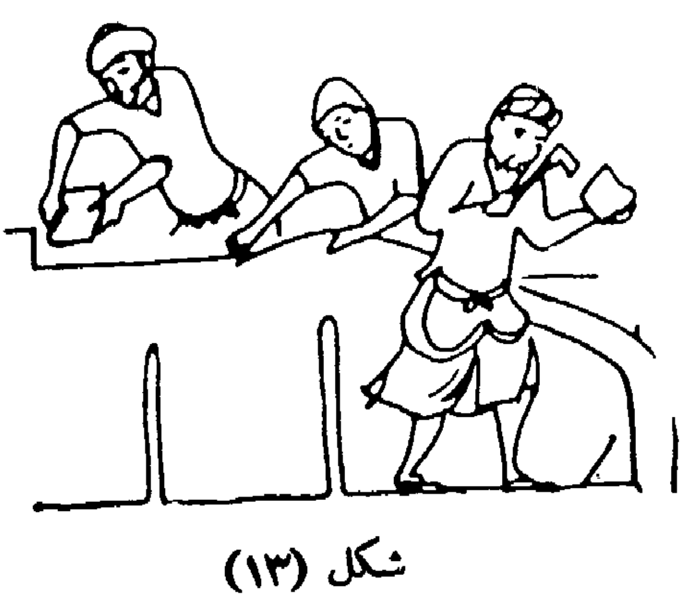
شكل (١٠)



شكل (١١)



شكل (١٢)



شكل (١٣)

اعداد الرسوم للمدن والعمارة الأسلامية

الدكتور طاهر مظفر العميد
استاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

أقام العرب في مختلف العصور الكثير من العمائر ، وشيدوا كذلك الكثير من المدن ، على امتداد الأراضي االعربية والأسلامية ، وآثرت عناصر عمارتهم وأساليب مدنهم في عناصر وأساليب مدناً أجنبية ، في مختلف بقاع الأرض ، وأصبحت عمائهم مميزة بطابع خاص ، وتمرسوا في فنون البناء وصناعته ، وأتقن العمال والفنانون والمزوقون ما عهد اليهم من عمل بنائي أو زخرفي • ولعل ما نشاهده اليوم من عمائر شاخصة وما نقلته الينا النصوص التأريخية خير شاهد على ذلك •

وأن مثل هذه المباني ، وما تخلف من بقايا المدن العربية في العراق والشام وشمالي افريقيا والأندلس والجزيرة العربية ، وفي أقطار عديدة أخرى في آسيا وافريقية وأوربا تؤكد أن الذين قاموا بتنفيذ هذه الأعمال العمارية أو الذين صمموا أشكالها وتابعوا انجازها ، كانوا على علم ودراية بفنون الهندسة ، والرياضيات والقياسات ، وكل ما له علاقة بالعمارة وتفاصيلها •

ومما لاشك فيه أن تنفيذ العمائر بصورة صحيحة ، هي التي تقوم على أساس الرسوم أو المخططات التي تعد لها مسبقاً ، مثل المخططات الهندسية من مساقط وقطاعات أفقية ورأسية ، ومن المنظور والرسوم اليدوية للعناصر والوحدات[1] •

والمعروف أن الكثير من تخطيط العمائر مثل القصور والمساجد

والربط والمدارس ، والحصون والقلاع ، والمدارس وغيرها ، وما تشتمله من مزايا هندسية وتفاصيل معمارية يصعب على المعمار أو البنّاء تنفيذ مثل هذه العمائر من غير رسم هندسي مخطط مسبق مثل الزخارف الجصيه والخشبية والنحاسية والرخامية والواجهات الحجرية والقباب والمآذن واحواضها والمقرنصات[٢] أنها تنفذ وفقاً لرسوم وأشكال معينة ، حيث كان المهندس يقوم برسم المخططات ، وكان المعمارون ينفذون ما يرسمه المهندس[٣] .

ويثير الحديث عن الرسوم والصور التساؤل عما كان يفعله المهندسون والفنيون القدماء عند تكليفهم بتشييد احدى العمائر منذ شروعهم في الخطوات الأولى للبناء ، والتي تتطلب اعداد التصميم ودراسة مخططه وقطاعاته وواجهاته ، وعما اذا كان التصميم على هيئة رسوم هندسية على الرق أو الورق الحجر ، أو على أي مادة من المواد التي تصلح للكتابة والنقش[٤] .

والواقع أنه لم يصلنا شيء من تلك الرسوم يمكن الاطمئنان الى تاريخه ، ولكن على أي حال ، أنه من الممكن أن نستنتج من أقوال المؤرخين أن تخطيط رسوم العمائر الاسلامية كان معروفاً منذ أقدم العصور . فقد جاء مثلا في خطط المقريزي اثناء حديثه عن بناء جامع ابن طولون أن المهندس الذي بنى قناطر ابن طولون أنه أعد تخطيطا للجامع على الرق أو الجلود ابتكر فيه ، على حد قول المقريزي ، فكرة عمل الدعامات التي تحمل سقف المسجد مشيدة بالآجر ، وذلك بدلا من انتزاع الأعمدة الرخامية من عمائر أحرى[٥] . الذي يهمنا في روايه المقريزي هو أن المهندس الذي كُلف بالعمل أعد تخطيطا للجامع على الرق او الجلود ، أما يما يتعلق بالشق الآخر من الرواية والتي تشير الى ابتكار هذا المهندس عمل الدعامات التي تحمل سقف جامع ابن طولون ،

فنقول : بأن فكرة عمل الدعامات المبنية بالآجر لم تكن من ابتكار هـذا المهندس ، بل كانت فكرة عراقية عباسية اسلامية وجدت قبل عصر ابن طولون وظهرت في مسجد سامراء ومسجد أبي دلف ، ويعـد استخدام الدعائم « البدنات » في هذين الجامعين عنصـرا معماريا أصيلا • ويرى « هرزفيلد » أن هذه الدعائم تحمل سقف جامع سامراء مباشرة(٦) • وقد أيد رأي « هرزفيلد » هذا كل من « المس بيل »(٧) ، و « كريزويل »(٨) • وقد كشف نقل الأنقاض من داخل الجامع أثناء التنقيبات التي أجرتهـا المؤسسة العامة للآثار عن وجود اكتاف من الطابوق والملاط ، وقد كتب « بريجز » عن هذه الدعائم يقول : « ومن الظواهر المعمارية ذات الأهمية الكبرى في مسجد سامراء ، استخدام الدعائم المصنوعة من الآجر لحمل البوائك بدلا من العمد القديمة التي استعملت لهذا الغرض في قرطبة وفي غيرها من البلدان »(٩) • وقد رأيت وفحصت احدى هـذه الأكتاف مع الزميل الدكتور عبدالعزيز حميد الذي أشرف على تنقيبات مديرية الآثار في منتصف العقد السادس(١٠) •

والذي يعنينا من رواية المقريزي في هذا البحث هو ما ورد فيها عن خبر المخطط الذي قيل أنـه أعـد على الجلود ، والذي نستنتج منه أن المهندسين القدماء كانوا يقومون بعمل تخطيط مبدئي للعمائر قبل الشروع في بنائهـا ، ويميل الدكتور فريد شافعي الى الظن بأنها ما كانت ترسـم بمقياس رسم خاص في دقة وتنظيم ، كما يحدث في العصر الحديث الذي تطورت فيه العدد الهندسية بحيث تساعد على اعداد الرسوم بالدرجـة المطلوبة من الدقـة والاتقان • ولكن على الرغم من ذلك فأن المهندسين العرب المسلمين القدماء كانوا بلا شك على علم تام بالعدد الرئيسية لمزاولة الأعمال الهندسية ، وهي الزاوية والمسطرة والفرجار والمنقلة • اضافة الى ذلك فأن هناك من الأعمال المعمارية ما يدل على معرفتهم التامة بعلم

من أصعب العلوم الهندسية الأساسية وهو علم « الهندسة الوصفية » فقد تركوا كثيرا من الأمثلة من معضلات ذلك العلم التي وافقوا في حلها بطريقة صحيحة سليمه ما كانوا بالغيها الا اذا كانوا متمكنين تماماً من نظريات الهندسة الوصفيه المعقدة • ثم بطرق تطبيقها وتنفيذها عمليا على الطبيعة • وتتجلى تلك القدرة في المواضع التي تتلاقى فيها أسطح البناء

الطبيعه • وتتجلى تلك القدرة في المواضع التي تتلاقى فيها أسطح البناء

المستوية والمنحنية والكروية ببعضها خاصة عند تغطية الجدران بأسقف من أقبية وقباب • ومن أمثلتها ما يوجد في أسوار حصن القاهرة وابوابه التي شيدها بدر الجمالي[11] •

ترك العرب المسلمون ، على امتداد حكمهم الطويل أعدادا كثيرة لا تحصى من المباني والمدن ، لا يزال الكثير منها شاخصا يشهد على براعة المعمار العربي المسلم وحسن آدائه لفنه ، ومن حق أي انسان أن يتساءل ، وهو يشهد هذه الثروة العظيمة من المخلفات والعمائر والمدن تنتشر هنا وهناك في أراضي واسعة من العالم العربي الاسلامي ، هل أن هذه الآثار المعمارية على اختلاف طرزها وتباين أساليبها ، وبما فيها من فنون زخرفيه ، وأساليب معمارية ، قد خرجت الى الوجود وفقا لنماذج مصغرة لها ، وتصميمات هندسية أولية ؟ ومن الذي أشرف على تصميمها وتخطيطها حتى ابرزها بهذا الأطار الجميل ؟ أهم مهندسون أتقنوا الصنعة ؟ أم معمارون ؟[12]

وجوابنا يستند الى النصوص التأريخية والوثائق الأثرية ، ودراسة هذه النصوص والوثائق تدفعنا بأن نجيب على مثل الأسئلة السابقة ، بأنها كانت تنفذ وفقاً لرسوم وأشكال معينة ، حيث كان المهندس يقوم بعمل رسومات تخطيطية عامة وتفصيلية ، كما عملوا لها نماذج مجسمة ، وعملوا لها قياسات ابتدائية ونهائيه • وتشير هذه النصوص بأن عددا من المهندسين

وعددا من المعمارين قاموا بهذه الأعمال ، وباشروا بأنفسهم الأشراف على العمائر والمباني التي يستدعون الى تشييدها ، وأنهم كانوا يضعون تصميمات شاملة للعمائر تصاحبها أحيانا تصميمات تفصيلية لأجزاء تلك العمائر على الورق أو القماش أو الجلود ، ولم يقتصر الأمر على التصميمات المخططة ، بل اننا نلاحظ أن المهندسين الذين أشرفوا على بعض العمائر الاسلامية المهمة ، وضعوا نماذج مجسمة لهـا ، ومن ثم نفذت طبقا لتلك النماذج المجسمة[١٣] •

واذا عدنا الى المصادر ، فأننا نجد أن المصادر والمؤلفات العربية قد تناولت العلوم الهندسـية والتخطيطيـة والرياضية ، وبحثت في الحيـل الميكانيكيه وجر الأثقال • منها كتاب الفهرست لأبن النديم[١٤] وكتاب مفاتيح انعلولم للخوارزمي[١٥] • وقام قسـم من المصـورين المسلمين بتزيين هـذه الكتب باللوحات التصويرية التي توضح ما جـاء في تلك الكتب[١٦] •

عير أن معظم النماذج والمخططات قد فقدت ، ولم يصلنا منهـا الا النزر القليل كي يبقى مثالا حيا وطيبا ، لتراثنا المعماري والهندسي ، ومع دلك فأن المصادر العربية الاسلامية أشارت الى روايات وأخبار تأريخيـة تثبت ما قلناه سابقاً بأن المسلمين قد وضعوا رسومات وتصميمات لمبانيهـم وعمائرهم[١٧] • سوف نذكر منها في آخر هذا البحث •

وقد وُضعت المؤلفات في علم عقود الأبنية ، وقد عرفه شمس الدين محمـد بن ابراهيم الأنصاري المعروف بأبن الأكفاني السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية (١٣٤٨م) بأنه « علم تعرف منه أحوال أوضاع الأبنية وكيفيه شق الأنهار وتنقية القنى ، وسد البثوق وتنفيذ المساكن • ومنفعته عظيمة ني عمارة المدن والقلاع والمنازل • وفي الفلاحة »[١٨] ثم يذكر أبن الاكفاني وفيه كتاب لابن الهيثم وكتاب للكرخي[١٩] •

ولأبي الوفا اليوزجاني (المتوفى سنة ٣٨٨هـ - ٩٩٨م) كتاب ما يحتاج اليه الصناع من أعمال الهندسة ، ومنه نسخة في مكتبة « آيا صوفيا » . ولأحمد بن عمر الكرابيسي كتاب حساب الدور وكتاب مساحة الحلقة[٢٠] .

وقد بحثت هذه الكتب أيضاً في الأمور الفنية الأخرى[٢١] كاستنباط المياه الجوفية ، وعمل الفوارات ، ونصب الحنفيات ، وانشاء القُنى فوق الأرض وتحتها ، والمصانع والسدود ، والخزانات ، والأحواض ، والصهاريج ، والسقايات والمياضىء . واظهار الماء على رؤوس الجبال ، ورفعه الى القصور بالداوليب ، والقنوات الرصاصية ، والحجرية ، والساجية ، التي تخترق البيوت ، والمنازل ، والمساجد ، والحمامات ، وبناء القناطر ، والأسوار ، والقلاع ، والابراج ، والحصون . وبحثت في الأميال في الطرق ، وضرب النقود ، وتعيين القبلة في المساجد . وما يحتاج اليه الصناع . والمعمارون من أعمال الهندسة ،لنصب المقاييس على الأنهار ، ومن أشهر المقاييس في البلاد العربية مقياس النيل ، ومقياس دجلة[٢٢] . وقد ذكر ابن الجوزي عن مقياس دجلة : وقال : « ونُصب المقياس على دجلة من جانبيها ، طوله : خمس وعشرون ذراعاً ، على كل ذراع علامة مدورة . وعلى كل خمسة أذرع علامة مبعة مكتوب عليها بحديدة علامة الأذرع . تعرف بها مبالغ الزيادات »[٢٣] .

والى جانب براعة المعماريين العرب المسلمين ودرايتهم بفنون الهندسة المعروفة آنذاك ، فأننا نلاحظ بأن بعض العمائر الأسلامية ، وبخاصة ما يمتاز منها بالضخامة واتساع المساحة ، تكشف طريقة تخطيطها وتنفيذها عن انه لم يكن يشرف على الواحدة منها مهندس كبير مسؤول واحد يقبض على زمام المشروع المعماري كله من أوله الى آخره ، بحيث يضع المخطط العام ، ثم جميع التصميمات التي تتبعه الى أدق التفاصيل كما

يحدث في الوقت الحاضر • ويبدو لنا أن المخطط العام لمثل تلك المشاريع الكبيرة لم يكن أكثر من رسم فبدئي يتخذ كدليل يهتدي به في التخطيط الأخير بالحجم الطبيعي على الموقع نفسه كما حدث في عدة أمثلة يذكرها لنا المؤرخون • فمنها أن أبا جعفر المنصور لما كلف المهندسين ببناء مدينته الجديدة ، بغداد المدورة ، مدينة السلام « أحب أنْ ينظر اليها عياناً فأمر أن يخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب يمر في فصلانها ، وطاقاتها ، ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ، ودار عليهم ينظر اليهم والى ما خط من خنادقها ، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ، وينصب عليه النفط ، فنظر اليهـا والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها ، وامر أن يحضر أساس ذلك على الرسم ثم ابتدىء في عملها »(٢٤) •

ولابد لنا ، ونحن في معرض البحث عن اعداد الرسومات في العمارة الاسلاميه لدى العرب المسلمين ، أن نقف عند النص السابق وقفة ممعنة فحصه ، وأن نلفت بتواضع ، نظر الباحثين والمتخصصين في ميدان الآثار الأسلامية ، الى أهمية هذا النص التأريخي ، وما يبنى عليه من بروز نظرية الأستنباط الفكري ، والأبداع المعمري التي يتحلى بها الخليفة المنصور والذين أسهموا معه في تنفيذ البناء • فهذا النص يرشدنا الى نقطة بالغـة الأهمية في طبيعة البحث الذي نتناوله ، ويفسر لنا الكثير من الآراء التي ترد في ثنايا النصوص التأريخية ، ويوضح لنا بجلاء أنه كان لأبي جعفر المنصور ، نظـرة فاحصة وصائبة في ميـدان العمارة ومعـرفة بالنواحي الهندسية • ولم تلبث هذه المعرفة أن انعكست على سعيه في بناء مدينته ، فأمتزجت مع آراء مهندسيه ومعماريه ، فكان نتاج هذا الألتقاء ثمرة يانعة في عالم العمارة يفتخر بها العرب والمسلمون فيما يفتخرون به من مفاخر تراثهم المعمري والحضاري(٢٥) •

والمثال الثاني أورده المقريزي فذكر : أن السلطان الظاهر بيبرس

البندقاري حرج مع المهندسين لمعاينة الموقع الذي اختاره للجامع الذي أراد بناءه ، وعرضوا عليه مقيسه ، وما يتعلق به ، ثم رسم بين يديه شكل الجامع(٢٦) .

والظاهـر أن المهندسين تعلموا هندسـة العمارة في بعض المدارس التي اقيمت لهذا الغرض ضمن أغراض أخرى ، اذ كان في حلب مدرسه أنشأها نجم الدين اللابودي من أهل القـرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي(٢٧) .

وبين أيدينـا بعض النصوص التأريخية تشـير الى وجود حوانيت وأسواق للرسامين ، فقد أدرك المقريزي في القرن السابع الهجري ، عدة حوانيت للرسامين ، فقد أدرك المقريزي في القرن السابع الهجري ، عدة حوانيت للرسامين في سويقة أمير الجيوش ، وفي سوق البندقانيين لرسم أشكال ما يطـرز بالذهب والحرير(٢٨) ، كمـا كان في دمشق سـوق للرسامين احترق في سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م)(٢٩) .

ونورد في أدناه النصوص التأريخية المتوفرة التي تشير الى عمـل الرسومات الهندسية والزخرفية للمنشآت المعمارية وهذه أمثلة للاستشهاد لا للحصر ، اضفة لما أوردناه من أمثلة .

ذكر الجهشياري أن المورياني(٣٠) أشار على أبي جعفر المنصور بأقطاع قطيعة الى ولده صالح(٣١) ، وهي المعروفة بالسيبطية من أعمال البصرة ، طلب أبو جعفـر الى بعض المهندسين بتصويرها له ، فصورها وعرض تلك الصورة عليه فأستحسنها(٣٢) .

وعنـدما أراد أبو الحسن علي بن عيسى ، بنـاء مسناة داره التي اشتراها من ورثة نيزوك على نهر دجلة في سنة ٢٩٢هـ (٩٠٤م) قدر لها مائة ألف درهم حسب تقـدير أبي اسحق ابراهيم ، وصور لـه البناء

وعرضت عليه الصورة مع المقايسة[٣٣] .

وذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي[٣٤] ، أن المنصور عندما أراد اخراج الأسواق من المدينة المدورة الى الكرخ دعا بثوب واسع فحدَّ فيه الأسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه ، ثم بنيت على هذا الرسم .

وورد في كتاب مناقب بغداد ، أن بغداد صوِّرت لملك الروم ، أرضها ، وأسواقها ، وشوارعها ، وقصورها ، وأنهارها ، غربيها ، وشرقيها ، فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصاً من شارع « الميدان » وشارع « سويقة نصر » بن مالك الخزاعي ، والقصور التي في الأسواق ، والشوارع من سويقة نصر الى قنطرة البردان ، وكان اذا شرب دعا بالصورة ، فشرب على صورة شارع نصر ويقول : لم أر صورة شيء من الأبنية أحسن منه[٣٥] .

وفي الحلل الموشية أنه لما اجتاز عبدالمؤمن بن علي الى الأندلس سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) ، نزل بجبل الفتح ، وأمر ببناء حصن هناك اختط رسومه بيده . وكان ممن بناه وأخذ رأيه فيه ، الحاج يعيش المهندس[٣٦] .

واستعيض أحياناً عن عمل الرسومات بالتخطيط على الأرض لعرض المشروعات الكبيرة بأيضاح أوسع ، منها المثال الذي ذكرناه سابقاً عن تخطيط مدينة بغداد المدورة على الأرض . وقام المهندس حسن الصياد عندما طلب منه السلطان الغوري في سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) أن يعرض عليه رسم مدينة الأسكندرية بأبراجها ، وأبوابها ، وأسوارها ، ومنارها . ثم دعى السلطان لمشاهدتها على الرسم ، فنزل من القلعة يوم الأربعاء ١٩ رجب سنة ٩١٦ وعاين الرسم واعجب به[٣٧] .

واشتملت بعض الكتب التأريخية والجغرافية على رسومات هندسية، ففي كتاب تحفة الألباب لأبي حامد الأندلسي الغرناطي صور منها صورة للهرم وأخرى لمنارة الاسكندرية ، ولعل رسمه لمنارة الاسكندرية أصدق رسم لما كان عليه سنة ٥١١هـ (١١١٧م) مع أحسن وصف له(٣٨) .

وفي كتاب « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » لابن الوردي ، صور للحرم الشريف ، والكعبة المشرفة منقولة من رسم من وضع العلامة عزالدين بن جماعة(٣٩) .

وقد حوت « دلائل الخيرات » صوراً للحرمين الشريفين ، منها ما بلغ غاية الدقة وجمال التلوين والتذهيب في نسخ مخطوطة ترجع الى القرنين السادس والسابع عشر للميلاد(٤٠) .

ونقشت رسوم الحرمين الشريفين على ألواح القاشاني باتقان جميل ، ومنها لوحة للحرم المكي عمت سنة ١٠٨٧هـ (١٦٧٦م) ، وأخرى بأسم صاحب الخيرات محمد أغا من عمل أحمد الموقع سنة ١٠٧٤هـ (١٦٦٣م) ولوحة أخرى للحرم المكي تتوسطه الكعبة ومشاعر الحج حوله ، غاية في الأهمية ، عملها محمد الشامي الدمشقي سنة ١١٣٩هـ (١٧٢٦م) ، ولوحة أخرى بها رسومات لقباب وقناديل ومنارات وأشجار عملت سنة ١١٤١هـ (١٧٢٨م) ، وكلها مودعة في متحف الفن الأسلامي بالقاهرة(٤١) .

ومن الجدير ذكره هنا ، أن الكثير من المساجد والقصور والمدارس ودور الأمارة ، وما فيها من تفاصيل معمارية ، يصعب تنفيذها من غير رسم مسبق ، وعلى وجه الخصوص الواجهات الحجرية ، والقباب ، والمآذن ، وما تشتمله من زخارف ، فلابد انها تنفذ طبعاً لرسم ، أو مخطط ، والرسم عادة للمهندس ، والمخطط للمعمار ، حيث يرسم المهندس

المخططات والرسومات ، ويقوم المعمار بتنفيذ ما يرسمه المهندس ، على أن المعمار يكون هو المهندس وهو المعمار كما هو الحال في العراق اليوم ، حين يكون المعمار الذي يبني المئذنة هو الذي ينفذ ما يرسمه هو بنفسه ، كذلك ، عند بناء المقرنصات ، فالمعروف أن الذي يقوم بتنفيذ هذه المقرنصات هو المعمار نفسه وليس المهندس • وكذلك شأن الزخارف الأخرى ، وقلما نجد أثر المهندس في مثل هذه الأمور •

الهـــوامش

١ ـ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الاول ، صفحة ٣٠٢ ٠

٢ ـ انظر نماذج من الزخرفة الاجرية للمدرسة الشرابية في كتاب الدكتور ناجي معروف « المدرسة الشرابية » اللوحات رقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ٠ وانظـر كـذلك كتـابه « تأريخ علمـــاء المستنصرية » صفحة ٤٥ و١٣٨ ، والوحات ٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ٠ وانظر كتاب « جوامع الموصل » لسعيد الديوهجي ، صفحة ١٧ وما بعدها ٠

٣ ـ طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ١٨٨ ٠

٤ ـ فريد شافعي ، مصدر سابق ، صفحة ٣٠٣ ٠

٥ ـ المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٦٥ ٠

(6) Herzfeld, Erster., P. 8.

(7) Bel , Amurath to Amurath, P. 235.

(8) Creswel, Early Muslim Architecture, 11, P. 256.

٩ ـ تراث الاسلام ، قسم العمارة ، صفحة ١٣٥ ٠

١٠ـ طاهر العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، صفحة ١٤٥ ٠

١١ـ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٠٣ ٠

١٢ـ طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ١٨٩ ٠

١٣ـ سنفرد بحثـا خاصا حـول النماذج والتصاميم المجسمة في العمارة الاسلامية ٠

١٤ـ تراجع الصفحات ٣٧١ و٣٨٥ و٣٨٦ و٣٩٧ من كتـاب الفهرست لابن النديم ٠

١٥ـ تراجع الصفحات ١٤١ ـ ١٤٥ من كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ٠

١٦ـ ذكر المرحوم زكي محمد حسن في مستله « مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي » ، صفحــة ١٦ ، أن من المخطوطات التي عنى بتزويقهـا المصورون المسلمون كتاب « الحيل الميكانيكية » و كتاب « الحيل الجامع بين العلم والعمل » لابن الرزاز الجزري ، وقد ألفه لأمير من آل أرتق في أواخر القرن السادس للهجرة (١٢ للميلاد) ، وتكلم

فيه عن الآلات الضاغطة والرافعة والناقلة والمتحركة حركات خفيفة .

١٧ـ طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ١٩٠ .

١٨ـ ابن الاكفاني ، ارشاد القاصد الى اسمى المقاصد صفحات ٨١ـ٨٢ .

١٩ـ نفس المصدر ، صفحة ٨١ـ٨٢ . حسن عبدالوهاب ، « الرسومات الهندسية للعمارة الاسلامية » ، سومر (١٩٥٨) المجلد ١٤ ، صفحة ٧٧ .

٢٠ـ ابن النديم ، الفهرست ، صفحة ٣٩٢ ، أخبار الحكماء ، صفحة ٥٧ .

٢١ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، الجزء السادس ، صفحة ٥٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، الجزء الاول ، صفحة ٣١٣ ، والثاني صفحات ٥١ـ٥٢ ، والثالث صفحات ١٩٥ ، ٢٤٧ـ٢٤٨ ، ٢٩٥ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٣٩ ، والرابع ، صفحة ٢٣٠ .

٢٢ـ ناجي معروف ، عروبة المدن الاسلامية ، صفحة ٣١ـ٣٢ .

٢٣ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، الجزء السادس صفحة ٥٧ .

٢٤ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ صفحة ٢٣٧ ، اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٢٣٣ وما بعدها ياقوت ، معجم البلدان ٦٧٧/١ ، ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، صفحة ١٥ ، طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ١٩١ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٠٧ ، ناجي معروف ، عروبة المدن الاسلامية ، صفحة ٣٣ .

٢٥ـ طاهر العميد ، الآثار الاسلامية والابداع الفكري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد (٢٥) سنة ١٩٧٩ ، صفحات ٦٨٥ ـ ٦٨٦ .

٢٦ـ المقريزي ، الخطط ، ج٢ صفحة ٣٠٠ ، فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٠٧ .

٢٧ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٦ ، صفحة ١١ ، حسن عبدالوهاب ، المصدر نفسه ، صفحة ٨٠ .

٢٨ـ المقريزي ، الخطط ، ج٢ صفحة ٣٠ .

٢٩ـ اللمعات البرقية ، صفحة ٣١ .

٣٠ـ المورياني : هو سليمان بن مسلم اتخذه المنصور حينما استخلف كاتبا له في أول الامر ثم استوزره بعد ذلك فأصبح وزيرا له كما

اشار الجهشياري في كتابه « الوزراء والكتاب » ، صفحة ٩٨ ·

٣١ـ صالح : هو ابن الخليفة المنصور ، وقد جاء في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ، صفحة ١١٧ ، بأن المنصور كان يحبه ويرق عليه ، وكان قد أقطع أولاده جميعا قطائع الا خلاه ، وكان يقول ابني هذا المسكين لا شيء له ، فلقب بصالح المسكين · فقال ابو أيوب المورياني للخليفة : يا أمير المؤمنين قد أصبحت ضيعة تقرب من الاحواز وتشرب من دجلة ، وتغيض فيها ، وهي بلد واسع ، وقد دثرت رسومها وانطمست أنهرها ··· فأقطع المنصور صالحا بتلك الضيعة ـ

٣٢ـ الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، صفحة ١١٧ ·

٣٣ـ تحفة الامراء في تأريخ الوزراء ، صفحة ٢٨٧ ·

٣٤ـ تاريخ بغداد ، ج١ صفحة ٨٠ ، مناقب بغداد ، صفحة ١٣ ·

٣٥ـ ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، صفحة ١٥ ·

٣٦ـ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، صفحة ١١٨ ·

٣٧ـ ابن اياس ، تأريخ مصر ، ج٤ صفحة ١٩٦ ، حسن عبدالوهاب ، المصدر نفسه ، صفحة ٨٢ ·

٣٨ـ أبو حامد الاندلسي الغرناطي ، تحفة الالباب ، صفحة ٧٢ ، والرسم رقم (٢) امام صفحة ٢٠٨ طبع باريس ، حسن عبدالوهاب ، المصدر نفسه ، صفحة ٨٢ ·

٣٩ـ ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، حسن عبدالوهاب ، المصدر نفسه ، صفحة ٨٢ ·

٤٠ـ حسن عبدالوهاب ، المصدر نفسه ، صفحة ٨٣ ·

٤١ـ المصدر السابق ، صفحة ٨٣ ·

عيسى بن موسى ولي العهد

الدكتور حمـدان عبدالمجيد الكبيسي

كلية الآداب / جامعة بغداد

المقـدمة :

من حق عيسى بن موسى علينا أن ننصفه ، ونجلو عن نضارته غبار الزمن وشوائب الانحياز • وعلى الرغـم من نتائج نجاحـه المشهود في حياته ، وممارساته التي أثبت خلالها كفايه ومقدرة ، في الميادين الادارية ، وساحات المعارك العسكرية ، فأن الباحثين أهملوه ، ولم يوفوه حقه •

ان بعض المؤرخين القدماء حاول القاء ظلال من الشك على أعماله الجليلة ، لاسيما انتصاراته العسكرية الحاسمة ، غير أنهـا كانت ظلالا باهتة ، ولم تستطع حجب الحقيقة كلها •

حياة عيسى بن موسى :

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم النبي (ص) • ولد عيسى بن موسى سنتة ثلاث ومائة[1] • وكان يقيم بالحميمة[2] مع عمه أبي العباس عبدالله بن محمد[3] • ولما قبض على ابراهيم بن محمد الامام ، ونقل من الحميمة الى دمشق ، وافقـه أبو

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٨٨ •

(٢) الحميمة : بلد من أعمـال عمـان في أطراف الشام كان منزل بني عباس • (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٠٧ •

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص٤٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٢٣ •

العباس عبدالله بن محمد ، وعيسى بن موسى ، وعبدالله بن علي ، وعدة من مواليهم • وايان ذلك أيقن ابراهيم أنه هالك ، فعهد بمهمة قيادة الدعوة الى أخيه أبي العباس عبدالله بن محمد[٤] •

ان حياة عيسى بن موسى حافلة بالأحداث ، فقد تقاسمت شخصيته متاعب الهموم ، فطبعت سلوكه ، ونحتت عمره • ولقد تفاعلت عدة عوامل في حياته ، لتجعل منه طرازا خاصا ، بين قادة عصره • واذا كانت المؤهلات الخاصه هي اللبنات الاولى التي كونت شخصيته ، فأن اعتزازه بالانتماء الى البيت العباسي ، وشعوره بتجاوز الدهر لأقدار الرجال ، وطموحه بالخلافة ، كل ذلك أسهم بشكل فاعل في صقل شخصيته ، فكان قائدا عسكريا من انظراز المتميز ، يفيض عاطفة ، وحيوية ، وذكاء وفهماً وعدلا • وكان ذا قابليات ادارية كبيرة •

ومع أن النصوص لا تسعفنا كثيرا في متابعة تفاصيل حياة عيسى بن موسى المبكرة فأن ظلالا تكتنف مصادر ثقافته ونشأته الأولى ، الا أن مما لا شك فيه أنه تلقى تعليما جيدا بالنسبة لأبناء جيله • ففي بداية شبابه ، أظهر ميلا نحو معالجة الأمور العامة ، والخوض بها • فيروى (ابن الاثير) قول عيسى بن موسى على أثر خروج أهل بيته من الحميمة يريدون الكوفة : « ان نفراً أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم ، وأهلهم ، يطلبون ما طلبناه ، لعظيمة همتهم ، كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم »[٥] •

ونستطيع أن تتلمس المكانة التي كان يتبوؤها عيسى بن موسى لدى

---

(٤) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص‌ص٤٠٠ـ٤٠١ • الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٣٥٨ •

(٥) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٢٧ • انظر : الطبري ، تاريخ ، ج٧ ص٤٢٩ •

أبي العباس ، من أن الأخير أخفى موضوع وصية ابراهيم الامام اليه ، الا عن ثلاثه هم ، أخيه المنصور ، وابن أخيه عيسى بن موسى ، وعمه عبدالله بن علي[٦] • ولما توجس أبو العباس خيفة من بني أمية ، وعلم أنهم يطاردونه ، وبقية أفراد أسرته ، عمل بوصية أخيه ابراهيم الامام فسار الى الكوفة خفيه ، ومعه كثير من أهل بيته ، ومنهم عيسى بن موسى ، وأخوه أبو جعفر المنصور ، وابنا أخيه عبدالوهاب ومحمد ، وأعمامه داود ، وعيسى ، وصالح ، واسماعيل ، وعبدالله ، وعبدالصمد ، وابن عمه داود ، حتى قدموا ظاهرة الكوفة في صفر سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م[٧] •

اسهامه في ادارة دفة الدولة :

منذ وقت مبكر من قيام الدولة العباسية ، عهد الخليفة العباسي الأول ، بادارة ولاية الكوفة وسوادها الى عيسى بن موسى ، الذي أظهر حيوية ومقدرة فائقة في تدبير شؤون هذه الولاية القلقة[٨] • ويبدو أن الخليفة أبا العباس عبدالله بن محمد ، قد تلمس الحذق الاداري عند عيسى بن موسى ، وتفانيه في خدمة الدولة الفتية ، لذا أسند اليه امارة الحج سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م[٩] • وهي مهمة جد خطيرة ، ذلك أن كثيرا

---

(٦) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص٤١٠ •

(٧) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ص٤٢٣ • ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣٣ •

(٨) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج٢ ص٤٣٨ •
الطبري ، تاريخ ، ج٧ ص٤٥٨ و٤٦٧ • ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٢٤ و٣٤٠ و٣٤٤ •

(٩) ابن خياط ، تاريخ ج٢ ص٤٣٦ و٤٤٠ •
اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج٣ ص١٠٣ •
الطبري ، تاريخ ، ج٧ ص٤٦٥ • أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج١ ص٣٢٩ •

من الخلفاء كان يتولاها بنفسه ، أو يعهد بها الى المقربين اليه ممن يتوسم فيهم الورع والتقوى ، والحنكة السياسية ، والكفاية العسكرية • وفي الأعم الأغلب يكون أمير الحج علوياً أو عباسياً ، يختاره الخليفة بنفسه ، أو بالتشاور مع الرجال المقربين اليه من أفراد الأسرة العباسية الحاكمة ، والقضاة ، والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة ، لأن أمير الحج عادة يتقدم موكب الحج حاملا الراية التي يسلمها له الخليفة • ويقوم أمير الحج أيضا بالقاء الخطبة في مكة المكرمة نيابة عن الخليفة • وفي سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م تولى عيسى بن موسى امارة الحج ، ذلك أن الخليفة المنصور ارتأى أن يسند هذه المهمة أيضا الى ولي عهده[١٠] •

ولما آلت الخلافة الى أبي جعفر المنصور سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م ، اقر عيسى بن موسى على ولاية الكوفة ، الا أنه عزله عنها سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م[١١] • لكن الولاية ما لبثت أن أسندت اليه مجددا[١٢] ، وظل محتفظاً حتى خلافة المهدي الذي أقره عليها أيضا[١٣] •

واستعان ابان ولايته على الكوفة بعبدالله بن شُبرُمة الضبي ، فعهد اليه قضاء أرض الخراج ، حيث كان فقيها وشاعرا ، يحضر هو والقاضي محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الانصاري عند عيسى بن موسى فيسمران[١٤] •

---

(١٠) ابن خياط ، تاريخ ج٢ ص٤٤٧ • الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥١٦ • ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٦٩ • ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج١ ص٣٥٠ •

(١١) ابن خياط ، تاريخ ص٤٦٢ •

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٦٨ •

(١٣) ابن خياط ، ج٢ ص٤٧٩ •

(١٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج٦ ص٢٤٤ •

عيسى بن موسى ولياً للعهد :

في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م عقد الخليفة أبو العباس عبدالله بن محمد ، لأخيه أبي جعفر المنصور بالخلافة من بعده ، وجعله ولي عهد المسلمين ، ومن بعد أبي جعفر عقد أبو العباس أيضا لولد أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وكتب العهد بذلك ، وصيّره في ثوب ، وختم عليه بخاتمه وخواتم أهل بيته ، ودفعه الى عيسى بن موسى ، من أجل أن يثبته ، ويسبغ عليه الصفة الشرعية ، وليؤكد تنفيذه[١٥] .

وتشاء الصدف ، أن تحصل وفاة الخليفة أبي العباس ، وولي العهد الأول خارج العاصمة ، حيث كان أميراً للحج في تلك السنة (١٣٦هـ) : الا أن ولي العهد الثاني عيسى بن موسى بادر مسرعاً ، وشخص الى الانبار ـ عاصمة الخلافة آنئذ ـ ، وأخذ البيعة لأبي جعفر المنصور ، بعد اتمام تجهيز الخليفة المتوفى . ومن ثم كتب الى المنصور يعلمه بوفاة الخليفة أبي العباس والبيعة له[١٦] . وكان الناس بمكة قد بايعوا لأبي جعفر لما وردهم نعي الخليفة أبي العباس[١٧] .

وبثبات ، ورباطة جأش ، أتم عيسى بن موسى مبايعة الناس لأبي جعفر ، ثم أرسل أبا غسان يزيد بن زياد ـ وهو حاجب أبي العباس ـ الى عبدالله بن علي في الشام ، يخبره بوفاة الخليفة ، وبيعة المنصور ، حسب وصية الخليفة المتوفى ، ويأمره بأخذ البيعة للمنصور من أهل الشام[١٨] .

---

(١٥) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٠ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٤٧ . ابن خلدون ، تاريخ ج٣ ص١٨٠ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٢٦١ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٢ ص٧ .

(١٦) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧١ . ابن خلدون ، تاريخ ج٣ ص١٨٠ .

(١٧) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٤٧ .

(١٨) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٤ .

وكان عبدالله بن علي ، قد قاد جيشا من أهل الشام لغزو الصائفة ، غير أنـه لما أبلغ بوفاة أبي العباس ، عـاد الى الشام مسرعاً ، وقـد بايع لنفسه[19] . ومهما يكن من أمر ، فأن عيسى بن موسى قـد أعـد خطة بارعة ، وضع من خلالها يده على بيوت الأموال ، والخزائن ، والدواوين ، منتظراً قدوم الخليفة الجديد ليسلم لاليه الأمر كاملا[20] .

ويصل ركب الخليفة الجديد ليفاجأ بتمرد عمه عبدالله بن علي ، الذي كان يرى أنه أحق بالخلافة من المنصور ، وان الخليفة العباسي الأول كان قد انتدبه لمحاربة آخر خلفاء الامويين مروان بن محمد . ذلك أن أبا العباس كان قد دعا بني أبيه ، فأرادهم على المسير الى مروان بن محمد فقال : « من انتدب منكم فسار اليـه فهو ولي عهدي . فلم ينتدب [له] غيري »[21] . ومن هنا برر عبدالله بن علي خروجه على أبي جعفر المنصور . الا أن الأخير قفل من الحجاز مسرعا ، واستطاع أن يعالج الأمور بحكمة وبعد نظر . ذلك أنه ارتأى أن يعالج تمـرد عبدالله بن علي عن طريق أبي مسلم الخراساني ، والحسن بن قحطبه الطائي ، ومالك بن الهيثم الخزاعي[22] ، الذي كان على المقدمة[23] .

وكان الحسن بن قحطبة الطائي[24] قد وافى أبا مسلم ، وأسهم

(19) اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٠٦ . الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص‌ص٣٤٧-٣٤٨ . أبو المحاسن ، النجوم ص١ ص٣٣٣ .

(20) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٤٨ .

(21) اليعقـوبي ، تاريخ ج٣ ص١٠٦ . الطبـري ، تاريخ ج٧ ص٤٣٢ و٤٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٤٨ .

(22) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٤٨ .

(23) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٥ .

(24) كان خليفة المنصور بأرمينية .

معـه في ملاحقـة عبدالله بن علي[٢٥] ، اذ كان الحسن بن قحطبة على ميمنـة جيش الخلافة ، في حين كان خازم بن خزيمـة على ميسرته . وكانت الحرب سجالا بين الطرفين ، الى أن استطاعت جيوش الخليفـة المنصور أن تلحـق الهزيمة بجيش عبـدالله بن علي ، وبذلك تخلص المنصور من أكبر منافس له[٢٦] .

والذي يهمنا من الأمر ، أو ولي العهد عيسى بن موسى لم يظهر له دور بارز في النزاع الذي دار بين الخليفـة المنصور ، وبين منافسه عبدالله بن علي ، الا ما أشار اليه (ابن الاثير)[٢٧] حين ذكر أن عمـه عبدالصمد بن علي ، الذي كان في صـفوف جيش عبـدالله بن علي ، اضطر الى أن يلجأ الى ابن أخيه والي الكوفة عيسى بن موسى ، فاستاء منه عند انهزام جيش عبدالله بن علي امام جيش المنصور[٢٨] . وبلا ريب ، فأن هذا الموقف أحدث احراجاً كبيراً لولي العهد ، الا أنه استطاع ان يتلمس له مخرجاً ، فأكرم وفادة عمه عبدالصمد ، وحباه وكساه . وفي الوقت نفسه التمس الصفح عنه من الخليفة المنصور ، الذي قدر لولي عهده تصرفه السليم في هذا الموقف المحرج[٢٩] .

موقف عيسى بن موسى من تجاوزات أبي مسلم :

ان وجود ولي العهد عيسى بن موسى في الكوفة ، أبعده قليلا عن

(٢٥) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٦ .

(٢٦) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٧ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص ص٣٤٩ـ ٣٥٠ .

(٢٧) الكامل ج٤ ص٣٥٠ .

(٢٨) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٨ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج١ ص٣٣٣ .

(٢٩) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٧٨ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥٠ .

مسرح الأحداث الساخنة التي شهدتها السنوات الأولى من خلافة أبي جعفر المنصور • فيروي (الطبري)[٣٠] أن أبا مسلم الخراساني تقدم فأتى الانبار بعد رجوعه من مكة بعيد وفاة الخليفة أبي العباس ، « فدعا عيسى بن موسى الى أن يبايع له »[٣١] ، فرفض عيسى هذا العرض • ويضيف ابن أعثم الكوفي[٣٢] ، عن رواية يحيى بن عبدالله الهاشمي ، أنه لما بايع الناس للمنصور « أقبل أبو مسلم الى عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فقال له أبو مسلم : لم قعدت عن هذا الأمر بعد أبي العباس ، وأنت للخلافة أهل ومحل ؟ • فقال عيسى بن موسى : ويحك يا أبا مسلم ، انما نحن بنو عم ، فأينا صار اليه الأمر فهو محل • فقال أبو مسلم : صدقت ، وأنت أخير لنا من أبي جعفر ، فأن شئت خلعناه وعقدنا لك البيعة : فغضب عيسى بن موسى » •

وهنا أثبت عيسى بن موسى أنه ليس من الانصاف أن يزاحم عمه ، أو يتقدم عليه ، وهو شيخ كبير ، وصنو لأبيه ، ويمتلك مؤهلات القيادة ، لذلك رفض هذا العرض باباء ، ولم تطاوعه نفسه أن يكون مخالفاً للخليفة الشرعي • ولعل أدرك ضراوة النوايا البعيدة التي كان يرمي من ورائها أبو مسلم ، كما أنه استشعر قسوة الصراع الذي أخذ يثيره أبو مسلم[٣٣] •

وايان احتدام الصراع بين الخليفة المنصور وبين أبي مسلم ، وتبادل الرسائل بينهما ، أخذ أبو مسلم يتوجس خيفة من أبي جعفر المنصور • فأراد الأخير أن يطمئنه ، فلم يجد أصلح من ولي عهده عيسى بن موسى ،

---

(٣٠) تاريخ الرسل ، ج٧ ص٤٨٠ •
(٣١) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥٠ •
(٣٢) كتاب الفتوح ج٨ ص٢١٣ •
(٣٣) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥١ •

ليحمل رسالته هذه[٣٤] ، لكي تسكن هواجس القائد الذي أضمر للخليفة شراً ، وهنا يتعرض عيسى بن موسى لموقف محرج جديد ، حيث وجد نفسه وسط أحداث متلاطمة • وعلى الرغم من أن انتماءه الأسري، وقدسية البيعة التي في عنقه ، تحتمان عليه أن يكون بجانب الخليفة الشرعي ، الا أنه لم يستطع أن يجاهر بموقفه هذا ، لان مجاهرته تلك قد سفسد عليه مهمة حمل رسالة الخليفة ، وحبط خططه بعيدة المدى ، التي أظهرت الأيام والحوادث صوابها[٣٥] • هذا فضلا عن أن اعلان عدائه للقائد المتمرد قد تكلف ولي العهد حياته حين حمل رسالة الخليفة • وحينئذ وجد ، أن لابد من كظم غضبه[٣٦] •

ويخيل لي ، أن ما كان يدور في فكر ولي العهد عيسى بن موسى ، بعيد كل البعد عن خطط ونوايا الخليفة المنصور ، وبخاصة تلك التي بيتها تجاه أبي مسلم الخراساني • ففي الوقت الذي أعد الخليفة العدة للتخلص من أبي مسلم ، واتفق مع وزيره أبي أيوب المورياني ، وعثمان ابن نَهِيْك ، وأربعة من الحرس الخاص بالخليفة ، منهم شبيب بن واج ، وأبو حنيفة حرب بن قيس ، الذين أمرهم بقتل القائد المتمرد اذا صفق بيديه ، وتركهم خلف الرواق •

في هذا الوقت كان أبو مسلم يتناول طعام الغداء مع عيسى بن موسى في منزله[٣٨] • واستبعد أن يكون لولي العهد علم بخطط ونوايا الخليفة • ويصعب علينا أن نؤول وجود عيسى بن موسى مع أبي مسلم

(٣٤) اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٠٦ • الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٨٣ •
(٣٥) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥١ •
(٣٦) اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٠٦ • ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥١ •
(٣٧) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٨٩ و٤٩٠ •
(٣٨) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥٤ •

الذي كانت تحاك حوله شراك الخليفة والمقربين منه ، من باب التمويه والخداع ، لان ولي العهد لم يرتق بعد الى هذا الحد من المهام الصعبه التي تنطلب ، فيما تتطلب ، رباطة جأش ، وفرائس قوية ، ربما ينوء عيسى بن موسى يحملها حينذاك لكن القرائن تشير الى أنه ما زال لعيسى بن موسى رأي جيد بأبي مسلم ، ذلك أن ولي العهد كان قد دخل على الخليفة المنصور مستفسرا عن أبي مسلم ، الا أن الخليفة انتهره قائلا : « يا أحمق ، والله ما أعلم في الأرض عدواً ، أعدى لك منه ، ها هو ذا في البساط . فقال عيسى : انا لله ، وانا اليه راجعون . وكان لعيسى فيه رأي . فقال المنصور : خلع الله قلبك ، وهل كان لكم ملك ، أو سلطان مع أبي مسلم »[٣٩] . وكان ذلك في سنة ١٣٧هـ / ٧٥٤م .

اسهامات عيسى بن موسى الحربية :

لقد كان عيسى بن موسى متفانياً في خدمة الدولة الفتية ، لذا تألق نجمه منذ بداية قيام الدولة العباسية ، فأثبت جدارة ومقدرة فائقة في انجاز المهام الصعاب التي كانت توكل اليه ، فبعد خطبة أبي العباس الأولى في جامع الكوفة ، ومبايعة الناس له بالخلافة ، قرر ارسال ابن أخيه عيسى بن موسى على رأس جيش لمؤازرة الحسن بن قَحْطبة الطائي ، وهو يومئذ يحاصر آخر ولاة الأمويين يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري بواسط فتعاون عيسى والحسن في الحاق الهزيمة بأبن هبيرة ، واستقر الأمر في ارض السواد لصالح الدولة العباسية[٤٠] .

ويتولى عيسى بن موسى اخماد حركة محمد بن عبدالله « ذي النفس الزكية » . الذي تتواتر الروايات التاريخية في حصول خروجه بالمدينة

---

(٣٩) ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٣٥٥ .
انظر : الطبري ، تاريخ ج٧ ص٤٨٩ و٤٩٢ .

(٤٠) الطبري ، تاريخ الرسل ج٧ ص٤٣١ . ابن الاثير ، الكامل ج٤ ص٤٢٦ .

في الأول من شهر رجب سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م[٤١] . وفي رواية أخرى أنه خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة[٤٢]، وكانت أول خطوة اتخذها الخليفة المنصور ، أنه بادر مسرعا نحو الكوفة ليجثم على صدرها ، ومن ثم أحفف المدينة بالمسالح تحسباً مما قد يخرج منها[٤٣] .

وتبادل الرسائل الطويلة بين محمد بن عبدالله ، والخليفة المنصور ، ذلك أن الخليفة حاول جاهداً صد محمد بن عبدالله عن الخروج على ارادة الدولة ، واحداث الفتنة . حيث أعطاه عهد الله وميثاقه ، وذمة رسوله (ص) ، باذلا له الوعود والمواثيق الغليظة ، بالصفح عنه ، وعن أولاده ، وأخوته ، وأهل بيته ، وكل من بايعه واتبعه ، أو دخل في شيء من أمره ، وممنياً اياه بالامان والاقامة في أي مكان يشاء ، وأن يطلق سراح أهل بيته ممن هم في السجون ، وباذلا له مائة الف لف درهم ، وما سأل من الحوائج ، ان هو عدل عن هذا الأمر[٤٤] .

غير أن محمد بن عبدالله رفض كل هذه العروض ، وأصر على الخروج والمطالبة بالخلافة ، وكعادة المنصور ، لم يتسرع في اتخاذ القرارات الصعبة ، الا بعد مشاورة عدد كبير من ذوي الرأي والدراية ، والحنكة . وان مشاوراته هذه امتدت لتشمل عمه عبدالله بن علي وهو في سجن الخليفة[٤٥] .

---

(٤١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ج٢ ص٤٤٩ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٤ـ٥ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٢٦١ .

(٤٢) الطبري ، تاريخ الرسل ج٧ ص٥٥٧ .

(٤٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص٣٠٢ . الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٦٥ .

(٤٤) الطبري ، تاريخ الرسل ج٧ ص٥٦٦ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٥ـ٦ .

(٤٥) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٤ .

ان المكانة الخاصه التي كان يتمتع بها محمد بن عبدالله (النفس الزكية) ، جعلت الخليفة ينظر الى هذا الأمر نظرة في منتهى الجدية ، فدعا ابن اخيه وولي عهده عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس ، وندبه لمسير الى المدينة لقتال محمد بن عبدالله(٤٦) ، وهو ابن ثلاث وأربعة سنة(٤٧) ، وضم اليه أربعة آلاف من الجند ، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين السابق(٤٨) . وقال الخليفة لولي عهده : « امض أيها الرجل ، فوالله ما يراد غيري وغيرك ، وما هو الا أن تشخص أنت ، أو أشخص أنا »(٤٩) ، فسار ، وسير معه الجنود ، وجعل في مقدمته حميد بن قحطبة الطائي ، وعلى ميمنته محمد بن أبي العباس (الخليفة السابق) ، وعلى ميسرته داود بن كـرّاز ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة(٥٠) ، وكثير بن حصين العبدي ، وغيرهم . وجهزهم بالخيـل والبغال والسلاح والميرة(٥١) . وقال الخليفة لولي عهده حين ودعه : « يا عبس : اني أبعثك الى ما بين هذين ، وأشار الى جنبيه ، فأن ظفرت بالرجل فاغمد سيفك ، وابذل الأمان »(٥٢) .

وتظهـر لنا أولى اجراءات عيسى بن موسى العسكرية وخططه في

---

(٤٦) ابن خياط ، تاريخ ج٢ ص٤٤٩ . الدينوري ، الاخبار الطـوال ص٣٨٥ . البغدادي ، الفرق بين الفرق ص٣٧ . ابن خلدون ، تاريخ ج٣ ص١٩١-١٩٢ .

(٤٧) الطبري ، تاريخ الرسل ج٧ ص٥٨٨ .

(٤٨) ن.م ، ص٥٧٧ .

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٨ .

(٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل ج٧ ص٥٨٨ . ابن خلدون ، تاريخ ج٣ ص١٩٢ .

(٥١) ن.م ، ص٥٧٩ .

(٥٢) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٨ .

تشتيت صفوف عدوه ، محاولا ابعاد أنصار محمد بن عبدالله عنه ، وبعثرتهم ، لكي يحدث تخلخلا في صفوفه الداخلية ، وعندئذ ينفذ من بين تلك الفجوات التي قد تحدث من جراء هذه الخطوة . وعندما وصل القائد عيسى بن موسى فَيْد(٥٣) ، واقترب من المدينة المنورة ، رأى من المناسب أن يكتب الى ذوي المكانة والرأي ، منهم : عبدالعزيز بن المطلب المخزومي ، وعبيدالله بن محمد بن صفوان الجمحي . وكتب الى عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب يأمره بالخروج من المدينة فيمن اطاعه ، فخرج هو وعمر بن محمد بن عمر ، وأبو عقيل محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل ، وغيرهم(٥٤) .

واصل القائد عيسى بن موسى سيره باتجاه المدينة حتى نزل (الاعوص)(٥٥) ، وكان محمد بن عبدالله قد أمر بحفر خندق حول المدينة ، اسوة بما فعل ارسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وخطبهم ، وذكرهم بأحقيته في تولي أمر المسلمين ، ثم بدا له أن يأذن لمن يريد منهم أن يظعن . فخرج عدد كبير بذراريهم وأهليهم الى الاعراض والجبال ، مؤثرين السلامة ، وخاطب محمد بن عبدالله أهل المدينة قائلا : قد حللتكم من بيعتي ، فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فلينصرف ، فتسللوا حتى « بقي في شرذمة ليست بالكثيرة »(٥٦) .

---

(٥٣) فيد : بلدة صغيرة قرب المدينة .
(انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ص٢٨٢) .

(٥٤) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٧٩ .
ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٨ .

(٥٥) الأعوض : موضع قرب المدينة . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٢٣) .

(٥٦) الطبري ، تاريخ ج٧ ص ص٥٨٢-٥٨٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص٨ .

ولما أصبح جيش عبس بن موسى على بعد ميل تقريبا من المدينة أخذ يضع الخطط الدقيقة . فتلمس أن الخيل لا عمل لها مع الرجالة ، وخشي ان كُشف جيشــه أن يدخل العــدو بين صفوفه . فارتأى ان يتأخر الفرسان الى سقاية سليمان بن عبدالملك بالجرف(٥٧) ، وهــذا الموقع على أربعــة أميال من المدينة . اذ وضع في تقــديره ان الراجل لا يستطيع أن يهرول أكثر من ميلين ، واذا ما تجاوز ذلك فحتماً سوف يصل الى موضع الفرسان متعباً . وفي هــذه الحال يصعب عليه المنازلة والقتال ، وعندئذ يكون من السهولة على الفرسان القضاء عليه(٥٨) .

واقتضت خطة القائد عيسى بن موسى أن يرسل خمسمائة رجل الى بطحاء ابن أزهر التي تقع على ستة أميال من المدينة ، فأقاموا بهــا . وقد اتخذ هذه الخطوة تحسباً من احتمال أن ينهزم محمد بن عبدالله ، ويحتمي بمكة فيرده هؤلاء المقاتلون ، ويسدوا عليه طريق الفرار(٥٩) . كما انزل ثلة من جنده بوادي القرى لتمنع ميرة الشام من الوصول الى المدينة والجيش المتمركز فيها . وفي حاله نجاح هذه الخطة سيموت جيش محمد بن عبدالله جوعاً وهو في مكانه(٦٠) .

ووضع عيسى بن موسى نصب عينيه ضرورة افشال محاولة محمد ابن عبدالله هذه ، والقضاء عليها في مهدها ، وقبل أن تتسع دائرتها ، وتمتد الى مناطق أخرى . فأرسل قائد الجيش العباسي عشرة من آل أبي طالب منهم : القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، وعبدالله بن محمد

---

(٥٧) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة باتجاه الشام .
(انظر : ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص١٢٨) .
(٥٨) الطبري ، تاريخ ج٧ ص ص٥٨٣ـ٥٨٤ .
(٥٩) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٩ .
(٦٠) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٧٨ .

بن محمد فقـال : « من انتدب منكم فسار اليـه فهو ولي عهدي • فلـم وعبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر ، فأنطلقوا حتى سوق الحطابين ، الى محمد بن عبدالله (النفس الزكية) ، يدعونه للرجوع عما هو عليه ، ويذكرونه بأن الخليفة المنصور قد أمنه وأهله ، ان هو انصرف عن هذا الأمر وعاد الى حضيرة الدولة • الا أن محمداً رفض عرض عيسى بن موسى ، وأصر على مقاومة الجيش العباسي الزاحف[٦١] • وعنـدها أيقن القائد عيسى بن موسى ، أنه لابد من المنازلة ، وقال : « ليس بيننا وبينه الا القتال »[٦٢] • غير أنه بادر الى خطوة جديدة حيث نزل بالجرف لاثنتي عشـرة من رمضان سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ، وأرسل من ينادي : « يا أهل المدينة ، ان الله حرم دماء بعضنا على بعض ، فهلموا الى الأمان ، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخـل المسجد فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن »[٦٣] ، غير أن جل أهل المدينة لم يستجيبوا لندائه[٦٤] •

وازاء ذلك ، ارتأى القـائد عيسى بن موسى أن يعيـد في خططه ليواجه الاحداث (المواقف) التي استجدت • فأقتضت خطته الجديدة أن يورع قواده وجنده توزيعا جديدا بحيث يشمل سائر جبهات المدينة ، ليشددوا الخناق حولها ، في حين أخلى ناحية مسجد أبي الجراح ، لكي يفسح المجال أمام من يريد أن يهرب من جند عدوه • وهنا يظهر أن عيسى بن موسى لم يكن يرغب أن يلحق خسائر كبيرة بأهـل المدينة ، كما أنه غير راغب في اراقة مزيد من الدماء ، ذلك أن هذا القائد كان يريد

(٦١) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٨٧ •
(٦٢) ابن الاثير ، الكامل في٥ ص٩ •
(٦٣) ن•م •
(٦٤) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٨٦ •

أن يحقق انتصارا حاسما على عدوه بأقل التضحيات[٦٥] .

ومع ذلك حصلت مناوشات بين الفريقين ، وسقطت ضحايا من الجانبين ، وقاتل محمد بن عبدالله قتال الأبطال . وحينئذ أصدر عيسى بن موسى أمره الى القائد حميد بن قحطبة الطائي ، فتقدم في مائة شخص (مقاتل) ، كلهم راجل سواه ، فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندق ، فهدم القائد حميد وجنده الجدار ، وانتهى الى الخندق ، ونصب عليه أبواباً ، وعبر هو وأصحابه عليها ، فجاوزوا الجندق ، وقاتلوا من ورائه أشد قتال[٦٦] .

ولكي يعزز موقف حميد بن قحطبة وجنده ، أمر عيسى بن موسى أن تردم أجزاء من الخندق ، وتطرح بها حقائب الأبل ، وجعل الأبواب عليها ، فأصبح باستطاعة الخيل اجتياز الخندق ، فأقتل الطرفان قتالا شديدا ، واشتد الضغط على محمد بن عبدالله وجنده ، ونصحه أحد المقربين اليه بأن يتجه الى مكة لأن فيها عددا من أصحابه ومؤيديه ، وحينئذ ينعزز مركزه . الا أن محمد بن عبدالله رفض قبول هذه النصيحة[٦٧] ، كما ناشده آخر أن يذهب الى البصرة ، الا أنه آثر البقاء في المدينة والمقاومة فيها حتى لو كلفه ذلك حياته[٦٨] ، ولم يزل يقاتل حتى قتل في ١٤ رمضان سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م[٦٩] .

ومهما يكن من أمر ، فأن اخفاق محمد بن عبدالله عد نصرا بيناً للقائد العباسي عيسى بن موسى ولي العهد . وتستطيع أن تقدر عظمة هذا

---

(٦٥) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٩ .
(٦٦) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٩ .
(٦٧) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٩١ .
(٦٨) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٠ .
(٦٩) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٩١ و٥٩٧ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ص٣٤١ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ صص١٠-١١ .

النصر اذا ما علمنا أن جيش محمد بن عبدالله بلغ أربعين الف مقاتل(٧٠) •
وفي الوقت نستطيع أن تتلمس أن القائد عيسى بن موسى كان يتعامل بنوازع وجدانية وانسانية ومبدئية ، أثرت في نفوس الناس ايما تأثير ، اذ انه عمل على ايقاف اراقة دماء جديدة فبعث « بألوية فوضع على باب أسماء بنت حسن بن عبدالله واحد ، وعلى باب العباس بن عبدالله بن الحارث آخر ، وعلى باب محمد بن عبدالعزيز الزهري آخر ، وعلى باب عبيدالله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلى باب دار عمر والغفاري آخر • وصاح مناديه : من دخل تحت لواء منها ، أو دخل دارا من هذه الدور فهو آمن »(٧١) •

أقام عيسى بن موسى في المدينة المنورة عدة أيام ، ثم شخص صبح تسع عشر ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة المكرمة معتمرا ، ومزهوا بالنصر الذي حققه(٧٢) ، الا أن مهمات عسكرية جديدة أخرى تحول دون اتمام العمرة التي نوى عيسى بن موسى أداءها •

عيسى بن موسى ينتدب لمهام قتالية جديدة :

وفي موقف آخر تتضح أمامنا مقدرة عيسى بن موسى ، وكفايته العسكرية ، واخلاصه للخليفة المنصور ، وتفانيه في الذود عن حياض الدولة العباسية • اذ ما يكاد ولي العهد عيسى بن موسى ينفض من على منكبيه غبار المعركة الضارية التي خاص غمارها ضد محمد بن عبدالله النفس الزكية ، حتى تأتيه رسل الخليفة المنصور ، يأمره بضرورة العودة مسرعا ، اذ قال له : « فأقبل ودع كل ما أنت فيه »(٧٣) ، لان ابراهيم

(٧٠) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٥٩٦ •
(٧١) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٠٠ •
(٧٢) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٣ •
(٧٣) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٣٩ •

أخا محمد بن عبدالله قد خرج في البصرة ، وأحكم سيطرته عليها ، ولم تجد الامدادات التي بعثها الخليفة المنصور الى والي البصرة سفيان بن معاوية[٧٤] ، الذي مالأ على أمره ، واستسلم لابراهيم بن عبدالله ، بعد أن أعطاه الأخير الأمان ، فصفت البصرة له[٧٥] ، ووجـد في بيت مال البصرة الفي ألف درهـم ، فتعزز موقفـه ، وفرض لاصحابه خمسـين خمسين[٧٦] .

وكان الخليفة المنصور قـد أرسل عامر بن اسماعيل المسلحي في خمسة آلاف ، وقيل في عشرين ألفا ، لقتال ابراهيم بن عبدالله . الا أن هـذا الجيش اللجب لم يستطع أن ينهي حركة ابراهيم ، الذي ما فتىء يجبي الأموال ، ويعين العمال ، ويجيش الجيوش ، ويثبت وطأته[٧٧] ، ويوسع من دائرة نفوذه نحو الكوفة والأحواز وواسط وكسكر ، وعظمت جمـوعه ، وسار يريد الكـوفة[٧٨] ، على الرغم من علمه بنعي أخيـه محمد[٧٩] .

وكعادة المنصور ، رمى كل ناحية بحجرها ، اذ وجه عيسى بن موسى الى ابراهيم بن عبدالله في خمسة عشر ألف مقاتل[٨٠] . ويظهر أن ثقة

---

(٧٤) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٧ . البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص١٤٧ .
(٧٥) الطبري ، تاريخ ج٧ ص‌ص٦٣٤-٦٣٥ . البغـدادي ، الفـرق بين الفرق ص١٥١ .
(٧٦) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٧ .
(٧٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص١٧ .
(٧٨) المسعودي ، التنبيه والاشراق ص٣٤١ .
(٧٩) الطبري ، تريخ ج٧ ص٦٣٤ و٦٣٦ و٦٣٨ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٢ ص٤ .
(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٨ .

الخليفة المنصور بعيسى بن موسى عالية ، ذلك أن الطبري[81] أورد رواية مفادها ان المنصور قـال : « ووجهت اليهم الشهم النجد الميمون عيسى بن موسى ، في كثرة من العـدد والعـدة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته اياه » . وكان على مقدمة جيش عيسى بن موسى ، حميد بن قحطبـة الطائي في ثلاثة آلاف مقاتل[82] . أما غريمه ابراهيم فتذكر رواية ابن الاثير[83] أن ديوانه قد أحصى مائة ألف مقاتل ، ونه كان يعوّل كثيرا على مائة الف سيف من أهل الكوفة ، ينتظرون صيحة به واحدة ، فيثبون على عسكر الخلافة[84] . وبذلك قرر ابراهيم الزحف شمالا ، ومعه عشرة آلاف مقاتل ، فنزل باخَمْـرة ـ وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخا ـ . وعنـدئذ تقـاتل الجيشان قتالا شديدا . ويروى الطبري[85] ، أن جيش ابراهيم أكثر عددا من جيش عيسى بن موسى ، ثم أن ابراهيم أقبل في عسكره يدنو ، ويدنو غبار عسكره ، حتى أخـذ يراه عيسى ومن معه ، حيث كان يشرف على المعركة الحامية الوطيس . ولما وجد أن قسما من جيشه أخذ يتراجع ، تقدم نحوهم ، وصار يحثهم على الثبات ، ويناشدهم الله والطاعة « فلم يبق مع عيسى الا نفر يسير . فقيل له : لو تنحيت عن مكانك حتى تؤدب اليك الناس فتكربهم . فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبدا حتى أقتل ، أو يفتح الله على يدي . والله لا ينظر أهل بيتي الى وجهي أبدا وقد انهزمت عن عدوهم . وجعل يقول لمن يمر به : أقرىء أهل بيتي السلام ، وقولوا لهم : لم أجد فداء أفديكم

---

(٨١) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٤١ .
(٨٢) الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٤٢ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٨ .
(٨٣) الكامل : ج٥ ص١٨ . انظر : الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٤٢ .
(٨٤) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٨ .
(٨٥) تاريخ ج٧ ص٦٤١ و٦٤٥ .

به أعز من نفسي وقد بذلتها دونكم »[٨٦] .

أي ايمان أعمق من هذا الايمان ؟ ، وأية تضحية أعلى من هذه التضحيه التي يقدمها ولي عهد الخلافة العباسية الذي كان بوسعه أن يعيش بقرب الخليفة ، قابعا بالسلامة ، ويرسل لجيوش لاخماد الأصوات المعارضة عندما يتعالى صجيجها . الا أن ولي العهد عيسى بن موسى ، رجل المبادىء والمهام الصعبة ، لم يكن من هذا الطراز من الحكام ، وانما كان يفضل أن يخوض غمار المعارك الطحنة بنفسه ، غير آبه للعواقب التي قد تلحقها به مثل هذه المواقف الحرجه .

ان ثبات القائد عيسى بن موسى ، ووقفته البطولية هذه ، رجحت كفة جيشه ، اذ استدار اثنان من قادة جيشه ـ أحدهما حميد بن قحطبة ، وأصبحا خلف جيش ابراهيم ، فظن هؤلاء أن هناك قتال شديد وراءهم ، فعطفوا نحوه ، فاستطاع أصحاب عيس بن موسى أن يلتقطوا أنفاسهم ، ويكروا ثانية على جيش ابراهيم ، الذي أخذ يتراجع[٨٧] ، لاسيما بعد أن جرح قائده ابراهيم بن عبدالله . لكن عيسى بن موسى شد هو وجيشه على عدوه ، وقاتلوهم أشد قتال ، حتى استطاعوا قتل ابراهيم يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة ، فانهزم أصحابه وتشتتوا[٨٨] .

---

(٨٦) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٩ . انظر : الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٤٥ .

(٨٧) المسعودي ، التنبيه والاشراق ص٣٤١ . الطبري ، تاريخ ج٧ ص٦٤٦ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص١٩ .

(٨٨) الجريب : هو مقياس لمساحة الارض ، يساوي شرعا ١٠٠ قصبة مربعة . وبذلك يكون الجريب ١٥٩٢ متر مربع . (هنتز ، المكاييل والاوزان ص٩٦) .

لقد استقبل الخليفة المنصور نبأ هزيمة جيش ابراهيم بغبطة كبيرة ، حتى أنه كافأ مخبره بهذا النبأ العظيم ، حيث أقطعه الفي جريب بنهر حويزة • وبعد أن أدى ولي العهد عيسى بن موسى هذه المهمة الصعبة ، عين سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على البصرة ، واتجه الى الكوفة ، اذ كان واليا عليها(٨٩) •

رجل المواقف الصعبة أمام تحد جديد :

لم يزل عيسى بن موسى على ولاية العهد وامارة الكوفة منذ أيام الخليفة العباسي الأول أبي العباس عبدالله بن محمد • وعلى الرغم من تكليف ولي العهد قيادة حملات عسكرية كبيرة وذات شأن وأهمية كبيرتين ، وبعيدة عن مركز ولايته ، الا أنه بقي محتفظا بالامارة على هذه الولاية البالغة الأهمية • وما زال الخليفة أبو جعفر المنصور يكرمه ، ويجلسه عن يمينه ، في حين يجلس ابنه محمد المهدي عن يساره(٩٠) • ولعل المنصور ما زال معترفا له بعظم الخدمات (المهمات) الجليلة التي قدمها للدولة ، والمهمات الخطيرة التي استطاع أن ينهض بها ، والتي كان له الفضل في درئها ، وأبعاد شرها ، الذي كاد أن يقوض كيان الدولة العباسية الفتية •

غير أن الخليفة المنصور أراد أن يستأثر بالحكم لنفسه ، وأولاده من بعده • ولدينا ثلاث روايات تناولت هذا الموضوع ، أولاها تؤكد أن الخليفة المنصور فاتح ولي عهده عيسى بن موسى في خلع نفسه ليفسح المجال في تقديم محمد بن المهدي بن المنصور عليه • وتذكر الرواية أن ولي العهد بادر بسرعة الى رفض هذه الفكرة ، وتمسك بحقه الشرعي ،

(٨٩) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٢٠ •
(٩٠) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٢٢ •

غير آبه بالجفاء الشديد والسافر الذي أخذ يلاقيه من الخليفة ، الذي لم يكن يتوقع أن يقابله ولي عهده بهذا الموقف ، فيرفض طلبه بقوة واباء • وبقي ولي العهد متحملا الاهمال المتعمد من الخليفة ، الذي صار يأذن لولده المهدي ، قبل ولي العهد ، ويسمح له بالجلوس عن يمينه ، ثم يأذن لعسى بن موسى ليدخل فيجلس الى جانب المهدي ، ولم يجلس عن يسار المنصور ، فاغتاظ منه أكثر ، وعندئذ أخذ الخليفة يأذن لابنه ، ولعميه عيسى بن علي ، وعبدالصمد بن علي ، وبعدئذ يأذن لولي العهد عيسى بن موسى • ولم يكتف المنصور بذلك ، بل أوعز الى من ينثر عليه التراب عند دخوله على الخليفة • ومع ذلك تحمل عيسى بن موسى هذه الاهانات على مضض[91] •

ثم عمد الخليفة الى ارسال عمه عيسى بن علي الى عيس بن موسى ليقنعه بالتنازل عن ولاية العهد ، الا أن ولي العهد لم يكترث به ، واتهمه بسوء النية[92] •

وفي رواية أخرى ، أن المنصور أمر أن يسقى عيسى بن موسى بعض ما يتفه ، فأحس بالأمر ، فمرض مرضا شديدا ، واستأذن في العودة الى بيته في الكوفة ، فأذن له ، الا أنه ما لبث أن شفي[93] •

ويورد (ابن الاثير)[94] رواية تفيد أن عيسى بن علي قال للمنصور ان عيسى بن موسى متشبث بولاية العهـد على أمل أن تنتقل الخلافة الى ابنه موسى من بعده • وان ابنــه يلح عليه بضرورة مقاومة الضغوط • غير أن عيسى بن موسى ما لبث أن تراجع عن موقفه المتصلب هذا ، ووافق

---

(٩١) ن٠م ص٢٣ •

(٩٢) ن٠م • ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٢ ص٧ •

(٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص٢٣ •

(٩٤) الكامل ج٥ ص٢٣ •

على أن يتقدم عليه محمد المهدي بولاية العهد ، عندما أيقن أن الربيع بن يونس الحاجب يحاول خنق ابنه موسى • فانقاذا لحياة ولده • قال : « يا أمير المؤمنين ، هذه يدي بالبيعة للمهدي »(٩٥) • وهكذا تقدم محمد المهدي بن المنصور بولاية العهد ، ثم جعل عيسى بن موسى بعده ، وحدث ذلك سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م(٩٦) •

وقيل أن الخليفة المنصور دفع (حرض) بعض الجند الى أن يتندروا على ولي العهد عيسى بن موسى ويسمعوه ما يكره في بذيء الكلام ، فشكا أمره الى الخليفة ، الا أن الأخير أفهم ولي العهد ، أن الجند يميلون الى تقديم المهدي عليه في ولاية العهد ، ولو تم ذلك لكفوا عن ايذائه • وازاء ذلك وافق على أن يتقدم عليه محمد المهدي في ولاية العهد(٩٧) •

وفي رواية أخرى أن خالد بن برمك ذهب الى عيسى بن موسى ومعه ثلاثون نفراً ، ففاتحوه في أمر تقديم محمد المهدي عليه • الا أن عيسى بن موسى رفض هذا العرض رفضا قاطعا • غير أن هؤلاء رجعوا الى المنصور وشهدوا على عيسى بن موسى ، أنه خلع نفسه فبايع المهدي • الا ان عيسى أنكر هذا الادعاء ، فلم يسمع منه(٩٨) • والرواية الأخيرة التي يرويها لنا (ابن الاثير ٥/٢٤) ، حول قضية تنازل عيسى بن موسى ، تفيد أن الخليفة المنصور دفع لولي عهده عيسى بن موسى أحد عشر ألف ألف درهم ، له ولأولاده ، وأشهد على نفسه بالخلع • وفي أثر ذلك عزل المنصور عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة بعد أن ظل يتقلد هذا المنصب

---

(٩٥) ن٠م •

(٩٦) ابن خياط ، تاريخ ج٢ ص٤٥٢ • السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٦١ •

(٩٧) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٢٣ •

(٩٨) ن٠م ص٢٤ •

ثلاث عشرة سنة . في حين أورد الثعالبي ، ان المنصور دفع لعيسى بن موسى الف الف درهم فقط[٩٩] .

وأخال أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان يحيك الدسائس ليوقع بولي عهده منذ وقت مبكر ، ذلك أن اليعقوبي[١٠٠] ، وابن الاثير[١٠١] ، كانا قد أوردا حكاية مفادها ، أن الخليفة المنصور سلم عمه عبدالله بن علي الى عيسى بن موسى ، وأمره بقتله ، وقال له : « ان الخلافة صائرة اليك بعد المهدي ، فأضرب عنقه ، واياك أن تضعف »[١٠٢] ، ثم مضى الخليفة الى مكة ، وقد أخبر الخليفة أن عيسى بن موسى نفذ وصيته . فلما اعاد ، أوعز الى أعمامه من يحركهم على الشفاعة في أخيهم عبدالله بن علي ، ففعلوا وشفعوا ، فاستجاب الخليفة لطلبهم (لشفاعتهم) ، وطلب من عيسى بن موسى أن يرد عمه عبدالله بن علي لأنه صفح عنه ، الا أن عيسى بن موسى أخبر الخليفة أن عبدالله بن علي قتل بناء على طلبه . فاغتاظ المنصور ، وهم بقتل عيسى ، الا أن الأخير فاجأهم بأن عبدالله بن علي ما زال حياً ، ولم يقتل ، وبهذا الموقف فت في عضد الخليفة الذي أبقى عمه عبدالله بن علي محجوزا الى أن لاقى حتفه[١٠٣] .

وكان الخليفة المنصور قد جدد البيعة لابنه المهدي ، ومن بعده

---

(٩٩) الثعالبي ، لطائف المعارف ص٢٢ . الذهبي ، دول الاسلام ج٦ ص٢١٥ .

(١٠٠) تاريخ اليعقوبي ج٣ ص١٠٨ .

(١٠١) الكامل ج٥ ص١٤ .

(١٠٢) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٢٤ .

(١٠٣) انظر : اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٢٤ .

لعيسى بن موسى[١٠٤] . ويروى (ابن الاثير)[١٠٥] ، أنه في سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م قبض الخليفة المنصور على عباد مولاه ، وعلى هرثمة بن أعين بخراسان ، واحضرا الى بغداد مقيدين لتعصبهما لعيسى بن موسى ، وتأيدهما له لنيل الخلافة . وحتى يعزز الخليفة مركز ابنه المهدي وولي عهده الجديد ، عهد اليه بامارة الحج سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م[١٠٦] .

ومنذ أن تقدم المهدي بن الخليفة المنصور في ولاية العهد على عيسى بن موسى ، سكتت رواياتنا التاريخية عن ذكر عيسى ، ولم تتعرض له الا نادراً . ولعل ذلك يعود الى موقف الخليفة غير الودي منه . ومع ذلك فقد كان الخليفة ملزما بقبول شفاعة ابن عمه وولي عهده .

ذكر (ابن الاثير)[١٠٧] ان الخليفة غضب على اخيه العباس بن محمد ، وعزل عن امارة الجزيرة الفراتيــة ، وغرمه مالا . ولم يزل ساخطا عليه حتى شفع له عيسى بن موسى ، فصفح عنه المنصور سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م .

عيسى بن موسى يرافق الخليفة في حجه :

كان الخليفة المنصور قد عزم على الحج سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م ، واصطحب معه عددا كبيرا من الأسرة العباسية ، وفي طليعتهم ابن أخيه عيسى بن موسى ، وعمه عيسى بن علي ، وموسى بن المهدي وغيرهم . ولما وصل ركب الخليفة الى بئر ميمون[١٠٨] أدركته الوفاة لست خلون

(١٠٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٢ ص١٦ .
(١٠٥) الكامل ج٥ ص٣٧ .
(١٠٦) ن٠م .
(١٠٧) ن٠م ص٣٨ .
(١٠٨) بئر ميمون : يقع قرب مكة . (انظر : ياقوت ، معجم البلدان ج٤ ص٧١٩) .

من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م وكان مولاه الربيع ، الذي أعلم عمه عيسى بن علي ، وابن أخيه عيسى بن موسى بالأمر ، قد تولى أخذ البيعة للمهدي ولعيسى بن موسى من بعده . وتمت هذه البيعة على يد موسى الهادي بن المهدي . فلما فرغ من بيعة بني هاشم بايع القواد ، وبايع عامة الناس ، ممن حضر ، ثم ساروا الى مكة لأخذ البيعة هناك ، فبايع الناس بين الركن والمقام ، ثم جهز المنصور ، وصلى عليه عيسى بن موسى ، ودفن في مقبرة المعلاة(١٠٩) سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م(١١٠) .

ويروي (ابن الاثير)(١١١) « أن عيسى بن موسى أبى من البيعة ، فقال له علي بن عيسى بن ماهـان : والله لتبايعن أو لأضربن عنقك » ، فبايع ، ثم وجه موسى بن المهدي والربيع الى المهدي بخبر وفاة المنصور ، وبالبيعة له ، وبعثا أيضا بالقضيب وبردة النبي (ص) ، وبخاتم الخلافة .

موقف عيسى بن موسى من خلافة المهدي :

وصل خبر وفاة المنصور الى المهدي ، كما وصل القضيب ، والبردة والخاتم ، في منتصف ذي الحجة من عام ١٥٨هـ / ٧٧٤م . وأخذ الخليفة الجديد يدير الأمور بكفاية وهمة عاليتين .

ومنذ وفاة المنصور سنة ١٥٨هـ حتى بداية عام ١٦٠هـ حصل تعتيم متعمد على ولي العهد عيسى بن موسى ، اذ سكتت النصوص ، ولم تظهر له أي نشاط ، في أي جانب من وجوانب الحياة المتعددة . ويبدو أن

---

(١٠٩) مقبرة المعلاة : تقع بين مكة وبدر (انظر : ياقوت ، معجم البلدان ج٤ ص٥٧٧) .

(١١٠) ابن خياط ، تاريخ ج٢ ص٤٥٨ . ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٤٤ .

(١١١) ابن الاثير ، الكامل ص٥٠ .

الخليفة تحمل ولي عهده سنين كي يثبت نفسه في دست الحكم ، ويصفي حسابه مع من بقي في السجن منذ عهد أبي جعفر المنصور • فلما استتبت له الأمور ، واستقرت أركان الدولة ، التفت الى من حوله • ولعل أولى الأولويات التي كان على الخليفة المهدي ان يبت فيها هي مسألة ولاية العهد ، وموقفه من عيسى بن موسى بالذات •

وتشير رواياتنا التاريخية ، أن جماعة من بني هاشم ، والمقربين الى الخليفة خاضوا في مسالة خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي[١١٢] • وأحسب أن خوض هؤلاء في هذه المسألة الخيرة ، لم يكن مصادفة ، ولم نراودهم الاحلام بصورة عفوية ، وانما المسألة لها مقدماتها وأبعادها التي كان يجب على هؤلاء معها أن يضعوا نصب أعينهم كل التدابير الاحترازية المتاحة ، والا فت في عضدهم، واحبطت نواياهم ، وخابت أحلامهم •

وتذكر النصوص ، ان هذه التخرصات لاقت هوىً وقبولا ، لا بل ترحيبا من لدن الخليفة المهدي • وليس من المستبعد أن يكون الخليفة وراء تحريك هؤلاء الخائضين • ذلك أن (ابن الاثير)[١١٣] ذكر صراحة أن الخليفة المهدي سره هذا التوجه « وكتب الى عيسى بن موسى بالقدوم عليه ، وهو بقرية الرحبة ، من أعمال الكوفة • وأحسب أن ولي العهد عيسى بن موسى أحس بالذي يراد منه ، فأمتنع من القدوم[١١٤] •

ومهما يكن ، فقد انصاع عيسى بن موسى مضطراً لرغبة الخليفه

(١١٢) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٥٤ •
(١١٣) الكامل ج٥ ، ص٥٤ •
(١١٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٢ ص٣٥ •

المهدي ، وخلع نفسه من ولاية العهد وعندئذ فسح المجال أمام المهدي لأن يبايع لابنه موسى بولاية العهد من بعده سنة ١٥٩هـ ، ثم بايع لابنه الثاني هارون بعد موسى • وتقديرا لموقف عيسى بن موسى هذا منحه الخليفة المهدي عشرة آلاف الف درهم[١١٥] ، وبذلك يكون عيسى بن موسى قد استبعد نهائيا عن منصبه الذي كان قد عهد به اليه منذ عام ١٣٤هـ • الا أنه بقي محتفظا بولاية الكوفة حتى وفاته سنة ١٦٧هـ[١١٦] •

ويبدو أن الخليفة اعترف بأفضال عيسى بن موسى ، ومواقفه البطولية التي أسداها للدولة العباسية ، ولتي أسهمت في ارساء أسس هذه الدولة على قواعد متينة • لذا بادر الخليفة المهدي باسناد ولاية الكوفة الى موسى بن عيسى بن موسى ، وما كان لأبيه من أعمال ، وفاءً لأبيه وهو في مثواه الأخير[١١٧] •

وبعد فأن استجلاء شخصية عيسى بن موسى تقرر لنا صورة يمكن أن نرصد فيها اقتدارا مميزا في المواقف الحدية ، لا يطالعنا ما يضاهيه على الصعيد السياسي • فالرجل الذي رأيناه يحسم مواقف حربية صعبة ، وينتزع فيها النصر من بين عوامل الهزيمه ، لا يقدم ما يقنعنا بنمط الاقتدار نفسه في الموقف السياسي الذي فرض فرضا حين انتزعت منه ولاية العهد • وما يدرينا لعل العوامل الخارجية تبقى هي المسؤولة عن هذا التناقض الذي لا تفضل أن تعزوه الى العامل الشخصي دون دليل تاريخي موثق •

---

(١١٥) اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٢٣ • السيوطي ، تاريخ ص٢٧٣ • ابو المحاسن ٢/٣٦ •

(١١٦) ابن الاثير ، الكامل ج٥ ص٦٩ •

(١١٧) اليعقوبي ، تاريخ ج٣ ص١٣٧ •

أهـم المصادر

ابن الاثير ـ علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الحرزي (ت ٦٣٠هـ)

١ ـ الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٦٧ ٠

ابن أعثم الكوفي ـ أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)

٢ ـ كتاب الفتوح ، ط١ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ٠

ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)

٣ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت : ١٩٥٧ ٠

٤ ـ مقدمة ابن خلدون ، بغداد (طبع مكتبة المثنى) ٠

ابن خياط ـ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)

٥ ـ تاريخ خليفة بن خياط ، مطبعة الآداب ، النجف ١٩٦٧ ٠

ابن دحية ـ عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين (ت ٦٣٣هـ)

٦ ـ النبراس في تاريخ بني العباس ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٩٤٦ ٠

ابن سعد ـ محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)

٧ ـ الطبقات الكبرى ، ٩ أجزاء ، ليدن ، بريل : ١٣٢٢هـ ٠

ابن الطقطقي ـ محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ)

٨ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية ، مصر ١٣٤٠هـ ٠

ابن كثير ـ عمادالدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)

٩ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ١٩٣٢ ٠

أبو المحاسن ـ جمال‌الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ)
١٠ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة : ١٩٥٦ .
البغدادي ـ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ)
١١ـ الفرق بين الفرق ، القاهرة : ١٩٤٨ .
البلاذري ـ أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)
١٢ـ فتوح البلدان ، ط١ ، القاهرة ١٩٠١ .
الثعالبي ـ عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ)
١٣ـ لطائف المعارف ، القاهرة . ١٩٦٠ .
الجهشياري ـ محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ)
١٤ـ الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨ .
الدينوري ـ أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)
١٥ـ الاخبار الطوال ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٠ .
الذهبي ـ أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨هـ)
١٦ـ دول الاسلام ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٤هـ .
١٧ـ العبر في خبر من غبر ، الكويت ١٩٦١ .
السيوطي ـ جلال‌الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)
١٨ـ تاريخ الخلفاء ، بغداد ١٩٨٣ .
الطبري ـ محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
١٩ـ تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ .
مؤلف مجهول ـ (القرن الثالث الهجري)
٢٠ـ أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده ، مطابع دار صادر ، بيروت ١٩٧١ .

المسعودي ـ علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)
٢١ـ التنبيه والاشراف ، بيروت ١٩٦٥ .
٢٢ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٣٠٣هـ .

ياقوت ـ أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)
٢٣ـ معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ .

اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ)
٢٤ـ تاريخ اليعقوبي ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٤ .

« صور من دور واسط العسكري وصمودها »

٨١ ـ ٦٥٦هـ / ٧٠٠ ـ ١٢٥٨م

الدكتور عبدالقادر سلمان المعاضيدي
كلية التربية ـ جامعة بغداد
قسم التاريخ

صمود واسط أمام جيش المشرق :

عندما جاء الاسلام بدأ وعي قومي جديد على الأرض العربية ، وقد ارتبط هذا الوعي بتأسيس أول دولة عربية موحدة في جزيرة العرب ، وعندما انشأ العرب دولتهم الموحدة هذه كانت هناك أجزاء كبيرة من وطنهم الكبير تحت السيطرة الأجنبية ، فالعراق واليمن تحت الاحتلال الفارسي ، وبلاد الشام وشمال أفريقية تحت الاحتلال البيزنطي ، فأصبح بذلك تحرير الأرض العربية المحتلة هدفا مركزيا في سياسة الدولة العربية ، وقد أراد الرسول العربي محمد (ص) ان يدخل هؤلاء في الدين الجديد سلماً ، فبعث برسائل الى رؤساء الدول التي كانت تمارس الاحتلال في الوطن العربي يدعوهم فيها للايمان بالمبادىء الانسانية التي جاء بها الاسلام ، الا ان دعوة الرسول (ص) لم تلق استجابة وقبولا من قبل هؤلاء الحكام لانهم وجدوا فيها خطرا يهدد مصالحهم ، وكان رد كسرى ملك الفرس أعنف ردا وأسوأ مما فعله ملك الروم ، فقد فرق كتاب الرسول (ص) وأرسل الى (باذان) نائبه في اليمن يأمره بأن يلقي القبض على الرسول (ص) وارساله اليه مكبلا ، فأصبحت حالة الحرب

هي الوسيله الوحيدة لتحرير الأرض العربية من المحتلين الأجانب ، وقد خاض الجيش العربي معارك ضارية مع المحتلين الفرس أظهر فيها المقاتلون العرب مقدرة قتالية عالية أدت الى انتصارهم في هذه المعارك ، وبالتالي تحرير العراق من السيطرة الفارسية(١) •

وفي أثناء تحرير العراق تطلبت حركات التحرير العربية في هذه الجبهة انشاء معسكر في القسم الجنوبي من العراق ليكون مركزا لتجمع الجيش العربي القادم من الجزيرة العربية ، ومركزا لتموين وانطلاق الجيش العربي للقتال في جبهة الأحواز ، والحيلولة دون قيام امدادات عسكرية فارسية من منطقة البصرة والأحواز الى قواتهم في بقية أنحاء العراق ، وتأمين مؤخرة الجيش العربي الذي كان يقاتل الفرس في مناطق أخرى في العراق من التفاف عسكري من قبل الفرس في هذه الجبهة ، فتم انشاء مدينة البصرة سنة ١٤هـ(٢) •

وبعد ان انتصر الجيش العربي في معركة جلولاء سنة ١٦هـ / ٦٣٧م وتم تحرير العراق بأكمله أحست القيادة العربية بضرورة انشاء معسكر آخر في القسم الأوسط من العراق وذلك لتأمين السيطرة الكاملة عليه والدفاع عنه ، ثم ليكون مركزا لتجمع الجيش العربي والاستقرار فيه وقت السلم •

والانطلاق منه لمواصلة حركات التحرير العربية ، فتم انشاء الكوفة سنة ١٧هـ(٣) •

ان القيادة العربية ــ على ما يبدو ــ لم يكن هدفها في الجبهة الشرقية حينذاك سوى تحرير العراق والأحواز من السيطرة الفارسية ، فقد ذكر الطبري انه بعد ان تم تحرير الأحواز استأذن الجيش العربي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) القائد العام للقوات المسلحة العربية بمواصلة

حركات التحرير رد الخليفة عليهم بقوله « حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأحواز ، وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم » وبعد ان انتصر الجيش العربي في معركة جلولاء سنة ١٦هـ / ٦٣٧م كتبوا الى الخليفة بتحرير جلولاء ، وبنزول القائد العربي القعقاع بن عمرو التميمي حلوان واستأذنوه بمواصلة قتال الفرس ، فكان جواب الخليفة عمر (رض) : « لوددت ان بين السواد (يعني العراق) وبين الجبل سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم ، حسبنا من الريف السواد ، اني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال » ، ولما طلب منه مقاتلة الكوفة التقدم في الأراضي الفارسية قال لهم : « وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون الينا منه ، ولا نصل اليهم »[٤] . الا ان اصرار ملك الفرس وقادته على مقاومة الجيش العربي ، ومكاتبتهم لأهل فارس والأحواز لتحشيد القوى العسكرية والقيام بهجوم معاكس على الجيش العربي أدى الى تغيير خطط القيادة العربية وعزمها على دخول الجيش العربي في عمق الأراضي الفارسية ، فأمر الخليفة عمر (رض) في سنة ١٨هـ / ٦٣٩م الجيش العربي في العراق « بطلب جيوش فارس حيث كانت » على ان يتوجه مقاتلة البصرة لفتح اقليم فارس ، وكرمان واصبهان ، وان يتوجه مقاتلة الكوفة لفتح أصبهان ، واذربيجان ، والري وبعد ان تم فتح هذه الأقاليم من قبل مقاتلة هاتين المدينتين ، ثم عقد اتفاقيات بين أهل هذه الاقاليم والقادة العرب نظمت بموجبها الادارة العربية هناك[٦] . الا ان الفتنة التي حدثت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) (٢٣ - ٣٥هـ / ٦٤٣ - ٦٥٥م) أدت الى توقف حركات التحرير العربية في المشرق ، كما حالت الفتن التي قامت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (رض) (٣٥ - ٤٠هـ / ٦٥٥ - ٦٦٠م) دون استمرارها .

ومع ان العرب كانوا قد حرروا شعوب هذه الأقاليم مما كانوا فيه

كانوا قد انتهزوا فرصة انسحاب القوات العربية من المشرق وذلك من ظلم واستغلال ، واستعباد في ظل دوله كسرى الفارسية نجد ان هؤلاء لاشتراكها في هذه الفتن ، فسيطروا على الأقاليم التي فتحها الجيش العربي ، واخرجوا عمال الدولة العربية منها وامتنعوا عن دفع الخراج الى الدولة العربية ، وموقفهم هذا سببه هو ان الفرس كانوا قد وقفوا من الاسلام موقف العداء ومنذ البداية ، وانهم دخلوا بالدين بعد ان عجزوا عن مقاومته ، وبدون ان يؤمنوا به ، وكان هدفهم ، وما يزال ، هو العمل من داخل الاسلام على القضاء على السيادة العربية باسم الدين وبحجة التمسك به والدعوة اه[٧] .

والظاهر ان خروج أهل المشرق على طاعة الدولة العربية وغدرهم بالعمال العرب ، والحاميات العسكرية العربية مرات عديدة هناك ، وانضمام اعداد كبيرة منهم الى حركة الخوارج المعارضة للدولة العربية ، واتخاذ هذه الحركة من المشرق مقرا لها أدى بالخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥م) ان يقرر حسم الموقف في المشرق ، فبعد ان تمكن من القضاء على حركات المعارضة وأعاد وحدة الدولة العربية ، أقصى في سنة ٧٨هـ / ٦٩٧م أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد عن ولاية خراسان ، وسجستان . وضمها الى امير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومنحه صلاحيات واسعة لحل مشاكل المشرق ، وأمده بالجند[٨] .

وبما ان الكوفة ، والبصرة كانا لا يتسعان لجميع الجيش العربي في العراق قرر الحجاج بناء مدينة جديدة تكون معسكرا لجنده ، ومقرا لحكمه ، فأمر ببناء مدينة واسط سنة ٨١هـ / ٧٠٠م في موضع متوسط بين الكوفة ، والبصرة ، والمدائن في واحواز ، وقريب من المشرق ، ليتمكن من السيطرة على العراق ، ويستأنف حركات التحرير العربية

في المشرق[٩] .

ولما تم بناء المدينة أنزل فيها الجيش العربي الذي كان يتألف من القبائل العربية التالية : شيبان ، سدوس ، يشكر ، بنو ذهل ، عبدالقيس ، تغلب ، ربيعة ، بنو محارب ، قريش ، مزينة ، أشجع ، باهلة ، ثقيف ، فزارة ، هلال ، أسد ، بنو سليم ، عبس ، هذيل ، مخزوم ، ضبة ، تميم ، بنو العنبر ، مازن ، فقيم ، عامر ، بنو عقيل ، الأزد ، عتيك ، خزاعة ، غسان ، همدان ، طي ، حمير ، رحبة ، كلاع ، جذام ، كندة ، بنو حسان ، مرة ، لخم ، بجيلة ، خثعم ، نخع ، بنو الحارث ، أسلم ، بهراء ، تنوخ ، جهينة ، قين[١٠] .

وأصبحت هذه المدينة مركزا لتجمع الجيش المصري ، ومركزا لانطلاق الجيش العربي الى الساحات الشرقية ، ومركزا لادارة العراق ، والخليج العربي والمشرق الاسلامي .

لقد لعب مقاتلة واسط الى جانب مقاتلة الكوفة والبصرة دورا متميزا حركات التحرير العربية في المشرق ، حيث تمكنوا من اعادة الاقاليم التي خرجت على طاعة الدولة العربية وفتح أقاليم أخرى بعد ان خاضوا معارك ضارية هناك . ففي سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م وجه أمير العراق وقائد الجبهة الشرقية الحجاج بن يوسف الثقفي قائده محمد بن القاسم الثقفي الى اقليم فارس ، وكان الفرس قد نقضوا اتفاقهم مع العرب ، وبعد ان خاض الجيش العربي معارك ضارية هناك تمكن من اعادة هذا الاقليم الى طاعة الدولة العربية ، وقد انشأ القائد محمد مدينة شيراز واتخذها مركزا لادارته[١١] .

وفي نفس هذه السنة وجه الحجاج قائده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي الى خراسان ، فسار في سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م وفتح باذغيس

بعد ان خاض معركة ضارية مع المدافعين عنها ، ثم تقدم في سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م على رأس جيشه وفتح خوارزم[١٢] .

وفي سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م ولى الحجاج القائد قتيبة بن مسلم الباهلي عاملا على خراسان وضم اليه جيشا وقال له : « انزل خراسن فجاهد الكفار الذين بها من الترك ، والسغد ، والرقس (كذا) وكن بها الى ان يأتيك أمري ان شاء الله قوة الا بالله » . فتوجه قتيبة في هذه السنة وفتح الصفانيان ، وآخرون وشومان . وفي سنة ٨٧هـ / ٧٠٥م تقدم قتيبة وفتح « بيكند » . وبعد ان فتح قتيبة « راميثنة » أمره الحجاج ان يفتح « بخارى » فتوجه اليها الا انه لم يتمكن من فتحها ، فلما رجع الى « مرو » كتب الى الحجاج بذلك ، فكتب اليه الحجاج أن يصور أرض المعركة ، فلما بعث اليه بصورتها ، رسم له الحجاج الخطة العسكرية لفتحها ، وهي ان يفتح « كسن » و « نسف » ثم يتوجه الى فتح « بخارى » على ان يسير بطريق مستقيم الى هذه المدن ، متوجه قتيبة سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م وفتح « بخارى » . وفي هذه السنة تقدم قتيبة على رأس جيشه وفتح « الطالقان » ، و « الفارياب » ، و « والجوزجان » ، « بلخ » ، « سمرقند »[١٣] .

وعندما رأى نيزك طرخان الفتوحات العظيمة التي تمت على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي نقضى العهد الذي كان بينه وبين قتيبة وهرب من جيش قتيبة والتجأ الى قلعة « باذغيس » وأعلن خلعه لقتيبة ، ثم كتب الى كل من أصبهبذ « بلخ » وملوك كل من « مرو الروذ » و « الطالقان » و « الفارياب » و « الجوزجان » وكابل شاه يدعوهم الى خلع قتيبه ومساعدته في قتاله له ، فأجابوا طلبه على الرغم من انهم كانوا على عهد مع ختيبة[١٤] .

توجه قتيبة الى « مرو الروذ » و « الطالقان » و « الفارياب » و « الجورجان » و « بلخ » وأدخلهم في طاعة الدولة العربية بعد ان خاض معارك ضارية مع المدافعين عن هذه المدن ، ثم توجه الى قلعة نيزك ، وكانت قلعة حصينة ، تضرب الحصار عليها ، وأقام مدة الا أنه لم يتمكن من فتحها ، فارسل صورة منطقة القلعة الى الحجاج بواسط ، وربما كان ذلك بطلب من الحجاج ، وبعد ان استشار الحجاج عثمان بن مسعود التميمي واخرين ممن كانوا قد ساهموا في حركات التحرير العربية في المشرق وكانوا على اطلاع تام في هذه المنطقة ، بعث الحجاج بالخطة العسكرية الى قتيبة[١٥] وفي سنة ٩١هـ / ٧٠٩م فتح قتيبة كل من « شومان » و « كس » و « نسف » بأمر من الحجاج[١٦] .

وفي سنة ٩٢هـ / ٧١٠م أمر الحجاج عامله في خراسان قتيبة بن مسلم ان يتوجه الى رتبيل ملك سجستا ، فلما سار اليه قتيبة تقدم رتبيل اليه بطلب الصلح فاستجاب قتيبة لطلبه[١٧] ، وعندما فتح قتيبة « خوارزم » سنة ٩٣هـ / ٧١١م بعث بخبر الفتح وخمس الغنائم الى الحجاج بواسط ، واستأذنه بالتقدم لفتح « سمرقند » ولما سار قتيبة الى « سمرقند » صالحه ملكها بعد معارك ضارية جرت بين الطرفين[١٨] وفي سنة ٩٤هـ / ٧١٢م فتح قتيبة « التباش » و « كابل » و « خجندة » و « كاسان »[١٩] . وبعد ان انتهى قتيبه من فتح هذه المدن كتب الحجاج الى قائد جبهة السند محمد بن القاسم الثقفي أن يوجه جيشا من أهل العراق الى قتيبة ، كما وجه الحجاج جيشاً من واسط الى القائد قتيبة[٢٠] .

سار القائد قتيبة على رأس جيشه وفتح « فرغانة » سنة ٩٥هـ / ٧١٣م بعد ان خاض عدة معارك حامية مع ملكها[٢١] ثم تقدم في سنة ٩٦هـ / ٧١٤م وفتح « كاشغر » وهي احدى مدن الصين[٢٢] . وبعد ان فتح الجيش العربي « طرفان » الواقعة في القسم الشمالي من تركستان

اصينية[٢٣] ، ووصلوا الى ولاية « قانو » بعث ملك الصين « يوانغ جونغ » رسالة الى القائد العربي قتتيبه طالبا منه ارسال وفد لمفاوضتهم ، فأنتخب قتيبة انني عشر فارساً ، وقيل عشرة ، من خيار عسكره ، وأمر بأن يجهزوا بأحسن السلاح والمتاع ، وان يزودوا بأحسن الخيول ، وان يكونوا برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي ثم دعا قتيبة بهبيرة وقال له : « يا هبيرة ، كيف انت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله ، وآخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه فاعلموه أي قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم واختم ملوكهم ، واجبي خراجهم » ولما وصل الوفد ، أرسل اليهم ملك الصين لمقابلتهم « فشدوا سلاحهم ، ولبسوا البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح ، تنكبوا القسي ، وركبوا خيولهم ، وغدوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل ان يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم » ثم استدعى الملك رئيس الوفد هبيرة الكلابي وقال له : « ... انصرفوا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف ، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، قال له : (يعني هبيرة) كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ! وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ! وأما تخويفك ايانا بالقتل ، فأن لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه »[٢٥] .

والظاهر ان القائد قتيبة من خلال قتاله مع أهل الصين رأى ان حالة الحرب هي الوسيلة الوحيدة لفتح الصين ، فقد كان القادة العرب في كل حركات التحرير العربية اذا توجهوا لفتح مدينة يدعون أهلها للدخول في

الاسلام او دفع الجزية او القتال ، فاذا دخلوا في الأسلام يتساوون مع العرب المسلمين في الحقوق والواجبات ، وان لم يسلموا يبقوا على دينهم على ان يدفعوا الجزية لقاء حمايتهم من قبل الدولة العربية والدفاع عنهم ، واذا ما رفضوا الدخول في الاسلام ودفع الجزية عندئذ يكون القتال هو الوسيلة الأخيرة لفتح مدينتهم ، فقد روى الطبري ان ملك الصين عندما قال لهبيرة الكلابي : « فما الذي يرضي صاحبك ؟ قال : انه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ، ويعطي الجزية »[٣٦] .

ان وفاة الخليفة الوليد بن عبدالملك سنة ٩٦هـ / ٧١٤م وتولى أخيه سليمان الخلافة من بعده حال دون تحقيق فتح ما تبقى من الصين ، فقد ذكرت المصادر ان سليمان عزل قتيبة عن ولاية خراسان وولى مكانه يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدي[٢٧] . وكان رد قتيبة على هذا الاجراء انه دعا جيشه لخلع الخليفة ، فانقسم الجيش الى مؤيد له ومعارض ، وقد ترأس المعارضة وكيع بن أبي سود التميمي ، وذلك لأن قتيبة سبق وان أقصاه عن رئاسة قبيلة تميم ، وولى بدله ضرار بن حصين الضبي[٢٨] . فلما جرى القتال بين الفريقين انتهى بمقتل قتيبة وجماعة من أهله ومؤيديه[٢٩] .

والجدير بالذكر هو ان حيان الذي كان على رأس الموالي في جيش قتيبة كان قد لعب دورا كبيرا في اثارة هذه الفتنة ، فقد روى الطبري أنه « قيل لقتيبه : ليس يفسد أمر الناس الا حيان » فأراد قتيبة ان يقتله « فدعا رجلا فأمره بقتل حيان ، وسمعه بعض الخدم ، فأتى حيان فأخبره ، فأرسل اليه يدعوه ، فحذر وتمارضى وأرسل حيان الى وكيع قائلا : « أرأيت ان كففت عنك واعنتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حياً وما دمت والياً ، قال (يعني وكيع) نعم » . وفي أثناء القتال قال حيّان

للعجم : « هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضا ، قال : نعم فبايعوا وكيع سرا » وقاتلوا معه[٣٠] .

ويقول البلاذري[٣١] « فقال حيان : يا معشر العجم ! لم تقتلون انفسكم اقتيبة ؟ ألحسن بلائه عندكم ؟ » ويذكر ابن أكثم الكوفي أنه أقبل رجل من موالي بني أسد يقال له يزيد بن مسلم « فجعل يحرض الناس على قتيبة ويذكر من قتله قتيبة منهم ... ويجدد أحقادهم »[٣٢] .

ان موقف الفرس هنا ما هو الا امتداد لمواقفهم العدائية السابقة التي كانت تهدف الى القضاء على السلطة العربية والدين الاسلامي الذي أوصل العرب الى السلطة ، فقد رأوا ان الفرصة مؤاتية للانتقام من قتيبة وجيشه لأنهم يعتبرون هؤلاء هم المسؤولين عن القضاء على ديانتهم المجوسية ، ورفع راية الاسلام والحضارة العربية في ربوع بلادهم .

وقد أدى موت قتيبة كما يقول جب[٣٣] « لا توقفاً للفتوحات في آسيا الوسطى مدى ربع قرن ، ولكن كان بدء انحسار وتراجع » ، فقد أصبح اقليم خراسان واقليم ما وراء النهر أكثر أقاليم الدولة العربية اضطرابا منذ وفاة هذا القائد الفذ حتى نهاية الدولة العربية في العصر الأموي ، رغم ان الامراء الذين تولوا امارة واسط بعد وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ / ٧١٣م حاولوا الحفاظ على الانتصارات التي حققها القائد قتيبة في المشرق[٣٤] .

وبعد ان تم فتح هذه المناطق الواسعة في المشرق ، أصبح اقليم السند يجاور آخر حدود الدولة العربية ، فأصبحت هناك ضرورة لاعادة فتح هذا الاقليم بعد ان خرج أهله على طاعة الدولة العربية ، وذلك لتأمين حدود الدول العربية في تلك الجهة ، والقضاء على مصادر تهديدها المحتملة ، فوجه أمير واسط الحجاج بن يوسف الثقفي القائد عبيدالله بن نبهان السلمي على رأس قوة الى السند ، الا انه كان قد استشهد في أحد

المعارك هناك[٣٥] • فلما علم الحجاج وجه قائده بديل بن طهفة البجلي لفتح السند الا ان بديل كان قد استشهد هو الآخر في أحد المعارك هناك[٣٦] .

ويبدو ان حادثتا استشهاد هذين القائدين قد أثرتا في نفس الحجاج قائد الجبهة الشرقية آنذاك فقد ذكر الكوفي ان الحجاج « حزن حزنا شديدا ، واستعد لأخذ الثأر لهما » وكتب كتاب الى ملك السند جاء فيه : « اطلقوا اسرى المسلمين والا فلا أترك أحداً من الكفار الى حدود الصين »[٣٧] .

وجه الحجاج في سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م القائد محمد بن القاسم الثقفي على رأس قوة لفتح السند ، وقد وقع اختيار الحجاج عليه نظرا لما عرفه فيه من قابليات عسكرية وادارية عالية[٣٨] وقد هيأ الحجاج لقائده محمد كل أسباب النصر فقد ذكر البلاذري ان الحجاج أمده بستة آلاف مقاتل و « خلقاً من غيرهم » وجهزه بكل ما احتاج اليه ، ورسم له الطريق الذي يسلكه ، وهو طريق الري ـ السند ، ولما وصل السند أمده بالسفن التي كانت تحمل « الرجال والسلاح والأداة »[٣٩] .

سار القائد محمد بن القاسم الثقفي على رأس جيشه في هذه السنة الى مكران • ويبدو أن هذا القائد أراد ان يحشد أكبر قوة عربية ممكنة ، وان يدرس الموقف العسكري ، ويضع الخطط العسكرية اللازمة ثم يتقدم لتنفيذ الهدف الذي سار من أجله ، قد ذكر اليعقوبي أنه أقام بمكران أكثر من شهر ثم تقدم على رأس جيشه وفتح مدينة « فنزبور » وهي احدى مدن السند بعد ان خاض معارك عديدة مع المدافعين عنها استمرت عدة شهور[٤٠] .

ثم توجه بعد ذلك الى مدينة « ارمائيل » وفتحها صلحا[٤١] • وبعد

ان فتح هذه المدينة تقدم لفتح مدينة « الديبل » التي كانت من أعظم مدن السند ـ كما يقول اليعقوبي ـ والظاهر ان المدينة كانت محصنة تحصينا جيدا ، فبعد ان ضرب الجيش العربي الحصار عليها حاول اقتحامها عدة مرات الا انه كان يصطدم بمقاومة عنيفة من قبل المدافعين عنها ، وبعد ان درس القائد محمد الموقف العسكري بعث به الى الحجاج بواسط ليبين رأيه فيه ، فلما وصل كتاب محمد الى الحجاج رسم له الخطة العسكرية الخاصة بفتح المدينة بفتح المدينة ، وبعد ان طبق محمد هذه الخطة تمكن من فتح المدينة ، وقد اختط القائد محمد منازل للعرب فيها وبنى مسجدا ، وترك فيها حامية عسكرية عربية تتألف من أربعة آلاف مقاتل ، كانوا بقيادة وداع بن حميد الأزدي عامل المدينة[٤٧] .

واصل القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي حركات التحرير في السند فتقدم على رأس جيشه وفتح مدينة « نيرون » صلحا[٤٣] . وبعد ان فتح عدد من المدن كانت تقع على الضفة الغربية لنهر السند ، عبر النهر وفتح مدينة « سريبدس » صلحاً . ثم سار الى مدينة « سهبان » وفتحها[٤٤] .

ولما بلغت أخبار تقدم الجيش العربي الى « داهر » ملك السند خرج على رأس قواته لملاقاة الجيش العربي ، فدارت بين الطرفين معارك حامية استمرت عدة شهور انتهت بقتل « داهر » وهزيمة جيشه بعد ان قتل منهم عدد كبير في أثناء هذه المعارك[٤٥] . وكان القائد محمد يكتب الى الحجاج بواسط عن قادة جيشه وبلاءهم في المعارك[٤٦] .

واصل القائد محمد مطاردة فلول جيش داهر فتقدم الى مدينة « راور » وفتحها بعد معركة حامية مع المدافعين عنها ، ثم سار وفتح مدينة

« برهمنا باذ » وبعد أن أقام بها ونظم ادارة المدن التي تم فتحها ، أكرم رجال الدين الهنادكة ، واطلق لهم حرية العبادة ، واعمار معابدهم ، ومنحهم الأمان(٤٧) .

سار القائد محمد بعد ذلك وفتح « الرور » و « بضرور » و « ساوندري » و « بسجد » و « السكة » و « الملتان »(٤٨) .

والظاهر ان السياسة الحكيمة التي اتبعها القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي ، والتي كانت قائمة على حسن معاملة السكان ، واطلاق حرية العبادة لهم ، وتوطيد الأمن لهم ، كانت لها أبعد الأثر في نفوس هؤلاء السكان ، فعندما أقام هذا القائد في مدينة الملتان قدم اليه وفد يتألف من عدد كبير من سكان المدن المجاورة الذين كانوا يعانون من استغلال واستعباد وظلم حكامهم ورجال دينهم وأعلنوا ولاءهم له ، فأمنهم على أموالهم وانفسهم(٤٩) .

وبعد ان فتح القائد محمد مدينة « البيلمان » ومدينة « سرست » صلحا(٥٠) على رأس جيشه لفتح مدينة « الكيرج » فلما علم حاكمها « دوهر » خرج على رأس قواته لملاقاة الجيش العربي ، فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة جيش « دوهر » وقتله ، وفي ذلك قال الشاعر العربي :

نحن قتلنا داهراً ودوهراً
والخيل تردى منسراً فمنسرا(٥١)

وبعد ان انتهى القائد العربي محمد من فتح بلاد السند كتب الى أمير واسط وقائد الجبهة الشرقية الحجاج بن يوسف الثقفي يستأذنه في التقدم لفتح مملكة « قنوج » فأجابه الحجاج الى طلبه وشجعه على المضي فيما عزم عليه ، وقبل ان يتوجه بقواته الى هذه المملكة أرسل الى ملكها

يدعوه للدخول في الاسلام ، الا ان الملك لم يستجب لطلبه ، فتقدم القائد محمد على رأس قواته و « فتح وظفر » كما يقول الكوفي(٥٢) الا اننا لا نعلم هل فتح جميع هذه المملكة أم لا ؟ وربما الظروف الجديدة التي تعرض اليها هذا القائد حالت دون ذلك ، فلما تولى الخلافة سليمان بن عبدالملك بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ / ٧١٤م أمر بعزل هذا القائد وولى مكانه يزيد بن ابي كشه السكسكي(٥٣) .

والجدير بالذكر هنا هو ان حركات التحرير العربية التي تمت على يد القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي كانت من أعظم حركات التحرير العربية في تلك الجبهة ، وان القادة العرب الذين تولوا ادارة العمليات العسكرية بعده هناك اقتصرت مهمة معاركهم على اعادة فتح المدن التي كانت تخرج على طاعة الدولة العربية ، أي الحفاظ على الانتصارات التي حققها هذا القائد في تلك الجبهة ، والسبب الرئيس هو ان الخلفاء الأمويين الذين جاءوا بعد الخليفة الوليد بن عبدالملك لم يكن اهتمامهم بأمر حركات التحرير العربية بدرجة اهتمام الوليد الذي أشرك ثلاثة من أولاده في هذه الحركات وهم العباس ، وعبدالعزيز ، وعمر ، كما ان قادة الجبهة الشرقية الذين جاءوا بعد أمير واسط الحجاج بن يوسف الثقفي لم يكونوا حازمين ، ومتابعين لحركات التحرير كالحجاج ، وان القادة الذين تولوا ادارة المعارك في تلك الجبهة لم يصلوا الى عبقرية القائد محمد العسكرية والادارية(٥٤) .

صمود واسط أمام جيش المشرق :

منذ ان ولي يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أميرا على واسط سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م كان قد انشغل بالأوضاع التي كانت سائدة في المشرق الاسلامي ، فقد كانت هناك عدة قوى مناوئة للسلطة العربية ، ورغم

محاولات عامل خراسان نصر بن سيار الكناني لكسب بعض هذه القوى الى جانبه ومعالجة الوضع هناك ، الا ان محاولاته باءت بالفشل ، مما أدى الى تكتل هذه القوى فيما بينها ، ومن ثم ضعف الحكم العربي هناك ، وبما ان الخليفة مروان الثاني كان مشغولا بقتال الخوارج في اقليم الجزيرة ، فقد عهد الى أمير واسط ابن هبيرة معالجة الوضع في المشرق باعتباره تابعا لادارته[٥٥] .

كن موقف ابن هبيرة من هذه القوى هو انه أراد ـ على ما يظهر ـ از يقضي على خطر الخوارج بعد ان انتصر عليهم في العراق قد لجأوا الى المشـــرق واستولوا على مقاطعات واسعة هنـاك وطردوا عمال الدولة العربية منها فوجه في سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م قائده نباته بن حنظلة الكلابي على رأس قوة عسكرية الى سليمان بن حبيب بن المهلب الأزدي الذي كان قـد استولى على الأحـواز ، فـدارت معـركة بين الطرفين هزم فيهـا سليمان[٥٦] .

وفي هـذه السنة وجه ابن هبيرة ابنـه داود وقائده عامر بن ضبارة لقتال عبدالله بن معاوية الذي بعد ان فشلت حركته في الكوفة سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م توجه نحو المشرق واستولى على حلوان ، وقومس ، واصفهان ، والري ، وأقام باصطخر ، وكان قد ولى العمال على هذه المقاطعات ، وازداد خطـره بعـد ان اتفق مع الخوارج الذين كانوا تحت زعامـة شيبان بن عبدالعزيز الشيباني فدارت معركة بين الطرفين هزم فيها عبدالله بن معاوية ومن معه من الخوارج وسار الى خراسان[٥٧] . وقد زال خطر عبدالله عندما قبض عليه ابو مسلم الخراساني وسجنه ، ومات بسجنه[٥٨] .

أما الخوارج وهم اتباع شيبان بن عبدالعزيز الشيباني فقـد تفرقوا وزال خطرهم بعد ان التجأ زعيمهم شيبان الى عُـمان[٥٩] .

واصل ابن هبيرة قتــاله للخوارج فوجه قائده عامر بن ضبارة لقتال شيبان بن سلمة الحروري الخارجي ، فدارت معركة حامية بين الفريقين انتصر فيها ابن ضبارة ، أما شيبان فأنه بعد هزيمته في هذه المعركة هرب الى خراسان واتفق مع علي بن جديع الكـرماني على قتـال عامل الدولة العربية على خراسان نصر بن سيار الكناني(٦٠) .

ولما أعلن العباسيون ثورتهم في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩هـ / حزيران ٧٤٧م واستولوا على « مرو » كتب عامل خراسان نصر بن سيار الى أمير واسط يزيد بن هبيرة مبيناً له الموقف العسكري هناك بأعتباره المسؤول عن ادارة الأقاليم الشرقية ، يطلب منه ان يمده بجند من قبله ليساعده على صد هذا الخطر الجديد كما كتب الى الخليفة مروان الثاني يستنجد بـه(٦١) .

ولما وصل كتاب الخليفة مروان الى ابن هبيرة وجه قائده نبـاته بن حنظلة الكلابي على رأس قوة عسكرية كبيرة وعينه عاملا على خراسان بدلا من نصر بن سيار ، وذلك لان ابن هبيرة اعتبر نصر هو المسؤول عن تردي الأوضاع في المشرق ، والانقسام الذي حدث بين القبائل العربية هناك ، سار نباته على رأس جيشه ونزل بجرجان ، فلما علم قحطبة بن شبيب الطائي الذي عين قائداً للجيش المتقدم نحـو العراق ، توجه على رأس قوة الى جرجان ، فلما التقى الفريقان في ذي الحجة سنة ١٣٠هـ / آب ٧٤٧م دارت بينهما معركة حامية قتل فيها نباته وهزم جيشه(٦٢) .

ولما وصلت هذه الأنباء الى ابن هبيرة بواسط أمر ابنه داود وقائده عامر بن ضبارة ان يتوجها من كرمان نحو جيش قحطبة ، فسارا على رأس قوة عسكرية قدّرها البلاذري بخمسين ألف مقاتل ، فألتقى الفريقان عند « جابلق » قرب اصبهان ودارت بينهما معركة ضارية سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م

انتصر فيها جيش قحطبة ، وقتل ابن ضبارة في أثناء هذه المعركة(٦٣) .

واصل ابن هبيرة تصديه لجيش قحطبة الطائي ، فوجه سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م ثلاثة من قادته هم : مالك بن أدهم الباهلي ، والمصعب بن صحصح الأسدي وغطيف السلمي في « خيل عظيمة » الى همدان ، فلما قاربوا همدان بلغهم نزول الحسن بن قحطبة الطائي فيها ، فتوجهوا نحو « نهاوند » وتحصنوا بها ، فلما علم قحطبة الطائي وجه ابنه الحسن للاستيلاء على « نهاوند » ، فحاصرها الحسن وأقام المجانيق عليها ، ثم توجه قحطبة في أثره الى « نهاوند » وبعد حصار دام ثلاثة أشهر وفي رواية أربعة أشهر تمكن قحطبة من الاستيلاء عليها . وكان ابن هبيرة قد وجه قائده عبيدالله ابن العباس الكندي على رأس عشرين ألف مقاتل مدداً لجيشه بنهاوند ، الا انه عندما بلغته أخبار حصار قحطبة لنهاوند كتب هذا القائد الى ابن هبيرة مبيناً له الموقف العسكري ، فأمره ابن هبيرة بالتوجه الى « حلوان » والاقامة بها(٦٥) .

وبعد ان رأى ابن هبيرة بأن قادته لم يتمكنوا من حسم الموقف في المشرق وان جيش قحطبة كان قد وصل الى قرب حدود العراق خرج سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م من واسط على رأس قوة عسكرية كبيرة قدّرها خليفة بن خياط بثلاثة وخمسة الف مقاتل ، ثم سار حتى وصل « جلولاء » وعسكر فيها(٦٦) . أما قحطبة فانه عندما علم بنزول ابن هبيرة بجلولاء أراد ان يتجنب الاصطدام معه فسار حتى وصل « الأنبار » واستولى عليها ثم عبر نهر الفرات وعسكر في غربه في ٥ محرم سنة ١٣٢هـ / آب ٧٤٩م(٦٧) .

ولما بلغت أخبار جيش قحطبة الى ابن هبيرة سار في أثره مسرعا ، وأراد ان يلتقي بجيش قحطبة قبل ان يعبر الفرات ، الا ان قحطبة استطاع ان يعبر الفرات قبل ان يدركه ابن هبيرة(٦٨) ، تابع ابن هبيرة تقدمه نحو

جيش قحطبة ، وعسكر على ضفة الفرات الشرقية عند « الفلوجة »[٦٩] . ولكي ينفذ قحطبة بقية خطته سار نحو « الكوفة » ، فعندما رأى ابن هبيرة تحرك جيش قحطبة باتجاه الكوفة ، أمر جيشه بالتحرك نحو « الكوفة » أيضا ، وولى حوثرة بن سهيل الباهلي مقدمة جيشه وأمره بالسير الى « الكوفة » للاستيلاء عليها قبل ان يصلها جيش قحطبة ، وكان جيش قحطبة يسير في الجانب الغربي من الفرات ، أما جيش ابن هبيرة فقد كان يسير في الجانب الشرقي منه[٧٠] . وفي ٨ محرم سنة ١٣٢هـ / آب ٧٤٩م عبر جيش قحطبة الفرات والتقى الفريقان في معركة حامية في أرض الفلوجة كان وضع الطرفين فيها بين أخذ ورد الا ان جيش قحطبة كان قد انتصر في آخر المعركة على الرغم من قتل قائده[٧١] .

واصل ابن هبيرة تقدمه نحو « الكوفة » الا انه لما وصل « سوق أسد » بلغه خبر استيلاء محمد بن خالد بن عبدالله القسري على « الكوفة » ومبايعة أهل الكوفة له ، وطرد عامله منها ، فاتجه بجيشه نحو واسط[٧٢] . أما جيش قحطبة فقد بايع الحسن بن قحطبة ونصبوه قائداً عليهم ، ثم ساروا الى الكوفة وبايعوا أبا سلمة الخلال الذي وجه الحسن بن قحطبة الى واسط للاستيلاء عليها[٧٣] .

سار الحسن على رأس قوة عسكرية قدّرها الدينوري بعشرين ألف مقاتل وضرب الحصار على مدينة « واسط »[٧٤] . أما مقاتلة واسط فقد كان عددهم عشرين ألف مقاتل ، وكان هؤلاء المقاتلة بأمرة قواد اكفاء أمثال معن بن زائدة الشيباني وحوثرة بن سهيل الباهلي ، ومحمد ابن نباتة الكلابي ، وزياد بن صالح الحارثي وغيرهم .

وكان ابن هبيرة قد حصن مدينة واسط غاية التحصين ، فأدى ذلك الى عدم استطاعة المجانيق والحصراوات التي نصبها الجيش العباسي على

المدينة ان تنال منها شيئاً[٧٦] . أما جيش واسط فقد كان يخرج من أبواب المدنه ، فتدور معارك بينه وبين الجيش العباسي ، كان وضع الطرفين فيها بين أخذ ورد »[٧٧] .

ويبدو ن الخليفة العباسي أبا العباس عندما بلغته أخبار تحصين ابن هبيرة لوسط ، ومنعة أسوارها ، وصمود جيشها امام القوات العباسية المحاصرة للمدينـة ، قرر انهـاء الحصار والاستيلاء على واسط بأسرع ما يمكن ، فقد جاء في المصادر انـه أرسل أخاه أبا جعفر المنصور على رأس قوة عسكرية كبيرة ، وعينه قائدا للجيش العباسي المحاصر لمدينة واسط[٧٨] . علما ان القتال لا زال دائراً بين الجيش العباسي بقيـادة عبـدالله بن علي ، والجيش الأمـوي بقيـادة مروان الثـاني في بـلاد الشام[٧٩] .

لقد بقي ابن هبيرة مصمماً على الاستمرار في المقاومة ، ويبدو أنه لم يفكر بطلب الصلح الى ان بلغته أخبار مقتل مروان الثاني ، وقد أشار الطبري الى ذلك فقال[٨٠] : « ولم يطلبوه (يعني الصلح) حتى جاءهم مقتل مروان . كما ان ابا جعفر المنصور سبق ان كاتب القبائل اليمانية المتصمة بواسط ، قائلا لهـم : « السلطان سلطانكم والدولة دولتكـم » فاستطاع ان يكسب بعضهم الى جانبه بعد ان أعطاهم الأمان[٨١] .

يبدو ان هذه هي أهم الأسباب التي دفعت ابن هبيرة الى ان يتقدم الى ابي جعفر المنصور بطلب الصلح ، فلما اجابه ابو جعفر الى طلبه ، فجـرت مفاوضات بين الطرفين ، أعطى بموجبها أبا جعفـر أماناً لابن هبيرة ، وكتب به كتابا ، شاور فيه ابن هبيرة العلماء أربعين يوما ثم وافق عليه وأرسله الى أبي جعفر ، فأرسله أبو جعفر الى الخليفة لأخذ موافقته ، وبعد ان وافق الخليفة عليه أمر أبا جعفر بتنفيذه[٨٢] .

والحق ان أبا جعفر أراد ان يفي لابن هبيرة وجيشه ، فبعـد ان

بايعه ابن هبيرة سمح لـه بالتردد الى معسكره ، فكان يأتي مع قواده وبعض أفراد جيشه وحرسه ، وذكرت المصادر ان ابا جعفر كان معجباً بابن هبيرة وانه كان يستشيره في بعض القضايا(٨٣) الا ان الخليفة أبا العباس هـو الذي أمـر أبا جعفـر بقتله وذلك بطلب من ابي مسـلم الخراساني الذي كتب الى الخليفة يقـول : « ان الطـريق السهل اذا القيت فيه حجارة فسد ، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة »(٨٤) .

ولما قتل ابن هبيرة في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢هـ / حزيران ٧٤٩م استحوذ على أموال واسط التي يبدو انها كانت أموالا جسيمة فقد أشار الى ذلك الدينوري فقال : « واحصي في الخزائن من الأموال والسلاح وما بقي من الطعام ثلاثة آلاف الف درهم ، ومن السلاح شيء كثير ، وطعـام ثلاثين ألف رجـل ، وعلف عشرين ألف رأس من الدواب سنة »(٨٥) .

صمود واسط امام الزنج :

الزنج جماعة من العبيد السود استقدموا الى العراق من افريقية في العصـر الأموي وذلك بسبب الحاجـة الى الأيدي العاملة في الزراعـة واستصلاح الارضي في منطقة البصرة ، وقد دفعهم حقدهم الشعوبي الى القيام بعدة حركات تمرد على السلطة العربية في العصر الأموي والعصر العباسي في منطقة البصرة والبطائح ، الا ان أخطر هذه الحركات هي التي حدثت سنه ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ، فقد استغل هؤلاء فرصة ضعف الخلافـة العباسية من جراء تسلط القادة العسكريين الأتراك فأعلنوا حركتهم في منطقة البصرة ، وقاد حركتهم في هذه المرة « صاحب الزنج » واسـمه (بهبوذ)(٨٦) وهو فراسي من « ورزنين » وهي قرية من قرى الري ، ولكنه تسمى بمحمد بن علي(٨٧) . وقد ادعى ان الهدف من حركتـه هذه هو رفع منزلة هؤلاء الزنج وتحسين أوضاعهم(٨٨) .

وبعـد ان استولوا على منطقة البصرة والأحواز ، وقتلوا أعـداداً كبيرة من السكان هناك ، وهاجموا الدور وسبوا النساء والأطفال ، وقطعوا طرق المواصلات بين البصرة وبغداد ، تقدم قائد صاحب الزنج سليمان بن جامع وقاده آخرين على رأس أتباعهم واستولوا على مدن وقرى واسط بعد ان خاض الجيش العباسي معارك ضارية معهم ، تكبـد فيها الزنج خسائر كبيرة ، وقد استباح الزنج في أثناء المعارك هذه المـدن والقرى وحرقوا عددا منها ، وخربوا الأنهار والمزارع في هذه المنطقة الزراعية المهمة ، وقد ساعد الوضع الجغرافي في البطائح الزنج هذه المعارك ، لأنه حال دون تمكن لجيش العباسي من الحركة بسهولة هناك(٨٩) .

وبعد ان أمد « صاحب الزنج » قائده سليمان بقـوة كبيرة تقـدم للاستيلاء على واسط ، وقد روى الطبري أن أهل واسط كانوا قد صمدوا أمام الزنج ودارت بين الطرفين معارك ضارية في البر والماء استمرت يوما كاملا ، الا ان الزنج تمكنـوا من الاستيلاء على واسـط ، واستباحوها وقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة من سكانها ، ولم يكتفوا بذلك بل دفعهـم حقدهم الشعوبي الى احرق المدينة(٩٠) ، وخرج أهل واسط « حفـاة على وجوههم » كما بقول ابن الجوزي(٩١) .

ولما بلغت أخبار استيلاء الزنج على واسط أعد الخليفة الموفق جيشا كبيرا واسند قيادته الى ابنه ابا العباس (الخليفة المعتضد فيما بعد) ، وبعد ان انتصر أبا العباس على قائد الزنج سليمان بن جامع في معركة حامية قتل فيها عدد كبير من الزنج ، سار على رأس جيشـه وعسكر بواسط واتخذها مركزا لادارة العمليات العسكرية ضد الزنج . أما الخليفـة الموفق فكان هو الآخر قد خرج من بغداد على رأس جيش كبير وسار نحو واسط ، وكان الزنج قد أنشأوا لهم حصنين لهم في منطقة واسط ، الأول اطلقوا عليه اسم « المدينة المنيعة » وكان قرب واسط ، والحصن

الثاني اطلقوا عليه اسم « المدينة المنصورة » كان بجوار « طهيثا » وهي احدى مدن واسط .

سار الموفق وابنه في سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م واحتلوا « المدينة المنيعة » بعد معركة ضارية مع المدافعين عنها واستنقذوا (٥٠٠٠) أسيرة[٩٢] .

وفي هذه السنة سار الموفق نحو الحصن الثاني ، ولما دخله « استنقذ الموفق من نساء أهل واسط وصبيانهم ، ومما اتصل ذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف ... وحملوا الى واسط ودفعوا الى اهلهم »[٩٣] .

لى

تقدم الموفق وابنه ابا العباس لمطاردة فلول الزنج في البطائح والبصرة والاحواز وبعد معارك ضارية هناك تمكنا من القضاء على هذه الحركة التي تركت وراءها آثاراً فضيعة من التدمير والتخريب في العراق[٩٤] .

مقاومة أهل واسط للتسلط البويهي :

لم يكتف البويهيون الفرس بالاستيلاء على أقاليم الدولة العربية في المشرق ، فقد دفعهم حقدهم الفارسي للاستيلاء على عاصمة الخلافة بغداد ، واسقاط السيادة العربية ، وهو هدف فارسي سعى الفرس لتحقيقه منذ ان قضى العرب على دولتهم في عصر صدر الاسلام ، ومنذ سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م وحتى استيلاء البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م اخترق الجيش البويهي حدود العراق الشرقية أربعة مرات واستولوا على المنطقة الممتدة بين البصرة وواسط ، وفي كل مرة كانت تتعرض دور سكان مدينة واسط ومزارعهم الى النهب والتخريب من قبل الجيش البويهي[٩٥] .

وبما ان هدف البويهيين من السيطرة على العراق هو القضاء على

السلطة العربية والحضارة العربية ، فقد أسار هؤلاء ومنذ ان دخلوا بغداد الى رموز هذه السلطة وهم الخلفاء وأسسوا امارة ورائية في قلب الخلافة العباسية في بغداد وأصبح الأمير البويهي هو الحاكم الفعلي ، كما اتبعوا نفس السياسة مع سكان العراق •

أن سياسة البويهيين هذه أدت الى تصدي أبناء العراق لهم ومقاومتهم، فالحمدانيون في شمالي العراق (الجزيرة الفراتية) خاضوا معهم معارك ضارية منذ ان استولوا على العراق ، وفي القسم الأوسط من العراق تصدت لهم قبيلة أسد العربية[٩٧] ، وكان لأهل واسط دورا بارزا في النضال ضد التسلط البويهي في العراق ، حيث قاد المقاومة هناك أحد أبناء واسط هو الثائر عمران بن شاهين السلمي الذي ينتمي الى قبيلة سليم العربية •

لقد استغل لثائر عمران بن شاهين الوضع الجغرافي في بطائح واسط والذي لا يسمح للجيوش المنظمة ان تتحرك بسهولة هناك فاتخذ من تلك المنطقة مقراً لاعلان ثورته ، ومنذ ان أقام مع أبناء قبيلته هناك بدأ يعبر عن رفضه للوجود ابويهي وذلك باعتراض من يجتاز تلك المنطقة من اتباع السلطة البويهية ، ثم أخذ يجمع له الأعوان من أبناء المنطقة لضمهم لى جيشه ، كما اتصل بالبريديين حكام الأحواز ، فقلده أبو القاسم البريدي حماية البطائح ، وبعد ان هيأ الجيش والسلاح أعلن ثورتا سنه ٣٣٨هـ / ٩٤٩م[٩٨] •

ولما بلغت هذه الانباء الى معزالدولة البويهي أعد في هذه السنة جيشا كبيرا واسند قيادته الى وزيره أبو جعفر الصيمري ، ووجهه الى البطائح ، وقد التقى الفريقان في عدة معارك دامية ، ألحق بعضهم بالآخر خسائر كبيرة ، الا انها انتهت بانتصار الجيش البويهي الذي كان يتفوق

على جيش عمران في العدة والعدد وقد اضطر معزالدولة ان يوجه جيشه الى اقليم فارس وذلك لاضطراب الاوضاع هناك(٩٩) .

في سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م وجه معزالدولة جيشا لمحاربة عمران بن شاهين أسند قيادته الى قائده روزبهان الديلمي فلما علم عمران بتقدم الجيش البويهي خرج لملاقاته فدارت بين الفريقين معركة ضارية هزم فيها جيش روزبهان هزيمة نكراء ، وغنم عمران جميع آلاته وسلاحه ، وبعد هذا الانتصار تشجع عمران وازداد نفوذه ، وقويت شوكته ، واستطاع ان يوسع امارته ، ويفرض الضرائب ، وقطع طرق المواصلات بين بغداد والبصرة(١٠٠) .

وفي هذه السنة أعد معزالدولة جيشا جديدا أسند قيادته الى وزيره أبو محمد المهلبي وقائده روزبهان الديلمي ، وزودهم بالسلاح الكثير ، وأطلق يدهم في الأموال ، الا ان عمران استطاع ان يهزم الجيش البويهي ويكبده خسائر كبيرة في معركة حامية ، وقد أشار مسكويه الى تفاصيل هذه المعركة فقال : « فزحف (يعني المهلبي) الى عمران وسد عليه مذاهبه وانتهى الى مضيق في البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران وأصحابه ، فأحب روزبهان ان يلحق المهلبي مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فأشار عليه بالاقتحام والهجوم ، وتوثق المهلبي وأراد سد تلك المضايق ، فأخذ روزبهان في التضريب عليه وعارضه في كل ما دبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب الى معزالدولة يستعجزه ، ويذكر أنه انما يحجم ويجنح الى المطاولة ليحتسب بالأموال في النفقات ، ولم يزل بذلك وشبهه الى ان وردت كتب معزالدولة بالاستبطاء فترك المهلبي الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل بجميع عسكره هاجماً على عمران ، وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة ، وقد كمّن عمران كفاءه في تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون

متضايقون في طريق الماء لا يعرونها فوصعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا، وانصرف روزبهان موفورا ونجا الوزير المهلبي سباحة وحصل القواد والوجوه في الأسر »[١٠١] .

والظاهر ان معزالدولة البويهي بعد ان تكررت هزائم جيشه أمام الثوار في البطائح ، كان قد أدرك أهمية اعتدال الساحة فتقدم يطلب التفاوض والعلم معه فيتم عقد اتفاق بينهما تم بموجبه الاعتراف بعمران أميرا على البطائح ، وتبادل الاسرى بين الطرفين[١٠٢] .

بختيار الذي خلف والده في حكم العراق ان يكتب الى قائده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي الذي تقدم لقتال عمران ان يفاوض عمران ويعود الى بغداد[١٠٣] .

سار عزالدولة بختيار على نهج سياسة والده القائمة على عدم الالتزام بالاتفاقيات والحقد على كل ما هو عربي ، فخرج سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م على رأس جيشه من بغداد قاصدا عمران بن شاهين ، وكان على مقدمة جيشه وزيره أبو الفضل الشيرازي ، فلما علم عمران ترك مقره وانسحب الى مقر آخر في البطائح فلما تقدم الجيش البويهي لم يتمكن من الوصول الى مقر عمران الجديد ، وذلك لأن عمران كان قد أمر بهدم السدود التي أقامها الجيش البويهي في البطائح ، فاضطر الجيش البويهي الى الانسحاب[١٠٤] .

ان الانتصارات التي حققها الثائر عمران بن شاهين على الجيش البويهي وصموده في مقاومة التسلط الاجنبي أدى الى ظهوره كقوة على المسرح السياسي آنذاك حتى ان عزالدولة بختيار حاول الاستفادة من قوته لتعزيز مركزه ضد مراكز القوى في الجيش البويهي ، فلما تمرد قائد الاتراك سبكتكين على عزالدولة طلب الاخير من عمران مساعدته ، وقدم

له الهدايا ، واسقط عنه الأموال وطلب اليه المصاهرة ، الا ان عمران كان قد رفض ما تقدم به عزالدولة بختيار ورد عليه قائلا : « أما اسقاط المال فنحن نعلم انه لا اصل له ، وقد قبلته ، واما الوصلة فانني لا أتزوج احد ، الا ان يكون الذكر من عندي ••• وأما الخلع والفرس فانني لست ممن يلبس ملبوسكم ••• وأما انفاذ عسكر فان رجالي لا يسكنون اليكم لكثرة ما قتلوا منكم »[١٠٥] ثم قال لرسول بختيار : « قل له : ينبغي ان تتوقر وتتزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محارباً لي فرجعت عني وقصدت الاهواز منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة ، وانا اعلم ان أمرك سيتأدى الى ان تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي ، وسأذكرك هذا ، وتعلم حينئذ اني اعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به انت وأبوك قبلك »[١٠٦] •

وعندما أعلن محمد بن بقية أمير واسط وتكريت وعكبرا وأوانا ثورته على الحكم البويهي ، واستنجد بعمران بن شاهين ، وقف عمران الى جانبه ، وساهم جيشه في المعركة التي دارت بين جيش ابن بقية والجيش البويهي بواسط ، والتي انتهت بهزيمة الجيش البويهي •

ولما أراد ابن بقية ان يكوّن جبهة ضد عضدالدولة سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م اتصل بعمران بن شاهين ، فقدم الى ابن بقية وعزالدولة بختيار المال والسلاح[١٠٧] •

وهكذا نجد ان الثائر عمران بن شاهين الذي قاد مقاومته أهل واسط وبطائحها ضد التسلط البويهي ظل رافضا للوجود الاجنبي في العراق ، ومقاوما له ومنتصرا عليه ومحافظا على روح النصر حتى وفاته سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٨م • انتهز الأمير البويهي عضدالدولة فرصة وفاة عمران ابن شاهين ، فأعد في سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٨م جيشا كبيرا لمهاجمة الحسن بن عمران الذي خلف أباه في قيادة الثورة في بطائح واسط ، وأسند قيادته

الى وزيره المطهر بن عبدالله ، فلما علم الحسن استعد لملاقاته ، ودارت معركة في الماء هزم فيها الجيش البويهي وانتحر قائده ، فاضطر عضدالدولة للتفاوض مع الحسن ، وتم الاتفق بينهما[١٠٨] .

وقد استمر سكان منطقة واسط في مقاومتهم للتسلط البويهي حتى تم طردهم من العراق سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م[١١٩] .

مقاومة واسط للتسلط السلجوقي والمغولي :

وفي أثناء التسلط السلجوقي على العراق (٤٤٧ - ٥٥١هـ / ١٠٥٥ - ١١٥٦) شارك أهل واسط في النزاع الذي حدث بين أبناء البيت السلجوقي على السلطة ، وقد تعرضت هذه المدينة ومنطقتها الى الاحتلال من قبل السلاطين والقادة الملاحقة مرات عديدة مما أدى ان تهديم وتجريد المزارع والبيوت من قبل جيوش هؤلاء السلاطين[١١٠] .

١١٣٤م) والخلفاء الذين تولوا الخلافة من بعده على التخلص من التسلط السلجوقي ، وقف أهل واسط وبعض ولاتها مع الخلفاء في نزاعهم مع السلاطين السلاجقة[١١١] .

وعندما تمكن المغول من الاستيلاء على المشرق الاسلامي ، قرر هولاكو الاستمرار في زحفه نحو بغداد عاصمة الخلافة ، وبعد معارك مع جيش الخلافة دخل جيش هولاكو بغداد في ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م فتعرضت المدينة الى النهب والقتل والحرق سبعة أيام[١١٢] . وقدر من قتل من أهل بغداد بما يزيد على (٨٠٠,٠٠٠) من الرجال والنساء والأطفال عدا من هلك في القنى والآبار والسراديب من الجوع والخوف[١١٣] .

وبعد احتلال بغداد وجه هولاكو قائده « بوقا تيمور » للاستيلاء

على بقية مدن العراق ، فتقدم نحو واسط ، ولما وصل تصدى له أهلها ، وبعد معركة ضارية تمكن الجيش المغولي من دخول المدينة « وشرع في القتل والنهب ، فقتل ما يقرب من أربعين ألف شخص »(١١٤) . وممن رثوا واسط بعد هذه النكبة الشاعر سعدي الشيرازي الذي قال :

وقفت بعبــادان أرقب دجلــة
كمثل دم قان يسيل الى البحر
وفائض دمعي في مصيبة واسط
يزيد على مد البحيرة والجزر
فجرت ميـاه العين فازددت حرقـة
كما احترقت جوف الدماميل بالفجر(١١٥)

ولم يسلم منهم حتى التراث الفكري لهذه المدينة ففي سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م قـدم نصيرالدين الطوسي الى واسط لجمـع الكتب من مكتباتها وذلك لنقلها الى المكتبة الملحقة بدار الرصد في مراغة باذربيجان(١١٦) .

مصادر البحث :

(١) حضارة العراق : ٦/١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣/٥٩٠ وما بعدها .

(٣) ن٠م : ٤/٤٠ وما بعدها .

(٤) تاريخ الرسل والملوك : ٤/٢٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٥) انظر : الطبري : تاريخ : ٤/٨٣ وما بعدها ، ١٣٧ وما بعدها .

(٦) انظر مثلا : البلاذري : فتوح البلدان : ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤٦٤ .

(٧) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : دور امراء العراق في حركات تحرير المشرق في العصر الاموي ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢٧) سنة ١٩٨٦م .

(٨) الطبري : تاريخ : ٦/٣١٩ ، انظر : اليعقوبي : تاريخ : ٢/٢٧٦ ، الدينوري : الاخبار الطوال : ٢٨٠ .

(٩) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر الاموي : ٩٧ وما

(١٠) ن٠م : ٤٥٩ـ٤٧١ .

(١١) تاريخ خليفة بن خياط : ١/٢٨٩ . ابن حوقل : صورة الارض : ٢٤٦ . ياقوت : معجم البلدان : ٣/٣٨٠ .

(١٢) انظر تفاصيل حركات التحرير هذه في الطبري : تاريخ : ٦/٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ .

(١٣) انظر تفاصيل حركات التحرير هذه في الطبري : تاريخ : ٦/٤٢٥ ، ٤٢٩ ـ ٤٣٢ ، ٤٣٩ ـ ٤٤٧ ، ٤٤٧ ـ ٤٥٤ ، ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح : ٧/٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(١٤) الطبري : تاريخ : ٦/٤٤٥ ـ ٤٤٧ · ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح : ٧/٢٢٥ ، ٢٢٦ ·

(١٥) ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح : ٧/٢٣٠ ·

(١٦) الطبري : تاريخ : ٦/٤٦٢ ·

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط : ١/٣٠٧ · ابن اعثم الكوفي : كتاب الفتوح : ٧/٢٣٤ ·

(١٨) انظر تفاصيل ذلك في : ابن اعثم الكوفي : ٧/٢٣٩ · فتوح البلدان : ٥١٨ · الطبري : تاريخ : ٦/٤٦٩ ـ ٤٨٠ ·

(١٩) انظر تفاصيل ذلك في : شتوح البلدان : ٥١٩ · تاريخ خليفة بن خياط : ١/٣١٠ · الطبري : تاريخ : ٦/٤٨٣ ، ٤٨٤ ·

(٢٠) الطبري : تاريخ : ٦/٤٨٣ ، ٤٨٤ ·

(٢١) ابن اعثم : كتاب الفتوح : ٧/٢٤٩ ، ٢٥٠ ·

(٢٢) الطبري : تاريخ : ٦/٥٠٠ · ابن اعثم : كتاب الفتوح : ٧/٢٥١ ·

(٢٣) الصيني : العلاقات بين العرب والصين : ٢٦ ·

(٢٤) أرمينوس فامبري : تاريخ بخارى : ٦٩ ·

(٢٥) الطبري : تاريخ : ٦/٥٠١ ، ٥٠٢ ·

(٢٦) ن·م : ٦/٥٠٢ ·

(٢٧) ن·م : ٦/٥٠٩ · ابن اعثم : كتاب الفتوح : ٧/٢٥٢ ، ٢٥٣ ·

(٢٨) ن·م : ٦/٥١٢ ·

(٢٩) انظر : فتوح البلدان : ١٥٢ ، الطبري : تاريخ : ٦/٥١٥ ، ٥١٦ · ابن اعثم : كتاب الفتوح : ٧/٢٧٢ ـ ٢٧٦ ·

(٣٠) تاريخ : ٦/٥١٢ ·

(٣١) فتوح البلدان : ٥٢١ ·

(٣٢) كتاب الفتوح : ٧/٢٧٢ ، ٢٧٣ ·

(٣٣) The Arab Conquests in Central Asia, p. 54.

(٣٤) انظر : الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : دور امراء العراق في حركات تحرير المشرق في العصر الاموي ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢٧) السنة ١٩٨٦م ٠

(٣٥) فتوح البلدان : ٥٣٤ ٠ العقد الثمين : ١٤٩ ، ١٥٠ ٠

(٣٦) العقد الثمين : ١٥٠ ٠

(٣٧) ن٠م : ١٥٠ نقلا عن الكوفي ٠

(٣٨) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : حركات التحرير العربية في السند من ١٥ ـ ١٣٢ه بحث ـ تحت الطبع ـ مجلة كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ٠

(٣٩) فتوح البلدان : ٥٣٤ ، ٥٣٥ ٠ انظر : اليعقوبي : تاريخ : ٢/٢٨٨ ، الكامل : التاريخ : ٤/٥٣٧ ٠

(٤٠) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٨٨ ٠ انظر : تاريخ خليفة بن خياط : ١/٣٠٧ ٠ فتوح البلدان ٥٣٤ ٠ الكامل في التاريخ : ٤/٥٣٧ ٠

(٤١) فتوح البلدان : ٥٣٥ ٠ تاريخ خلبفة بن خياط : ١/٣٠٧ ٠ الكامل في التاريخ : ٤/٥٣٧ ٠

(٤٢) فتوح البلدان : ٥٣٥ ٠ اليعقوبي : تاريخ : ٢/٢٨٨ ٠ العقد الثمين: : ٢٠١ ٠

(٤٣) فتوح البلدان : ٥٣٦ ٠ اليعقوبي : تاريخ : ٢/٢٨٩ ٠

(٤٤) ن٠م : ٥٣٦ ٠ ن٠م : ٢/٢٨٩ ٠

(٤٥) ن٠م : ٥٣٧ ٠ ن٠م : ٢/٢٨٩ ٠

(٤٦) العقد الثمين : ٢٢٣ ٠

(٤٧) فتوح البلدان : ٥٣٧ ٠ الكامل في التاريخ : ٤/٥٣٨ ٠

(٤٨) فتوح البلدان : ٥٣٧ ٠ الكامل في التاريخ : ٤/٥٣٨ ٠

(٤٩) الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم : ٦٣ ، ٦٤ ٠

(٥٠) فتوح البلدان : ٥٣٩ • الكامل في التاريخ : ٤/٥٨٨ •

(٥١) ن•م : ٥٣٩ • ن•م : ٤/٥٨٨ •

(٥٢) العقد الثمين : ٢١٨ •

(٥٣) فتوح البلدان : ٥٣٩ • تاريخ خليفة بن خياط : ١/٣٢٤ • الكامل في التاريخ : ٤/٥٨٨ •

(٥٤) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : حركات التحرير العربية في السند ، بحث ـ تحت الطبع ـ مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية •

(٥٥) انظر : الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر الاموي : ٢٢٦ •

(٥٦) انظر تفاصيل ذلك في : اليعقـوبي : تاريخ : ٢/٣٤١ • الطبري : تاريخ : ٧/٣٥١ •

(٥٧) تاريخ خليفـة بن خيـاط : ٢/٤٠٩ • الطبري : تاريخ : ٧/٣٧٢ وما بعدها • مقاتل الطالبيين : ١٢١ •

(٥٨) مقاتل الطالبيين : ١٢١ •

(٥٩) انظر : الطبري : تاريخ : ٧/٣٥٣ ،ز ٣٧٣ •

(٦٠) تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٤١٠ ، ٤١١ • أنساب الاشراف : ج٣ ورقة ٣٣ب • العيون والحدائق : ٣/١٦٥ ، ١٦٦ •

(٦١) انظر تفاصيل ذلك في : الاخبار الطوال : ٣٦٤ • اليعقوبي : تاريخ : ٢/٣٤٣ • اخبـار الدولة العباسية : ٢٧٧ • العيـون والحدائق : ٣/١٨٧ •

(٦٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٤١٣ • اليعقوبي : تاريخ : ٢/٣٤٣ • الطبري : تاريخ : ٧/٣٩١ ، ٣٩٢ •

(٦٣) انساب الاشراف : ج٣ ورقة ١٣٤أ • ويقدرهم الطبري بمائة الف ، ومائة وخمسون الف : تاريخ : ٧/٤٠٥ •

(٦٤) انظر تفاصيل ذلك في : تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٤١٨ ومابعدها• الطبري : تاريخ : ٧/٤٠٧ • اخبار الدولة العباسية : ٣٥١ـ٣٥٣ •

(٦٥) أخبار الدولة العباسية : ٣٥٤ ·

(٦٦) تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢١/٢ · الطبري : تاريخ : ٤١٠/٧ ·

(٦٧) انظر تفاصيل ذلك في : الطبري : تاريخ : ٤١٠/٧ ـ ٤١٢ · اخبار الدولة العباسية · ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ·

(٦٨) أخبار الدولة العباسية : ٣٦٥ ·

(٦٩) انظر تفاصيل ذلك في : تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٢/٢ · الطبري: تاريخ : ٤١٢/٧ وما بعدها · أخبار الدولة العباسية : ٣٧٠ وما بعدها ·

(٧٠) انظر تفاصيل ذلك في : الطبري : تاريخ : ٤١٢/٧ ـ ٤١٧ ·

(٧١) انظر تفاصيل ذلك في : تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٢/٢ · الطبري : تاريخ : ٤١٢/٧ ـ ٤١٧ · اخبار الدولة العباسية :

(٧٢) الطبري : تاريخ : ٤١٧/٧ · اخبار الدولة العباسية : ٣٧٢ ·

(٧٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٣/٢ ، ٤٣٠ · الطبري : تاريخ : ٤١٨/٧ ·

(٧٤) الاخبار الطوال : ٣٦٩ ·

(٧٥) انظر : الاخبار الطوال : ٣٧٤ · تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٤/٢ · الطبري : تاريخ : ٤٥٣/٧ ·

(٧٦) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر الاموي : ٢٦٢ ·

(٧٧) انظر تفاصيل ذلك في : أنساب الاشراف : ج٣ ورقة ٣٤ب · تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٤/٢ · الطبري : تاريخ : ٤٥١/٧ وما بعدها ·

(٧٨) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر الاموي : ٢٦١ ·

(٧٩) انظر : تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٧/٢ وما بعدها · اليعقوبي :

(٨٠) تاريخ الرسل والملوك : ٤٥٣/٧ ، ٤٥٤ · انظر : أنساب الاشراف : ج٣ ورقة ٣٤ب ·

(٨١) الامامة والسياسة : ١٢٦/٢ · الطبري : تاريخ : ٤٥٤/٧ ·

(٨٢) ن٠م : ٢/١٢٩ ٠ ن٠م : ٧/٤٥٤ ٠

(٨٣) الطبري : تاريخ : ٧/٤٥٤ ، ٤٥٥ ٠ الامامة والسياسة : ٢/١٢٩ ٠
انساب الاشراف : ج٣ ورقة ٣٥أ ٠ اليعقوبي : تاريخ : ٢/٣٥٤ ٠
تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٤٢٥ ٠

(٨٤) الطبري : تاريخ : ٧/٤٥٤ ٠ انظر : الامامة والسياسة : ٢/١٢٩ ٠
انساب الاشراف : ج٣ ورقة ٣٥أ ٠

(٨٥) الاخبار الطوال : ٣٧٣ ٠ انظر : الطبري : ٧/٤٥٥ ٠ الازدي :
تاريخ الموصل : ١٢٥ ٠ العيون والحدائق : ٣/٢١٠ ٠

(٨٦) ابن الجوزي : المنتظم : ٥/٧٠ ٠

(٨٧) الطبري : تاريخ : ٩/٤١٠ ٠

(٨٨) الدكتور عبدالعزيز الدوري : دراسات في العصور العباسية
المتأخرة : ٨١ ٠

(٨٩) انظر تفاصيل ذلك في الطبري : تاريخ : ٩/٤٣١ وما بعدها ٠

(٩٠) انظر تفاصيل ذلك في الطبري : تاريخ : ٩/٥٣٦ ـ ٥٤٠ ٠ ابن
الجوزي : المنتظم : ٥/٤٥ ٠

(٩١) المنتظم : ٥/٤٥ ٠

(٩٢) انظر تفاصيل ذلك في الطبري : تاريخ : ٩/٥٥٧ ـ ٥٧٢ ٠

(٩٣) الطبري : تاريخ : ٩/٥٧٣ ٠

(٩٤) انظر تفاصيل ذلك في الطبري : تاريخ : ٩/٥٧٤ وما بعدها ٠

(٩٥) الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر العباسي : ٣٦

(٩٦) انظر تفاصيل ذلك في : الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : المقاومة
العربية لحكم البويهيين الفرس في العراق ، مجلة دراتسات للاجيال،
عدد ٤ ، ٥ السنة ١٩٨٣م ٠

(٩٧) انظر تفاصيل ذلك في ن٠م ص٣٨١ وما بعدها ٠

(٩٨) انظر : مسكويه : تجارب الامم : ٢/١١٩ • الهمداني : تكملة تاريخ الطبري : ١/١٦٢ • الكامل في التاريخ : ٨/٤٨١ •

(٩٩) انظـر تفاصيل ذلك في : مســكويه : تجـارب الامـم : ٢/١٢٠ • الهمداني : تكملة : ١/١٦٢ • الكامل في التاريخ : ٨/٤٨١ •

(١٠٠) انظـر تفاصيل ذلك في : مسكويه : تجـارب الامـم : ٢/١٣٠ • الهمداني : تكملة : ١/١٦٤ • الكامل التاريخ : ٨/٤٨٩ ، ٤٩٠ •

(١٠١) تجـارب الامم : ٢/١٣٠ ، ١٣١ • انظـر : الكامل في التاريخ : ٨/٤٩٠ •

العيون والحدائق : ج٤ ف٢ ص١٩١ • الكامل في التاريخ : ٨/٤٩٠،

(١٠٢) مسكويه : تجارب الامم : ٢/١٤٣ • الهمداني : تكملة : ١/١٦٥ • ٤٩١ •

(١٠٣) انظر تفاصيل ذلك في : مسكويه : تجارب الامم : ٢/٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ • الهمداني : تكملية : ١/١٩٠ • الكامل في التاريخ : ٨/٦١٠ ، ٦١١ •

(١٠٥) الكامل في التاريخ : ٨/٦٤٤ • انظر : مسكويه : تجـارب الامم : ٢/٣٣٠ •

(١٠٦) مسكويه : تجارب الامم : ٢/٣٣٠ • وقد حصل ما توقعه عمران بن شاهين ، ففي سنة ٣٦٦هـ وفي أثناء النزاع بين عزالدولة بختيـار وعضدالدولة حزم عضدالله • ولما وصل بختيار الى واسط حمـل اليـه عمـران مالا وسلاحا وهدايا نفيسة ، ثم دخـل بيت عمران ، فاكرمه ، وقدم له مالا كثيرا وهدايا • الكامل التاريخ : ٨/٦٧٢ •

(١٠٧) مسكويه : تجارب الامم : ٢/٣٤٧ ، ٣٦٥ • الكامل في التاريخ : ٨/٦٥١ ، ٦٧١ •

(١٠٨) ن٠م : ٢/٤٠٩ ـ ٤١١ • ن٠م : ٨/٧٠١ ، ٧٠٢ •

(١٠٩) انظر : الكامل في التاريخ : ٩/١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٥٢٢ ، ٥٤٠ •

(١١٠) انظر تفاصيل ذلك في : الدكتور عبدالقادر المعاضيدي : واسط في العصر العباسي ص٨٣ وما بعدها ٠

(١١١) انظر تفاصيل ذلك في : ن٠م ص٩١ وما بعدها ٠

(١١٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ٢٧٢ ٠

(١١٣) الحوادث الجامعة : ٣٣٤ ٠ ويقدرهم ابن كثير الف الف نسمة : البداية والنهاية ٢٠٢/١٣ ٠ وقدرهم الذهبي الف الف وثمانمائة الف ٠ دول الاسلام : ١٢١/٢ ٠

(١١٤) الهمداني : جامع التواريخ : م٢ ج١ ص٢٩٦ ٠

(١١٥) الدكتور حسين علي محفوظ : المتنبي وسعدي : ٧٣ ٠

(١١٦) الحوادث الجامعة : ٣٥٠ ٠

المصادر :

بن عثم . أحمد بن عثمان الكوفي الكندي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)

« كتاب الفتوح » ط١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية)

حيدر آباد ، الدكن ـ الهند ١٣٩٠ ـ ١٣٩٤هـ / ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥م .

ابن الأثير : عزالدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)

« الكامل في التاريخ » ١٣ جزء . بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧م .

الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

« تاريخ الموصل » تحقيق علي حبيبة (القاهرة ١٩٦٧) .

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)

« مقاتل الطالبيين » بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

« فتوح البلدان » نشر صلاح‌الدين المنجد (القاهرة ١٩٥٧) .

« انساب الاشراف » نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد تحت رقم (١٦٣٤ ، ١٦٤٤) ١١ جزء عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (٦٨) .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)

« المنتظم في تاريخ الملوك والامم » الاجزاء ٥ ـ ١٠ (حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩م .

ابن خياط : أبو عمر بن خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
« تاريخ خليفة بن خياط » تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب (النجف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م) .
الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)
« الأخبار الطوال » تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة ١٩٦٠) .
الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ١٩٢٢م)
« تاريخ الرسل والملوك » ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار المعارف (القاهرة ١٩٦٠ – ١٩٦٩م) .
ابن العبري : غريغوريوس الملطي ، أبو الفرج بن هارون ىت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م(
« تاريخ مختصر الدول » المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٥٨م) .
ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
« الامامة والسياسة » تحقيق الدكتور طه محمد الزيني (القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .
ابن كثير : عمادالدين اسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
١٤ جزء ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦ .
المؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)
« اخبار الدولة العباسية » تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور عبدالجبار المطلبي (دار صادر بيروت ١٩٧١م) .
المؤلف مجهول (كان الكتاب منسوبا لابن الفوطي خطأ)
« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » تحقيق

الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١هـ •
مؤلف مجهول :
« العيون والحدائق » تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود ، الجزء الرابع ـ القسم الأول ، مطبعة النعمان ، النجف ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م •
مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)
« كتاب تجارب الامم » جزءان ، نشره هـ•ف آمدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ، مصر ١٣٣٢ ـ ١٣٣٣هـ / ١٩١٤ ـ ١٩١٥م •
الهمداني : رشيدالدين فضل‌الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م)
« جامع التواريخ زجء‌ان ، ترجمة محمد صادق نشأة وجماعته ، ط دار احياء الكتب العربية ١٩٦٠ •
الهمداني : محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)
« تكملة تاريخ الطبري » تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٦١م) •
اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)
« تاريخ اليعقوبي » جزءان (بيروت ١٩٦٠) •
ياقوت : شهاب‌الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ٢٦٦م)
« معجم البلدان » ٥ ج ، دار صادر بيروت ١٩٥٧م •
ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٩م)
« صورة الأرض » جزءان ، تحقيق كريمرز ، لندن ١٩٣٨ / ١٩٣٩ •

المراجـع :

الدوري : الدكتور عبدالعزيز عبدالكريم

« دراسات في العصور العباسية المتأخرة » بغداد ١٩٤٥ .

الساداتي : أحمد محمود

« تأريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم » ط. القاهرة ١٩٥٧ .

فامبري : تاريخ بخارى ، القاهرة ١٩٦٥

العيني : بدرالدين

« العلاقات بين العرب والصين » ط١ مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٠هـ ٩٥٠م .

محفوظ : الدكتور حسين علي

« المتنبي وسعدي » مطبعة الحيدري ، طهران ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

المباكبوري : القاضي ابو المعالي أطهر

« العقد الثمين » المطبعة الحميدية ، بومباي ، الهند ١٩٦٨م .

المعاضيدي : الدكتور عبدالقادر سلمان

« حضارة العراق » ج٦ نشر وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ٩٨٥ .

« واسط في العصر الأموي » بغداد ١٩٧٦ .

« واسط في العصر لعباسي » بغداد ١٩٨٣ .

« المقاومة العربية لحكم البويهيين الفرس في العراق » مجلة دراسات للأجيال ، عدد ٤ ، ٥ السنة الخامسة ١٩٨٣ .

« دور امراء العراق في حركات تحرير المشرق في العصر الأموي »
مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٧ السنة ١٨٩٦ •

« حركات التحرير العربية في السند من ١٥ - ١٣٢هـ / ٦٣٦ -
٧٤٩م » بحث تحت الطبع ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة
المستنصرية •

Gibb:

The Arab Conquest in Central Asia, London 1923.

الوراقة والوراقون في الشرق الاسلامي

عبر العصور الاسلامية(*)

الاستاذ المساعد

الدكتور عبدالحسين مهدي الرحيم

كلية التربية / قسم التاريخ

جامعة بغداد

الوراقة في اللغة ، صنعة الوراق ، ورجل وراق ، وهو الذي يورق ويكتب وحرفته الوراقة • وتنسب الوراقة الى الورق (بفتح الراء) وهو اسم جنس يقع على القليل والكثير ، وبه سمي الرجل الذي يكتب ورّاقاً[1] •

كيف عرف العرب صناعة الورق :

لم تعرف صنعة الوراقة في الدولة العربية الأسلامية قبل ان ينقل العرب صناعة الورق • وكان ذلك الحدث الخطير في تاريخ الحضارة الاسلاميه بعد ان امتدت حركة التحرير والفتوح العربية الى بلاد ما وراء النهر ، وتاخمت بذلك حدود الدولة العربية بلاد الصين • فكانت هذه المتاخمة سببا في الاحتكاك العسكري والسياسي الذي أدى الى الاتصال بينهما ، الأمر الذي تسبب في انتقال صناعة الورق الصيني (الكاغد)[2] الى العرب المسلمين •

ويروي لنا الثعالبي[3] الصورة التي انتقلت بها صناعة الورق من

الصين الى الدولة العربية الأسلامية فيشير الى ان جماعة من الصين اصطحبهم زياد بن صالح الى سمرقند فأتخذوا من صناعة الورق فيها عادة لهم ، ثم صارت هذه الصناعة متجرا لأهل سمرقند يرتفق عليها في الآفاق •

وتشير[٤] دائرة المعارف البريطانيه الى طبيعة دخول العرب للبلاد الصينية مؤكدة ان العرب في وصولهم الى سمرقند من خلال حركة الفتوح والتحرير تعرضوا لهجمات من قبل الصينيين في سنة ٧٥١م اضطر بعدها الوالي في سمرقند للرد على هذا الهجوم وتتبع المعتدين في بلادهم فأصاب منهم عددا من أهلها كانوا السبب في نقل صناعة الورق الى سمرقند ، ومنها الى أطراف الدولة العربية الأخرى •

وتؤكد الروايات على ان هؤلاء العمال الصينيين ممن كانت لهم معرفة بصناعة الورق جلبوا الى سمرقند بعد[٥] معركة (طلاخ) قرب (طلس) ، وان سنة ١٣٤هـ (/ ٧٥١م هي التاريخ المتفق عليه في دخول صناعة الورق الى الدولة العربية •

وينسب ابن النديم[٦] صناعة بعض أنواع الورق في الدولة العربية الى أصل عربي ، غير أنه يضعه في احتمالات متعددة ، فمرة يرى صناعته في العصر الأموي ، وتارة يراها في العصر العباسي ، وثالثة يراها بالخبرة الصينية وهو في أجناس[٧] مختلفة •

ويعتبر انتقال صناعة الورق من بلاد الصين الى الدولة العربية نوعا من الاستجابة الملحة للحاجات الحضارية التي مرت بها دولة العرب المسلمين ، فلم يكن باستطاعة الرق أو القرطاس أو غيرها من مواد الكتابه

والراجح ان صناعة الورق عرفت في العصر العباسي ، بسبب توفر وسائل النهوض والازدهار الحضاري في حقوله المختلفة ، بينما شغلت الدولة العربية في عصرها الأموي بحركة التحرير والفتوح •

في تلك الفترة تلبية حاجات المرحلة الجديدة من مراحل الازدهار الثقافي والعلمي العربي ، اذ لابد ـ والحالة هذه ـ من تيسير مادة للكتابة تتميز بخصائص[٨] تتفوق فيها على غيرها من مواد الكتابة الاخرى وتكـون أكثر ملائمة وفائدة ، وهو ما يتوفر في الورق •

واذا كانت سمرقند قد اشتهرت بصناعة الورق ، بصفتها احدى مراكز التموين المتميزة بأنتاجه في الدولة العربية ، حتى أنها أثرت الى حد بعيد على استعمال القرطاس المصري لأغراض الكتابة والتأليف على الأقل في منطقة الشرق الاسلامي ، فأن زيادة الحاجة للورق في عموم أنحاء الدولة الشرقية والغربية ، جعلت سمرقند لا تستطيع ان تسد هذه الحاجة ، فأصبح نشوء المصانع للورق في جهات مختلفة ضرورة حضارية تستدعيها المرحلة التاريخية • وبناء على ذلك فقد انتشرت صناعة الورق في ظل الدولة العربية في بغداد وبلاد الشام (دمشق ، طرابلس ، حماة ، وطبرية)[١٠] • وفي تهامه ومصر والجزيرة الفراتية (منبج) والمغرب والاندلس ثم الى اوربا وأيران والهند وغـيرها ، وبذلك شاع استعمال الورق وعمت صناعته في عموم الدولة العربية ، ومنها انتقل الى بقاع مختلفة من العالم •

واذا كان القرن الرابع الهجري هو الذي شهد شيوع مصانع الورق في أنحاء الدولة العربية بأعتبار أن هذا القرن يمثل أوج الازدهار الحضاري الاسلامي فأن بغداد حاضرة الدولة شهدت نشوء مصانع الورق فيها منذ عهد[١١] الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) تحاشيا لوسائل التزوير والتحريف التي تلحق بالكتابة بالجود أو غيرها من مواد الكتابة والتي يتعذر حدوثها بالورق ، وان حدثت فأن وسائل اكتشافها أيسر وأسهل •

وفي بغداد تتخصص محلة دار القز[١٢] بصناعة الورق ، وهي من بعض المحلات الصناعية التي استطاعت أن تصمد بوجه الخراب الذي زحف على بغداد بسبب الغزو الأجنبي (البويهي والسلجوقي) لها ، لأن ديمومة

هذه المراكز الصناعية تعتبر من ضرورات الحضارة وحاجات العصر آنذاك ، ولا أدل على ذلك ـ فيما يشاهد ياقوت الحموي ت ٦٢٢هـ ذلك ـ استمرار انتاج الورق في محلة دار القز والمدارس العتابية في محلة العتابيين وكلاهما لا غنى للحضارة عنهما •

ومن الباحثين[١٣] من يستنتج من كثرة المخطوطات العربية التي يعود تاريخ بعضها الى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) على سعة انتشار صناعة الورق العربية ، بل ان العرب عرفوا صناعة الورق قبل ان يعرفها اليونان بعدة قرون •

اذ من الثابت انه لا تتوفر مخطوطات يونانية على الورق قبل منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) •

قيمة الوراقة العلمية والدينية :

احترف الوراقة كثير من أهل العلم والأدب بسبب شيوع استعمال الورق وكثرة المؤلفات وحرص الناس على تناقلها في العصور المتوالية والاماكن المختفة من الدولة العربية • وتشتمل الوراقة على اعمال النسخ والتصحيح والتجليد والتصوير والخط والتذهيب وتزويق الكتب وبيع الورق والأحبار وسائر أدوات الكتابة • فهذه المهمة كانت تقوم في ذلك العصر مقام الطباعة في عصرنا وربما أكثر من ذلك ، اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت اشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه •

وقد حدد الفقهاء عمل النساخ لنيل الثواب بعملهم بألا ينسخوا كتب الضلالات والبدع وان دفع لهم اجراً عاليا ، لأن في ذلك مقايضة للدين بالدنيا • كذلك نُصح الناساخون بألا يكتبوا على عجلة أو يحذفوا أثناء

النسخ رغبة في سرعة الانجاز لنيل الأجر ، لأن ذلك خيانة للعمل •

وقد أشار الفقهاء على الوراقين بتوفير الورق لأهل العلم وعدم توفيره لغير هؤلاء ، فيما نصح المجلد بما نصح به الناسخ والوراق في العمل ، اما التذهيب فلم يقره الفقهاء الا للمصحف الشريف[١٤] •

وقد وصفت مهنة الوراقة بأنها من أجود[١٥] الصنائع لما فيها من الأعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم ، وهو في نظر ابن خلدون من امهات الصنائع الشريفة فيما أشار الى صنوف تلك الصنائع بقوله : « واما الشريفة بالموضع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب » •

وفي موضع آخر يراها ابن خلدون تابعة للكتابة في الوسيلة والغاية فيقول في ذلك : « واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافعه رتب الوجود للمعاني »[١٦] •

ولا شك ان مرحلة الانتقال من الاعتماد على الرقوق في المدونات المختلفة الى استعمال الورق كان بسبب الازدهار النوعي والكمي للحضارة العربية ، اذ ليس بمقدور الرقوق ان تغطي هذه المساحة الواسعة من الانتاج الفكري للعرب المسلمين الذي ابتدأوه بعد منتصف القرن الثاني من الهجرة ثم تصاعد مع مرور السنين ، كما كان لشيوع الرغبة في عموم الدولة العربية في الاستزادة من المعرة واقتناء المؤلفات والكتب اصناف ثقلا جديدا على محدوديه استعمال الرقوق ، وعجزها عن تلبية هذه الحاجة ، فضلا عن صفاتها الأخرى من حيث صعوبة تيسيرها وارتفاع أسعارها وما تنطوي عليه من الصفات الذاتية الاخرى •

لذلك فبعد أن تعرف العرب على صناعة الورق وانتشر استعماله ،

واستوعب الورق ذلك البحر الزاخر من المؤلفات ولانتاجات العلمية والديوانية ، ظهرت مهنة الوراقة تلبية لحاجة المجتمع الى المعرفة والعلوم .

وقد لعب الوراقون دورا مهماً في تاريخ الحضارة العربية ، ذلك أنهم كانوا الناشرين للكتب والمصدرين لها في مفهومنا الحاضر .

وتشير المصادر التاريخية الى أن الخليفة الرشيد(١٧) هو الذي أشار على ديوان دولته بأستعمال الورق بدل الرقوق في الكتابة والتدوين تحاشيا من التزوير واستيعابا لغزارة المعرفة والانتاج العلمي وغيرها من الأسباب التي اشرنا اليها .

ويعتبر القرن الرابع الهجري عصر الازدهار للوراقة بسبب كثرة ما نقل وانتسخ فيه من الكتب والمؤلفات ، على أن جودة النسخ والتصحيح والعناية بهما يدل على مبلغ رقي هذه الصناعة في ذلك العصر .

ومن الجدير ذكره ان بغداد عاصمة الخلافة العباسية قد برعت بصناعة الورق حتى كان الورق(١٨) البغدادي أعلى الأجناس في مواصفاته وتخصصاته ، الأمر الذي يشير الى رواج مهنة الوراقة وشيوعها في بغداد .

حوانيت الوراقين :

ظهرت حوانيت الوراقين في مطلع العصر العباسي ، واشتغل بالوراقة علماء لامعون ، اذ أصبحت الوراقة مهنة نافعة آنذاك حيث انتشرت دكاكين الوراقين في بغداد منذ ان عرفت صناعة الورق فيها . ولما ازدادت حركة التأليف وتصنيف الكتب والأسفار أصبحت الحاجة الى عمل الوراقين ملحة حتى تخصص(١٩) بعض الوراقين بالنسخ عند بعض أهل العلم دون غيرهم .

وقد تحولت دكاكين الوراقين الى مراكز للثقافة وملتقى للعلماء

والأدباء وأهل المعرفة ، حيث كانت تدور المناقشات والمناظرات بينهم مما يجعل هذه اللقاءات منتديات أدبية ومجاميع علمية ، أسهمت الى حد بعيد بالازدهار الثقافي والعلمي العربي .

فقد أشارت المراجع التاريخية الى ان الجاحظ ، كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر »[٢٠] ، بينما نقل عن ابي نصر الزجاج قوله : « كنت جالسا مع أبي الفرج الاصفهاني في دكان في سوق الوراقين ، وكان أبو الحسين علي بن يوسف البقال الشاعر جالسا عند أبي الفتح ابن الحراز الوراق وهو ينشد أبيات ابراهيم ابن العباس الصولي التي يقول فيها :

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها
فكانت قـذى عينيـه حتى تجلت

فلما بلغ اليه استحسنه وكرره ورآه أبو الفرج فقال لي : قم اليه فقل له : قد أسرفت في استحسان هذا البيت وهو كذاك فأين موضع الصنعة فيه ؟ فقلت له ذاك ، فقال قوله « وكانت قذى عينيه » ، فعدت اليه وعرفته . فقال : عد اليه فقل له اخطأت ، الصنعة في قوله « من حيث يخفى مكانها »[٢١] .

ونحن نقول أليس فيما روي عن الجاحظ وتأجيره لحوانيت الوراقين للتتبع والدراسة وما حكي عن مجلس النظـر في البلاغة العربية بين أبي الفرج الاصفهاني وجسائه في حانوت الوراق (ابن الحراز) ما يدلل على الدور العلمي لهـذه الحوانيت ويجعلها بمصـاف مراكز الثقافة العربيـة الأخرى كمجالس الامالي ودور العلم والمكتبات والمدارس بعدئذ وغيرها مما لا مجال لتفصيله .

وتشير الاحصاءات الى ان عدد حوانيت الوراقين في الجانب الشرقي من بغداد خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فتجعلها أكثر من مائة حانوت[٢٢] ، بل أن أسواقا تخصصت في ذلك لما

عرف عن تفرد[٢٣] أسواق بغداد بالمهن المتناظرة والتجارات المتخصصة .

ولم يقتصر وجود حوانيت الوراقين ونشاطهم على الجانب الشرقي من بغداد في رهن[٢٤] وجناح بل كان طاق[٢٥] الحراني في الجانب الغربي من بغداد مكانا آخر لبيع[٢٦] الكتب وتجارتها .

ويرى بعض[٢٧] الدارسين ان كثيرا من هذه الحوانيت كانت دكاكين صغيرة قرب المساجد ، ولكن بعضها دون شك كانت من السعة بحيث تعرض فيها الكتب ويلتقي فيها أهل العلم والأدب حتى عرف من بينهم أشهر الادباء والعماء الذين تميزوا بالمكانة العلمية والمقام البارز .

أما باعة الكتب فقد كان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين الذين جعلوا من حوانيتهم لا مخازن كتب فحسب ، بل مراكز بحث ونظر .

على ان هذا العدد من الحوانيت الوراقين يشير من جانب آخر الى الدور المهم الذي نهضت به في النشاط العلمي ونشر المعرفة وتوسيعها .

واذا كان المؤلفون قد استعانوا بالوراقين لنشر مؤلفاتهم ومعارفهم ، فأن دور الكتب العامة والخاصة كانت هي الأخرى لا تستغني عن جهود الوراقين ، بل كان هؤلاء جزء مهم من هيكل تلك الدور التنظيمي والعلمي ، كما هو حالهم في بيت[٢٨] الحكمة في بغداد .

من أشهر الوراقين :

يرجح أن يكون لقب « الوراق » قد عرف منذ عصر الرشيد أي منذ استعمال الورق في الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة ، اذ أطلق هذا اللقب على عدد من الشخصيات الأدبية والعلمية المشهورة ، وحيث ان ذكر

بعض الأسماء المعروفة يلقي الضوء على مكانة الوراقة وقيمتها العلمية ندرج في أدناه قائمة بأسماء بعض الوراقين .

١ ـ أبو الحسن علي عن المغيرة الاثرم ٢٩هـ ـ ت٢٣٢

من الممكن ان يكون الأثرم من أقدم الأسماء التي لمعت في عالم الوراقة ، بسبب شهرته بالنسخ المتقن اد كان يلقى العلماء والأدباء ليضبط ما ينسخه من كتبهم .

وقد مارس الأثرم مهنة الوراقة مند عصر الرشيد يوم استقدمه الكاتب اسماعيل بن صبيح بمعيه أبي عبيدة (معمر بن المثنى التيمي) وجعله في دار من دوره ، ودفع اليه كتب أبي عبيدة لينسخها . وكان يساعده في النسخ جماعة من النساخين منهم ابو مسحل عبدالوهاب ، وهو يزودهم بمستلزمات النسخ ، ويسألهم السرعة في الانجز بعد ان يتفق معهم على موعده .

ومن الجدير ذكره ان الأثرم قرأ على أبي عبيدة ، وكان الأخير من أحنن الناس بكتبه ، ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك .

٢ ـ علان الشعوبي :

وهو ذو أصل فارسي ، عرف بدمامة خلقته وميوله الشعوبية وبحقده على العرب ، فيما اشتهر به في هذا الخصوص بتأليف كتابه « الميدان في المثالب » .

قال ياقوت الحموي : « ذكر محمد بن أبي الأزهر كان في جوارنا بباب الشام فتى يعرف « بالفيرزان » وكان يورق في دكان علان الشعوبي واورد خبراً دل به على أن علانا كان وراقا له وكان يبيع فيه الكتب

وينسخ »[٣٠] .

والظاهر ان علاناً لم يكن وراقاً ينسخ الكتب فحسب وانما كان له مكتب لوراقة بمحلة باب الشام في بغداد يشتغل عنده بعض الوراقين منهم « الفيرزان » وهو ـ فيما يبدو ـ فارسي أيضا ، فضلا من أن حانوته كان لحلا لبيع الكتب ، وهذا يدلل على ان بيع الكتب والوراقة مهنتان متلازمتان .

ومن الجدير بالذكر ان الشعوبيين اتخذوا من مهنة الوراقة وهي حرفة خطيرة طريقا لهم للنيل من العرب والتقليل من شأنهم الحضاري ، ولاشك أن علانا هذا كان نموذجا لأولئك الشعوبيين في منهجهم الحاقد في الدس والانتحال .

٣ ـ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ت ٢٨٠هـ

وهو ممن ولد في بغداد سنة ٢٠٤هـ ومن أبناء خراسان ، عرف عنه مؤدباً للكتاب عاميا ثم تخصص في الوراقة وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي من بغداد . اشتهر بتصنيف الكتب وقول الشعر ، ومع ذلك فقد وصف بالتصحيف واللحن والسرقة وغيرها من مساوىء الوراقة ، وهي أمور تقلل من شأنه وتضعف الثقة في منقولاته ومؤلفاته التي اشار اليها ابن النديم صاحب الفهرست .

٤ ـ مجلدو بيت الحكمة في بغداد

لما كان التجليد للكتب من اعمال الوراقة وان بيت الحكمة في بغداد دار علم وترجمة وتأليف ، يشتمل على هيئة واسعة من المتخصصين في هذه « كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون » ، وكذلك شفة المقراض العجيفي ، أبو عيسى بن شيران ، دميانة الاعسر ابن الحجام ، ابراهيم وابنه محمد

ـ ولم يشر الى نسب ابراهيم هذا ـ والحسين بن الصفار وغيرهم • ولاشك ان هـذه المجموعة من المجلدين تدال على سـعة وكثرة الانتاج العلمي وتنوعه الذي كان يصدر عن بيت الحكمة في بغداد ، كما يشير من جانب آخـر الى تخصص بعض الأسر في حرفـة التجليد حتى اورثها الآباء الى الابنـاء •

٥ ـ وراقو المبرد :

أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي المعروف بالمبرد ت٢٨٥هـ علم من أعلام اللغة والبلاغة والاخبار والنوادر ، وله من المؤلفات والمصنفات ما استوجب ان يلتحق بخدمته عدد من الوراقين ليكونوا الواسطة في نشر علومه بين الناس من خلال استنساخ تلك المؤلفات والمصنفات •

ومن الوراقين الذين التحقوا بخدمتـه ابن الزجاجي اسماعيـل بن أحمد والساسي ابراهيم بن محمد ، وقد ذكر انهما قد تخصصا بوراقـة المبرد(٣٠) •

٦ ـ ابو زكريا يحيى بن عدي بن زكريا المنطقي ت٣٦٤هـ/٩٧٤م :

نسبت اليه رئاسة أهل المنطق في زمانه ، وهو ممن وصف بالصبر في ملازمة النسـخ حتى نسخ بيـده الكثير من المؤلفات والمصنفات المتنوعة ، وبالخصوص من كتب المتكلمين ، بل قال عن نفسه أنه يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة أو أقل من ذلك •

وابو زكـريا هـذا كان محط انظـار معارفه بسبب شغفه بالوراقة والنسخ ، وانشغاله عهم ، ولما عاتبه حدهم لكثرة انقطاعه عنهم ، أجـابه انـه بسبب خبرة هـذا نسخ نسختين من تفسير الطبري للقرآن الكريم ،

وحملهما الى ملوك الأطراف • وهنا يعني أن انتاجه بالنسخ والوراقة لم يقتصر على بغداد ، بل كان يمتد الى أطراف الدولة العربية • ولا ندري هل حبه للعلم ونشره كان يدفعه الى ذلك ام رغبته في الحصول على المال والرزق كانت هي سبب ذلك ، وهل ان معاتبة معارفه على ملازمته للنسخ كانت بدافع الحسد له أم حرصا منهم على لقائه والاجتماع به للافادة منه[٣١] •

٧ ـ ابو الفرج محمد بن اسحاق النديم ت ٣٨٥هـ :

وهو مصنف كتاب « الفهرست » المشهور الذي دل فيه على سعة اطلاعه في مختلف العلوم والفنون وتحققه من أنواع المصنفات • قال ياقوت الحموي عنه : « كان وراقا يبيع الكتب »[٣٢] • ولعل الراجح في سعة اطلاعه وتحققه من الكتب والمؤلفات يعود الى امتهانه الوراقة والكتابة ، ومن الجدير ذكره ان عصره يحتل أبهى عصور الوراقة ، وأن جودة ودقة الكتب التي نقلت في عصره يدل على مبلغ رقي هذه الصناعة[٣٣] •

أما الكتابة فكانت حرفة تتطلب المعرفة بفنون متنوعة من العلوم والمعارف واطلاع واسع فيهما ، فهاتان الصناعتان (الكتابة والوراقة) مكنت ابن النديم من العلم الواسع في معظم ما ألف باللغة العربية من مختلف حقول المعرفة •

ويرى بعض الباحثين[٣٤] ان ابن النديم كان أمينا لمكتبة ما في بغداد ، بل من الممكن ان يكون كتابه « الفهرست » في الأصل فهرسا لتلك المكتبة • ونحن نستبعد ما ذهب اليه صاحب هذا الرأي ، اذ ليس من المعقول ان يكون أديبا وعالما مثل ابن النديم أمينا لمكتبة ما في بغداد ويجهل اسمها ومكانها سواء كانت من المكتبات العامة أو الخاصة ، خصوصاً وان لها فهرسا بمحتويات فهرست ابن النديم •

٨ ـ ابو الحسن علي بن أحمد الدريدي :

ينتسب أبو الحسن هذا الى ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى في بغداد سنة ٣٢١هـ) وهو صاحب كتاب « الجمهرة في علم اللغة » وغيره من المؤلفات ، وان السبب في هذا الانتساب يعود الى تخصصه بخدمته وتفرده بالوراقة له ، بل لقد درت كتبه بعد موته •

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان هـذا النوع من التخصص بالوراقة لأعلام الادباء والعلماء تقتضيه حالة خاصة قد تعود بشكل أو بآخر الى الثقة المتبادل والمصالح المتوازنة بين ذلك الاديب والعالم ووراقة المتخصص بخدمته(٣٥) •

٩ ـ ابن كوجك علي بن الحسين بن علي العيسي الوراق :

وهو من عائلة عرفت بالأدب والشعر والحديث ، ولهذا فامتهانه الكتب والاثار العلمية الشيء الكثير كتب منها مؤلفه لا اعز المطالب الى اعلى للوراقة(٣٦) ذو صلة بنشأته • وكانت له من المراتب في الزهد » للشابشتي صاحب كتاب « الديارات » •

والظاهر ان عائلة ابن كوجك كثيرة الرحلة في طلب العلم ، في أرجاء الدولة العربية ، منها ما ذكر عن تحديث أبيه في طرابلس وسماع ولده علي للحديث في مصر والشام والساحل ووفاته هـو بعـد سنة ٣٩٤هـ في مصـر •

١٠ـ ابن الخاضبة ابو بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي الدقاق :

وهو من الحفاظ الذين اشتهروا بالقراءة الصحيحة والنقل المستقيم ، ذو ورع وتدين ، سمع الحديث في العراق والشام والحجاز • وتشير

المصادر الى انه امتهن الوراقة بعد ان فقد داره وكتبه وامتعته على أثر غرق بغداد سنة ٤٦٦هـ ، فوجد في هذه المهنة ما يكفل اعالة اسرته المكونة من والدته وزوجته وابنته •

غير أن ابن الخاضبة لم يكن سعيدا بوراقته بسبب ما يبذله من جهد وعناء وصبر فقد ذكر انه نسخ صحيح مسلم في السنة التي فقد فيها داره ومتاعه سبع مرات ربما بسبب حاجته ، بيد أنه لم يخف جزعه من الوراقة فيما قص من رؤياه ذات ليلة انه دخل الجنة فاستلقى على قفاه ، ووضع احدى رجليه عى الأخرى ، قال : آه استرحت والله من النسخ •

ولا شك ان الدقة والمهارة والضبط والامانة التي تحتاجها الوراقة مع صيق مواردها كانت من أسباب هذا الجزع لدى ابن الخاضبة •

١١ـ دلالو الكتب :

لبيع الكتب علاقة وثيقة بالوراقة ، ذلك ان من يمتهن دلالة الكتب غالبا ما يكون من أهل الأدب والعلم ومن ذوي الاطلاع الواسع بجهود الوراقين والمؤلفين وانتاجاتهم العلمية •

ولنا في الأمثلة التالية خير شاهد على ما نقول •

دلال من بغداد :

الحظيري أبو المعالي سعدي علي بن القاسم الانصاري البغدادي ت ٥٦٨هـ ، اشتهر بدلالة الكتب وهو من أهل الادب والشعر وله في ذلك مصنفات عدة ، وذو اطلاع واسع على أشعار الناس وأحوالهم • وينسب الى موضع الحظيرة قرب بغداد التي اشتهرت بالثياب الحظيرية •

دلال من مصر :

ابن صورة[٣٢] ابو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الانصاري ت ٦٠٧هـ • اشتهر هذا السمسار ، بأنه كان يجلس في داره في يومي الاحد والاربعاء من كل اسبوع ، فيجتمع عنده أهل العلم والأدب فيعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده حتى ينقضي وقت السوق ، وكأنه يقيم معرضا للكتاب ؤيما نعرفه اليوم •

دلال من بخاري :

باع أحد الدلالين للكتب كتابا للعالم الفيلسوف ابن سينا ومضمونه في شرح كتاب « ما بعد الطبيعة لارسطو » وهو من مؤلفات الفيلسوف أبي نصر الفارابي بسعر زهيد لا يتجاوز ثلاثة دراهم ، ومن الغريب ان يكون هذا الحدث نقطة التحول في استلهام[٣٨] ابن سينا لكتاب ارسطو بعد ان اعياه ادراكه وفهمه بالرغم من اعادة قراته أربعين مرة • أليس هذا بسبب دلال الكتب الذي اعان ابن سينا في مهمته وأخذه بيده لما فيه الخير والصلاح •

١٢ـ أبو حاتم الوراق :

وهو من قرية كشم من رستاق نيسابور ، وقد امتهن الوراقة[٣٩] فيها خمسين سنة ، ولم يعرف عنه عدا ذمة لمهنته بسبب فقره وحاجته فقال فيها :

ان الوراقــة حــرفة مذمومة —
محــرومة عيشــي بهــا زمـن
ان عشت عشت وليس لي أكل
أو مت مت وليس لـي كفـن

وليس لدينا ما يشير الى رصديه بالوراقة من حيث كمية انتاجه من جهة أو دقته فيما يستنسخ من جهة أخرى •

١٣ـ سندي بن علي :

وهو من الوراقين الذين اختصوا بخدمة اسحاق الموصلي ، وكان له دكان للوراقة في طاق الزبل • وقد اتهم هـذا الوراق بانتحال نسبة كتاب « الاغاني الكبير » لاسحاق الموصلي ، بينما تشير بعض الروايات عن حماد بن اسحاق نفيه ان يكون أبوه قد ألف هذا الكتاب ، لأسباب كثيرة ، منها ان ما ورد من أشعاره وأخباره هي مما يعود الى فترة متأخرة عن أبيه ، وان أكثر ما نسب للمغنين من الشعر ليس صحيحا ، وتؤكد هذه الروايه على ان اسحاق لم يكتب غـير المقدمة للكتاب وما بقي هو من انتحال هـذا الوراق(٤٠) •

١٤ـ الكرماني أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن موسى :

اشتهر الكرماني بتضلعه في اللغة والنحو ، وكان ذو خط مليح ونقل صحيح ، مما جعله مرغوبا في نسخه عند الناس مؤهلا لهنة الوراقة التي اتخذها وسيلة للرزق والكسب ، وفضلا عن ذلك فله عدة مؤلفات في اللغة والنحـو •

١٥ـ التستري ابن علي الوراق :

عرف بامتهانه الوراقة ، وان كان ذو خط رديء ، مما يفقده أهـم الركائز الاساسية للوراقة • ويؤكد ان النديم مهنة الوراقة له ، باطلاعه على فهرس كتاب « الالقاب » لمحمد بن حبيب السكري بخط التستري عند أبي القاسم بن أبي الخطاب في الفرات •

١٦ـ الملقبون بالوراق(٤١) :

هناك بعض الأسماء تحوز على لقب « الوراق » لكننا لم نتبين جهدها بالوراقة ، ولعل الأصل في اللقب انه يعود الى امتهان ذات الشخص لصنعة الوراقة ، أو انه كتسب هذا اللقب من عائلته التي مارست هذه المهنة في عصر من العصور السابقة له .

ومن هؤلاء :

عبيدالله بن أبي سعيد الوراق ، الذي عرف عنه بأنه كان اخباريا نسابة يروي الشعر ، وله عدة مؤلفات بفنون مختلفة .

أبو اسحاق ابراهيم بن صالح الوراق ، وهو أيضا ممن اشتهر بالادب والشعر .

علي بن محمد الوراق ، وهو أحد الرواة عن الجاحظ ومحمود الوراق الذي اشتهر بشعر الحكم .

١٧ـ أبو يحيى زكريا بن يحيى :

وهو من وراقي الجاحظ فيما ذكر ابن النديم ، انه رأى كتاب « النساء » وكتاب « النعل » وهما للجاحظ بخط هذا الوراق . ولا ندري هل كان امتهانه للوراقة عند الجاحظ من أجل الكسب والرزق أم زيادة في المعرفة ام كلاهما .

١٨ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي دجانة المصري الكاتب الوراق :

وصف هذا الوراق بجودة الخط ، وان أخذ عليه قلة السقط في النسخ . وهو من أهل مصر الذين اقاموا في بغداد للوراقة والكتابة ، ذكر

عنه انه كان حياً في سنة ٣٨٤هـ .

١٩ـ ابو الفتح ابن الحراز :

كان صاحب دكان في سوق الوراقين في بغداد يجتمع عنده أهل العلم والأدب للمناظرة ، فيما اسرنا لصورة منها في مناسبة سابقة(٤٢) .

٢ـ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار :

روي عن ياقوت الحموي انه بعد أن أتم قراءة النحو واللغة العربية ، اشتغل بالنسخ والوراقة حتى تحققت له فوائد جمة في سعة الاطلاع على المعارف والفنون المختلفة ثم مارس مهنة التجارة في الكتب وارتياد المكتبات العلمية للانتهال من خزائنها مما يسر له قدرات الاديب البارع والمؤلف المبدع .

ولعل انتساب ياقوت الى الوراقين جعله يتتبع تراجمهم في سفره الخالد « معجم الادباء » بمعية أهل العلم والأدب والفن من مختلف الاختصاصات . توفي ياقوت في حلب سنة ٦٢٦هـ(٤٣) .

مخاطر الوراقة ومساؤها :

مع ان مهنة لوراقة كانت من أنجع وسائل نشر المعرفة ، قبل أن تعرف غيرها من الوسائل ، فأن لها مخاطرها الخاصة ، كالرواية الكاذبة وتزوير الحقائق والدس فيها والتصحيف والوهم والانتحال وغير ذلك من الأخطاء المقصودة والعفوية .

وفيما يلي صورة لبعض هذه المخاطر .

١ ـ الانتحال :

يلجأ بعض الوراقين الى انتحال أسماء المؤلفين المشهورين لما ينسخون، بغية تحقيق الكسب واالنفع ، دون الاهتمام بمـا يسبب ذلك من المساوىء العلمية والاجتماعية .

ومن الأمثلة على ذلك ما أشرنا اليه في كلامنا عن « سندي بن علي الوراق » وما قيل من انتحال اسم اسحاق الموصلي لمؤلفه « الاغاني الكبير » ومثل ذلك كثير .

٢ ـ الغش في المعاملة :

عُرف عن أبي محمد عبدالله بن أحمـد بن الخشاب المتوفى سـنة ٥٦٧هـ عمه الواسع بالنحو والحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسـفة والحساب والهندسة والفرائض وغيرها من المعارف ، وكان ذو حظ مليح وجمع من الكتب الشيء الكثير ، وقرأ عليه الناس وانتفعوا بعلمه .

ومع ذلك فهو « اذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال : انه مقطوع ليأخذه بثمن بخس ، واذا استعار من أحد كتابا وطالبه به قال : دخل بين الكتب فلا أقدر عليه »(٤٤) .

فلعل سلوك ابن الخشاب هذا يشير الى حالة غريبة أو متعارف عليها في سوق الوراقين . والغريب في أمر ابن الخشاب ، انه وقف كتبه على أهل العلم بعد وفاته .

٣ ـ الاحتكار في السعر :

عرف الوراقون حاجة الناس لكتب الفراء ت ٨٢٢م ـ ٢٠٧هـ بسبب

براعته في اللغة والنحو وتشوقهم لكتابيه « المشكل » و « المعاني » حتى كانوا يشترونهما من الوراقين « كل خمس أوراق بدرهم » ، فشكى الناس ذلك الى الفراء ، فجلس يملي كتاب « المعاني » أتم شرحا وأبسط قولا من الذي املي من قبل ، فنسخه الوراقون « كل عشر أوراق بدرهم »[٤٥] .

وبهذه الطريقة تخلص الناس من احتكار الوراقين واستغلالهم لحاجة الناس العلمية .

٤ ـ الخط الرديء :

لعل حسن الخط وجماله من أبرز صفات الوراق الناجح ، الا أن بعض الوراقين ، لم يكن ممن يحسن الخط ، بل وصف خطه بالرداءة ، وهذه صفة مذمومة في الكتابة والنسخ لما يترتب عليها من مخاطر التصحيف والوهم وصعوبة القراءة ، والوراق التسري الذي نبنا عليه من هذا النوع .

٥ ـ التصحيف والخيانة :

الدقة في النسخ وضبط المنسوخ من صفات الوراق الأمين ، ومن هنا نصح الفقهاء النساخ بالأمانة بالنسخ .

غير ان بعض الوراقين اشتهر عنهم التصحيف والوهم ، وتلك علامة خطيرة تقلل ثقة أهل العلم بما ينقله وينسخه ذلك الوراق .

ولنا فيما أشار ابن النديم بوصفه لطيغور بكثرة التصحيف واللحن دليل في ذلك وقد قيل، ان من آفات العلم خيانة[٤٦] الوراقين ، وكان العلماء الذين يحصون على سلامة العلم ينسخون كتبهم بأنفسهم ان استطاعوا .

كما يترتب على الوراق الذي يرغب في استنساخ كتاب ما لأي سبب

كان ان ينال موافقة مؤلفه ليكون شرعيا بعمله ، وان سلوكا يخالف ذلك يعتبر مخلا في شرعية الوراقة وخيانة للمهنة ، ولعل اذن النشر في عصرنا الحاضر صورة لتلك الحالة .

٦ ـ **الفقر وضيق الموارد :**

لم تكن الوراقة مهنة مربحة كغيرها من المهن التي تدر ربحاً وفيراً . فقد ذكر ان اجرة[٤٧] نسخ المصحف الشريف ديناران ونسخ الكتاب دينارا واحد وان أعلى أجور الوراقة في خزانة الوزير ابن حنزاية لم تتجاوز المائة دينار .

وعليه فأن امتهان الوراقة لم يكن بالضرورة بدافع النفع المادي بقدر ما هي حاجة ملحة من جهة أو أنها بدافع الرغبة في الاستزادة من العلم والاطلاع على المعارف .

ولهذا فقد أعرب بعض الوراقين عن ضيق موارده في الوراقة بينما أشار البعض الآخر عن معاناته وآلامه من متاعب الوراقة ، وكان ذلك في أوضح صورة لدى ابي حاتم الوراق وابن الخاضبة كما أشرنا آنفا .

غير اننا وان أشرنا الى بعض عيوب ومخاطر الوراقة والوراقين ، الا أنها كانت الوسيلة المهمة لنشر المعارف والعلوم بين أطراف الدولة العربية المختلفة .

كما ان العالم اذا لم يكن فقيها صاحب منصب اداري ، ولم يجد ما يعيش منه اشتغل بنسخ الكتب والوراقة ، وهذا مما يرفع من شأنها وقيمتها العلمية والثقافية اه.

ولاشك ان الصبر والدقة في النسخ هما أهم مميزات من يمتهن

الوراقة ، وفيما استعرضنا من الوراقين من توفرت به صفة الصبر ، منها مزاولة ابي حاتم الوراق لهذه المهنة خمسين عاما مع ضيق حاله وفقره ، ونسخ ابن الخاضبة لصحيح مسلم سبع مرات في السنة ، أو نسخ أبي زكريا الوراق لنسختين من تفسير الطبري ، كلها أمثلة تنم عن تمتع أصحابها بصفة الصبر .

أما الدقة في النسخ فهي مهمة أخرى يحرص عليها الوراقون وأهل العلم جميعا ، فقد بلغ الحرص في هذا الجانب بأحد العراقيين ممن اشتهر بجمع الكتب واقتنائها في خزانة اكتنز فيها القديم من المخطوطات من الجلود والصكاك والقرطاس المصري وأنواع الورق الصيني والتهامي والخراساني، انه كان على كل مدرج توقيع الكاتب ونحته شهادات خمسة أو ستة أجيال من العلماء(٤٨) .

المصادر والمراجع

(*) البحث لا يعنى بالكلام عن الورق وصناعته ، ولا بمواد الكتابة وأدواتها ، بل ينصب على صنعة الوراقة والوراقين .

(١) الفراهيدي : العين مادة ورق ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، مطابع كويت تايمز ، وزارة الثقافة والاعلام . دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ . الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس مادة ورق ط١ المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ . القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ٤٨٧/٢ ، مطابع كوستاتوماس .

(2) Encyclopeadia of Islam. 2, (Kaghad), Leiden, E. J. Brill, 1965.

الدكتور فيليب حتي وآخرون : تاريخ العرب الطول ٥٠٣/٢ ، ط٢ دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٥٣ .
ويفسر الكاغد بمعنى القرطاس والصحيفة وهو معرب ويتخذ من بردي يكون بمصر . انظر صبح الاعشى ٤٨٥/٢ ، تاج العروس مادة كاغد ومادة قرطس . حسن حسني عبدالوهاب : البردي والرق والكاغد في افريقيا ص٤٥ ، مجلة معهد المخطوطات العربية مج٢ ج١ مطبعة مصر ١٣٧٥/١٩٥٦هـ .

(٣) الثعالبي : لطائف المعارف ص٢١٨ ، تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ١٣٧٩/١٩٦٠ و
جروليبه : تاريخ الكتاب ص٢٦ ترجمة د. خليل صابات ومراجعة حسن حسن محمود مكتبة نهضة مصر .

(4) Encyclopadia Britanica, 14. (Paper), London, 1929.

(5) I. E. 2, (Kaghad).

(٦) ابن النديم : الفهرست ص٣٨ ، مطبعة الاستقامة القاهرة .

(٧) الفهرست ص٣٧ .

(٨) لطائف المعارف ص٢١٨ ٠
(٩) ن٠م ص١١٦ ، ٢١٨ ٠
(١٠) تاريخ العرب المطول ٢/٥٠٣ ٠

(10) E. I. 2, (Kaghad).

البردي والرق والكاغد ص٤٥ ، الدكتور محمد طه الحاجري : الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية : ص١٣٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي مج١٢ مطبعة المجمع ١٣٨٤/١٩٦٥ ٠

(١١) ابن خلدون : المقدمة ص٤٢١ ـ ٤٢٢ ، دار القلم ط١ بيروت ١٩٧٨ ، صبح الاعشى ٢/٤٨٦ ٠

E. I. 2, (Kaghad).

(١٢) مجلة دار القز : « مجلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ ، وكل ما حولها قد ضرب ولم يبق الا أربع محال متصلة دار القز والعتابيين والنصرية وشهارسوك والباقي تلول قائمة، فيها يعمل اليوم الكاغد » ٠ ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/٤٢٢ ، دار صادر بيروت ٠

(13) E. B. 14, (Paper).

(١٤) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ص١٣١ ـ ١٣٣ ، حققه محمد على النجار وجماعته ، ط١ دار الكتاب العربي مصر ١٣٦٧/١٩٤٨ ، الدكتور حسن الباشا : الفنون الاسلامية ولظائف على الاثار العربية : ٣/١٠٢٣ ، ١٠٢٥ ، ٧٢ـ١ ، ١١٧٧ ، ١٣٢١ ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ ، عبدالله عبدالرحيم السوداني : التجليد عند المسلمين ص١ ، بغداد ١٧٥ كراسة مطبوعة بالآلة الكاتبة ٠

(١٥) معيد النعم ص١٣١ ، المقدمة ص٤٢١ ، مقدمة كتاب الفهرست ص٤ ٠
(١٦) المقدمة ص٤٠٥ـ٤٠٦ ٠
(١٧) صبح الاعشى ٢/٤٨٦

E. I. 2, (Kaghad).

وترى مصادر أخرى ان الذي أشار باستعمال الورق هو من رجال دولته ولاشك ان ذلك بتوجيه منه ، المقدمة ص٤٢٢ ، والمقريزي : الخطط ١/١٦٣ ، مطبعة الساحل الجنوبي لبنان ٠

(١٨) صبح الاعشى ٢/٤٨٧ ٠
(١٩) الفهرست : ٩٥ ، ١٠٥ ، ياقوت الحموي ومعجم الادباء ٧/١٧٦ ، ١٢/١٩٢ ، بأشراف الدكتور أحمد الرفاعي ، دار احياء التراث ، بيروت ٠
(٢٠) الفهرست ص١٧٥ ٠
(٢١) معجم الادباء ١٣/١١٢ ، الدكتور أحمد سلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص٤٣ ، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع مصر ١٩٥٤، الدكتور محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ص٨٠ ، ط٣ ٠ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١/١٩٨١ ٠
(٢٢) اليعقوبي : البلدان ص٢٤٥ ، ليدن بدل ١٨٩٢ ٠
(٢٣) البلدان ص٢٤٦ ٠
(٢٤) وبقى وضاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح ، انظر معجم البلدان ٤/٣٦٤ ٠
(٢٥) طاق الحراني : محلة ببغداد بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٤/٥ ٠
(٢٦) الفهرست ص٢٢٠ـ٢٢١ ٠
(٢٧) تاريخ العرب المطول : ٢/٥٠٢ ٠
(٢٨) الفهرست ص٢٠ ، ١٦٠ ٠
(٢٩) معجم الادباء ١٥/٧٧ـ٧٨ ٠
(٣٠) عن طيفور ومجلدي بيت الحكمة ووراقي المبرد يراجع الفهرست ص٢١٥ ، ٢٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ٠
(٣١) القفطي : تاريخ الحكماء ص٣٦١ ، تحقيق ليبرت ، لايبزك ١٩٠٣ ٠
(٣٢) معجم الادباء ٨/١٧ ٠
(٣٣) مقدمة كتاب الفهرست ص٤ـ٥ ٠
(٣٤) تاريخ العرب المطول ٢/٥٠٢ ٠
(٣٥) الفهرست ص٩٧ ، معجم الادباء ١٢/٢٢٣ ٠
(٣٦) معجم الادباء ١٣/١٥٧ ، ١٧/٢٢٧ـ٢٢٨ ، ١١/١٩٤ ٠
(٣٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/١٩٧ ، ٢/٣٦٨ ، بتحقيق د٠ احسان عباس مطبعة الغريب بيروت ١٩٧٢ ٠
(٣٨) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص٣٢٦ـ٣٢٧ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ٠

(٣٩) الثعالبي : يتيمة الدهر ٤٠٣/٤ ط١ مطبعة الصاوي مصر ١٣٥٢/ ١٩٣٤ ٠

(٤٠) الفهرست ص٢٠٩ ، ١٢٤ ، ١٦١ ٠

(٤١) معجم الادباء ١٦٢/١ ، ٧٧/١٦ ٠
المبرد محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والادب ٥٣٤/١ ـ ٢٣٥ ، مؤسسة المعارف بيروت (١٤٠٥/١٩٨٥) ٠

(٤٢) معجم الادباء ١٠٦/١٦ ، ٢٢٣/٢ ، ١١٢/١٣ ٠

(٤٣) زيادة في الاطلاع يراجع وفيات الاعيان ١٢٧/٦ـ١٣٩ ٠

(٤٤) معجم الادباء ٥١/١٢ ٠

(٤٥) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ١٩٩/٢ ـ ٢٠٠ ، نقله الى العربية د٠ عبدالحليم النجار دار المعارف مصر ١٩٦١ ٠

(٤٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٤٣/١ ترجمة أبو ريدة ط٤ بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧ ٠

(٤٧) احسن التقاسيم ص١٠٠ ، معجم الادباء ١٧٦/٧ ، تاريخ التربية الاسلامية ص٤٢ ٠

(٤٨) الحضارة الاسلامية ٣٤٢/١ ، تاريخ العرب المطول ٥٠٢/٢ ٠

عبدالحميد بن باديس

ودوره في الحركة الوطنية في الجزائر

الاستاذ الدكتور نزار الحديثي

عميد معهد الدراسات القومية والاشتراكية

رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين

المقــدمة :

تكتسب دراسة المفكرين العرب والمسلمين أهمية خاصة في المرحلة الراهنة في محاولة لاستيعاب المفكرين الذين لعبوا دورا في تطوير وانضاج مواقف فكرية أسهمت في انضاج موقف فكري عــام ، فعـدا عن كشــفها لأدوارهم وطبيعة الاتجاهات الفكرية في المرحلة التأريخية فهي أيضا جزء من منهجية لابد منها لمن يسعى لتكوين نظرة شمولية للاتجاهات الفكرية في الوطن العــربي • وبالتالي الاجابة عــن التساؤل المهم أي فكــر نعني بدراستنا ؟

ويحتل عبدالحميد بن باديس موقعه بجدارة في قائمة المفكرين الذين يجب ان تتم دراستهم لاعتبارات عديدة ، فهو يأتي في مرحلة اعتقد فيهــا المستعمر الفرنسي انــه اجهض والى الأبد الشــخصية الجزائرية ، وان سياسته في الطمس والادماج على اعتاب تحقيق أهدافها ، خاصة بسياسته التي استنزف بها روح التحدي لدى الشعب الجزائري منــذ بدء الاحتلال عام ١٨٣٠ مروراً بالثورات التي واجهت الاحتلال والتي أكثرها شمولا ثورة عبدالقادر الجزائري (١٨٣٠ ـ ١٨٤٧) ، وهــو أيضا يمثــل حالة

وضوح فكري استوعبت الثوابت الأساسيه في حياة الجزائر جغرافية وتاريخا وثقافة في وقت سجل العمل السياسي من خلال الأحزاب تراجعات في الرؤية بدت تضيق تدريجيا لتتأقلم في حدود (الجزائر) ، فبعد الوضوح الذي يعكسه الأدب السياسي كما تكشف عنه الوثائق الخاصة بتأريخ الجزائر في القرن التاسع عشر ، يلاحظ المتابع التدرج نحو الاقلمة في فكر الحركات السياسية والجمعيات والأحزاب في ثلاث نماذج هي حركة الامير خالد وحركة نجم شمال افريقيا وحزب الشعب الجزائري ويتجلى وضوح عبدالحميد بن باديس في دلالات متعددة فعدا عن رؤيته لحاجة الجزائر في ذلك الوقت التي تتجاوز حدود الأحزاب التقليدية ، فقد سجل لنفسه الريادة في حل واحدة من المعضلات التي واجهت حركة التحرر العربي نتيجة لسياسة الحقبة الاستعمارية ، وهي مشكلة علاقة العروبة بالاسلام أو علاقة العرب التي كان يترتب عليها : ففاجأ الاستعمار الفرنسي في الحقل الذي اختاره للمنازلة النهائية ، ان هده الريادة وجهوده في تكوين قاعدة اجتماعية واعية تسلح بالوعي الابتدائي للثورة بعيدا على ثقافة الاستعمار كانت من العوامل التي مهدت الأرض لثورة فيما بعد بما اوجدت من حاجز نفسي بين الشعب وبين المحتل • وتكتسب دراسة عبدالحميد بن باديس أهميتها من الاطار العام الذي انتضمت فيه والعصر الذي ظهر فيه مفكرا ، فما من شك ان حركة عبدالحميد بن باديس جزء من تحرك واسع شمل المغرب العربي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في تونس على يد محمد بيرم ومع ان هناك وجهتي نظر في المؤثرات التي تقف وراء حركة محمد

(١) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣) ص٨٧ • وعبدالعزيز الثعالبي •• تونس الشهيرة (دار القدس بيروت ، ١٩٧٥) ص٨ من مقدمة المترجم سامي الجندي •

بيرم التونسي واحدة تنسبها لحركة محمد عبده والأخرى تنسبها الا انني أميل الى ان نشأة حركة الاصلاح في تونس تطور محلي دون اهمال لقيمة التقاءه بكل من محمد عبده وجمال الدين الافغاني في باريس أثناء زيارتهما لها سنة ١٨٨٤ حيث زار محمد عبده تونس بعد ذلك مرتين في سنة ١٨٨٥ وفي سنة ١٩٠٣ . لقد ظهر التعاطف بين حركة الاصلاح في الجزائر وتونس من جهة وبينهما وبين حركة محمد عبده من جهة أخرى ونكتشف العديد في كتابات ابن باديس هذا الأمر بوضوح كما كان خصومه يدركون ذلك أيضاً . ولم يتبين لي الاطلاع على مواقف محمد عبده من حركة الاصلاح في أقطار المغرب العربي ومن أهدافها ونضالها لتقدير دوافعه الحقيقية .

الاوضاع الاجتماعية في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي :

تمخض عن الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ بدء الهجرة الاوربية غير انها لم تكن نشطة أو واسعة حتى ١٨٣٣ بلغ عدد المهاجرين ثمانية آلاف مهاجر ، وقد لاحظت الحكومة الفرنسية هذا الوضع فلجأت الى تشجيع هجرة الاوربيين بغض النظر عن جنسياتهم وطبقت سياسة تقديم الخدمات والمعونات الى المهاجرين فكانت تقدم لهم الحبوب والمواشي والمساكن اضافة الى منحهم الاراضي مجانا(٢) ، فتطورت اعداد المهاجرين بسرعة وبلغت سنة ١٨٣٩ (٢٥) الف مهاجر وفي سنة ١٨٤٧ (١١٠) الف مهاجر وفي سنة ١٨٦٦ (٢٢٠) الف مهاجر وفي سنة ١٨٩٩ أصدرت الحكومة

---

(٢) الدكتور تركي رابح / الشيخ عبدالحميد بن باديس ، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤) ص٢٤ . نقلا عن مجلة المجاهد (عدد خاص) وزارة الاخبار الجزائرية ١٩٥٩ . يتضمن خطابين للجنرال بيجو الحاكم العام الفرنسي في الجزائر من سنة ١٨٤٧ ومهندس سياسة الاستيطان الاوربي فيها .

الفرنسية قانونا يمنح الجنسية الفرنسيه لجميع الأجانب الموجودين في الجزائر ممن تبلغ أعمارهم عشرين عاما فأكثر مع حق الاحتفاظ بالجنسيه الأصلية فوصل عدد الاوربيين في الجزائر سنة ١٩٤٨ (٩٣١و٨٠٠) الف مهاجر منهم (٧٤٤) الف ولدوا فيها[٣] .

ترتب على الهجرة انتشار العنصر المرتبط بالاحتلال ، وكان لابد ان يتم هـذا على حساب السكان الاصليين الذين نزعت من أيديهم الأراضي ودفعوا نحو الصحراء ، مقصد تحويلهم الى أقلية تعيش حالة الانكفاء . ولم تقتصر هذه السياسه على هذا الجانب انما امتدت الى تخريب البناء الاجتماعي بأجراءاتها الخاصه بالبربر[٤] وشجعت البعثات التبشيرية (الاباء البيض) في تغيير عقيدة السكان والتبشير بالمسيحية الممهدة للاحتلال والمبشرة بادماج السكان بفرنسا في الوقت الذي لجأت الحكومة الفرنسية الى اعدام الرهبان واحراق الكنائس في بلدها لانهم كانوا في فرنسا معارضين للحكومة، كما شجعت المعابد اليهودية ومنحت اليهود الجنسية الفرنسية[٥] . ركزت السياسة الاستعمارية في الجزائر على ابقاء المواطن الجزائري اسير التخلف ويعطي تطور الأجور فكرة واضحة عن صيغ التعامل مع المواطن الجزائري وأهدافها فحتى عام ١٩١٠ لم تكن أجور العامل الجزائري تتجاوز (٥ر١)

---

(٣) نفس المصدر ، ص٢٧ . وللمزيد من المعلومات عن تطور الهجرة ، انظر فرحات عباس / ليل الاستعمار (ترجمة أبو بكر رحال) ص٩٥-٩٧ .

(٤) الدكتور نزار الحديثي : الامة العربية والتحدي (بغداد ، ١٩٨٥) ص٦٥٧ ، الحسن بو عياد : الظهير البربري (دار الطباعة الحديثة - المغرب ١٩٧٩) ص٢٧ وما بعدها .

(٥) فرحات عباس / المصدر السابق ص١٠٥ تركي رابح / المصدر السابق ٤٧ .

فرنك فرنسي مقابل ١٤ ساعة عمل[٦] وقد عززت الحكومة الفرنسية هذه الاوضاع بمحاربتها التعلم الوطني وفرض التقهقر عليه تنفيذا لموقف سياسي عنصري عبر عنه استاذ التشريع الجزائري الفرنسي (لارش) بقوله : (لا سبيل انجح لفرنسا من التعليم الابتدائي لتخليص السكان المسلمين من الأفكار المسبقة التي تحول بهم دون مدنيتنا ولرفع مستواهم الأدبي والثقافي)[٧] لهذا اتجهت الى تضييق نطاق التعليم الوطني الى أضيق الحدود وجعلته مقتصرا على العلوم الانسانية والنظرية ان وجدت وحاربت اللغة العربية وحرمت استخدامها في جميع المجالات[٨] ٠

ولم تقتصر السياسة الاستعمارية على هذه الممارسات انما اتجهت الى الاجهاز النهائي على الثقافة الوطنية بتبديد ثروتها من الكتب والدعوة الى العامية ومحاولة احياء اللغات القديمة وتدريس اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية ووضع اليد على الاوقاف الاسلامية التي كان التعليم يعتمد عليها اعتمادا أساسيا ٠ والسعي لخلق طبقة من المثقفين الوطنيين المرتبطين بالثقافة الاستعمارية المعتنقين سياستها[٩] ٠

---

(٦) نفس المصدر ، ٢٤ ٠

(٧) عبدالحميد بن جلون / هذه مراكش (مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٤٨ ص١٤١ انظر ملاحظات اوجين كوميس في مجلس الشيوخ الفرنسي ٠
شارع اندرى جوليان / افريقيا الشمالية تسير (الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٦) ترجمة ص ٠

(٨) عبدالحميد بن جلون / هذه مراكش ص١٤١ ، ١٤٤ علال الفاسي / الحركات الاستقلال في المغرب العربي (مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٤٨) ص٧٠ ٠

(٩) الدكتور عمر فروخ - الدكتور مصطفى الخالدي / التبشير والاستعمار في البلاد العربية (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٣) ص٢٢٤ ٠

لقد عبرت هذه السياسة عن نفسها في نسبة الأمية التي بلغت ٨١٪ من السكان الاصليين[١٠] • كشفت السياسة الفرنسية عن جوهرها الرامي الى اخضاع الثقافة لاشراف المحتلين والمستوطنين وتكريس التعليم للتعرف بتاريخ اوربا وحضارتها أو تجهيل السكان اذ كان هدفها (الادماج) أي ادماج الجزائر بفرنسا كذلك لجأت الى تحطيم القيم القومية والحضارية والروحية للشعب الجزائري •

المقاومة الجزائرية :

قاوم الشعب الجزائري السياسة الاستعمارية بعنف فلجأ الى الثورة ، وازداد تمسكه بالدين الاسلامي واللغة العربية ويعبر الخطاب السياسي الجزائري كما تكشف عنه الوثائق عن احساس عميق بالعروبة ليس ثقافياً انما انتماء ، غير ان روح الثورة حققت بانتهاء كفاح الامير عبدالقادر الجزائري عام ١٨٧٤ ولم تظهر حركات سياسية في هذه الفترة وحتى عام ١٩١٤ بسبب الاستنزاف الدي تعرض له المجتمع من خلال ثوراته وسياسة الأفتقار الاقتصادي والهجرة الى الخارج وفرض التجنيد الاجباري على الجزائريين وسياسة التجهيل وعنف واضطهاد السلطة المحتلة اضافة الى سبب ذاتي تمثل في انتشار الفرق الصوفية واشاعتها نزعة الهروب من الواقع • وقد بلغ عدد مؤيدي هذه الطرق (٣٠٠) ألف تابع تضمهم (٣٤٩) زاوية اسهمت في نشر البدع فأضافت الى سياسة الاحتلال تجهيل آخر ، وتخدير للسكان بعدما احتوتها السلطة المحتلة فأصبح اتباعها يبشرون بطاعة

---

(١٠) عبدالكريم غلاب / الثقافة والفكر في مواجهة التحدي (دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٧٦) ص٢٠ • وانظر أيضا الدكتور تركي رابح / المصدر السابق ص٩٧ كيف حرق الجنرال دومال مكتبة عبدالقادر الجزائري •

السلطة المحتلة(١١) • غير ان أوائل القرن العشرين شهدت بداية تشكل جديد في الحركة اووطنية الجزائرية •

ويمكن اعتبار حركة الامير خالد(١٢) الجزائري بداية لها غير ان التشكل الجديد ظهر في حركة نجم شمال افريقيا عام (١٩٢٥) التي طالبت باستقلال المغرب العربي انكبير(١٣) وبالمقابل ظهر تيار يدعو للادماج سمي بحركة اتحاد المنتخبين المـ..ـنمين عام (١٩٣٠)(١٤) •

ان السمة الأساسية لهـذه الفترة هي الحماس الاجتماعي للحـركة باتجاه ما ، يحفظ للجزائر شخصيتها ويعبر عن رفضها الاحتلال غير ان كلا الاتجاهين اللذان ظهرا في هذه الفترة (حركة الامير خالد وحركة نجـم شمال افريقيا) لم يشكلا الحل الحقيقي المطلوب ولم يعبرا عن جوهر حركة الشعب رغم ايجابياتها فالاولى انطلقت أصلا من تشكيل اجتماعي سر قوامه النواب الجزائريين في المجلس البلدية والعمالية أي انــه انطلق من وسط يعمل في حدود ما يتيحه الاحتلال فهي حركة عرائضية ليس الا • اما الثانية فقد تشكلت في باريس سنة ١٩٢٥ من عمال المغرب العربي الكبير بقيـادة أحمد معالي الحاج ونادت باستقلال المغرب العربي الكبير ، والواقع ان ظاهرة الانكماش في الوعي في الجزائر ظهرت في الخطاب السياسي الجزائري بعد انتهاء ثورة عبدالقادر الجزائري ففي حين كان يوصف بقائد العرب وممثل

---

(١١) تركي رابح / المصدر السابق ص٩٨ •

(١٢) هو خالد بن الهاشمي بن الحاج الكبير بن عبدالقادر الجزائري عمل ضابطا في الجيش الفرنسي أثناء الحرب الاولى سعى الى تشكيل وفد جزائري يعرض قضية الجزائر في مؤتمر الصلح • المصدر السابق ص٥٦ •

(١٣) تركي رابح •• المصدر السابق ، ص٥٩ •

(١٤) نفس المصدر ، ص٦٢ •

القومية العربية بدأت تظهر في الخطاب السياسي مصطلحات الأسلام المجرد بدون العروبة وقد وجد هذا الانكماش انعكاسا له في العمل السياسي فالثورة أصبحت حركة عرائضية ثم حركة عمالية على مستوى المغرب الكبير ثم فيما بعد حزب الشعب في حدود الجزائر •

عبدالحميد بن باديس :

ولد عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكي سنة (١٣٠٨هـ ١٨٨٩) في قسنطينة من اسرة امتهنت العلم والسياسة معا ، فقد ناضل جده بدع الاسماعيلية والباطنية[١٥] • تعلم عبدالحميد على يد مدرس يعتنق الطريقة التجانية وسافر في عام ١٩٠٨ الى تونس وانتسب الى جامع الزيتونة وتأثر كثيرا بأستاذه الطاهر بن عاشور ، واليه يرجع الفضل في تكوين ابن باديس العروبي والاسلامي ، اذ يقول عن دروسه : « حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب وبث في روح جديدة في فهم المنظوم والنثور واحيت في الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما اعتز بالاسلام »[١٦] وجريا على عادة مؤمني المغرب الغربي ارتحل ابي باديس الى المدينة وزار الشام ومصر وعاد الى قسنطينة سنة ١٩١٣ • اكمل ابن باديس تعليمه وعاد الى الجزائر في زمن كان فيه العالم يتجه الى الحرب العالمية الاولى • وكانت الشكلة المراكشية أحد أبرز نقاط الانفجار التي تهدد العالم[١٧] ، بينما نشطت السياسة

---

(١٥) عمار الطالبي : اثار بن باديس (مكتبة الجزائر للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر ، الجزائر ، ١٩٦٨) ١/٧٢ ، ٧٨ ، ٨٠ •
د• تركي رابح : المصدر السابق ص١٦٠ •

(١٦) عمار الطالبي • اصدر السابق ، ٣/٧٥ •

(١٧) محمد الميلي / ابن باديس وعروبة الجزائر (دار العودة — دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣) ص٣٧ وانظر عن المشكلة المراكشية محمد

الاستعمارية في الجزائر وظهرت نواياها الخطرة الرامية الى تفتيت البناء الاجتماعي بأصدارها سنة ١٩١٤[١٨] فعمل في التعليم في قسنطينة منذ سنة ١٩١٣ واختط لنفسه برنامجا في التربية والتعليم يخاطب العقل وينقد الخلل حيثما وجده • وقد ادرك ابن باديس قيمة الصحافة في ايصال اراءه وأفكاره للناس ، وعندما أصدر الشيخ عبدالحفيظ الهاشمي جريدة النجاح سنة ١٩٠٩ اشترك عبدلحميد بن باديس في تاسيسها[١٩] • واتجه الى تأسيس جريدة المنتقد سنة ١٩٢٠ وكان دقيقاً وواضحاً في اختيار اسمها لتعبر عن منهجه في النقد ضمن فكرة الاصلاح الديني[٢٠] ، غير ان السلطات الحاكمة لم تسمح لها بالاستمرار فأغلقتها بعد صدور ثمانية عشر عددا منها فأصدر جريدة الشهاب في سنة ١٩٢٥ وكانت اسبوعية ثم أصبحت مجلة شهرية سنة ١٩٢٩[٢١] اتسمت حياة ابن باديس بالنشاط والمثابرة الفكرية وترك ثروة لا تقدر من الأفكار والاراء في مختلف المجالات العلمية التربوية والاجتماعية يمكن تصنيفها على النحو التالي[٢٢] :

علي داهش • الجمهورة / الريف في مراكش (١٩١١ ـ ١٩٢٦) (رسالة ماجستير ـ معهد الدراسات القومية والاشتراكية ـ الجامعة المستنصرية ، بغداد) ص٤٨ ••

(١٨) شارل اندري جوليان / المصدر السابق ، ٤٧ ، ٣ ، ١٦٩ الدكتور صلاح عقاد / المغرب العربي (مكتبة الانجلو ـ مصرية ، ١٩٦١) ص٣٦ •

(١٩) عمار الطالبي : المصدر السابق • ٥٧/١ اضطر ابن باديس الى ترك اجله •

(٢٠) نفس المصدر : ٥٨/١ ، ٣٥٢/٤ •

(٢١) عمار الطالبي / المصدر السابق ٥٨/١ •

(٢٢) نفس المصدر / اعتمد هذا التقسيم الاستاذ الفاضل عمار الطالبي عند نشره الاعمال الكاملة لابن باديس وبعد قرائتي لها لاحظت دقة

١ ـ التفسير
٢ ـ شرح الحديث
٣ ـ مقالات

أ ـ قسم الاصلاح والثورة ضد البدع
ب ـ قسم السياسة
حـ ـ قسم البرقيات والاحتجاجات
د ـ قسم الاجتماعيات
هـ ـ قسم الخطب
و ـ قسم الشعر
ز ـ قسم التاريخ
ح ـ قسم العرب في القرآن
ط ـ قسم التراجم
ي ـ قسم الرحلات
ك ـ قسم تطور الشباب
ل ـ قسم الصلاة على النبي (ص)
م ـ قسم الفقه والتقوى

ابن باديس والحياة السياسية في الجزائر :

لم ينظر ابن باديس الى الحياة السياسية في الجزائر نظرة رضى لا بالنسبة الى الاحتلال ولا للموقف الشعبي العام • ويعكس شعاره هذه

تصنيفه تيسيره الاستدلال على أفكار ابن باديس ومواقفه دون ان يغني هذا عن القراءة الواسعة للراغب في مزيد من الوقوف على أفكار ابن باديس وتحليلها •

النظرة « الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء »[٢٣] لقد انضم الى ابن باديس في تحرير المنتقد كتاب ومثقفون جزائريون شكلوا أول حزب المصلحين[٢٤] عرفوا (بالنخبة) • وليس واضحا ما اذا كان هذا التوجه عنـد ابن باديس معبـرا عن افتراق عن تيـار آخـر يقوده الشيخ البشير لابراهيمي أم لا ! اذ منذ ١٩٢٢ تبلور في صفوف أوساط الاصلاح اتجاهان لكل منهما منهجه اتجـاه يتزعمه الشيخ البشير الابراهيمي وبالتوجـه الى التعليم واعداد دعاة مدربين على مناهج تقرها الدعوة • والثاني تزعمه ابن باديس ويقول بالنقد والهجوم على مواطن الخلل في الحياة الخاصة ما يتعلق بالبدع والعادات التي لحقت بالوعي الاجتماعي في جانب اعتقاده الديني[٢٥] ومن هنا جاء اختيار ابن باديس لاسم جريدته المنتقد • اغلب الظن ان هذا التباين كان (ضمن وحدة الهدف) لأن كلا قائدي الاتجاهين كان في الهيئة المؤسسة لجمعية العلماء المسلمين في الجزائر تأسست جمعية العلماء المسلمين في الجزائر في ٥ حزيران ١٩٣١ واتخذت لها مقرا مؤقتا في نادي الترقي وجاء تأسيسها بعد مرور مائة عام على الأحتلال الفرنسي للجزائر ومرور عـام على احتفالات القـرن التي اجرتهـا السـلطة المحتلة فكان الطـابع الاستفزازي أحـد العـوامل المباشرة لتأسيس الجمعية • تولى ابن باديس رئاسة الجمعية حتى وفاته في ١٦ نيسان ١٩٤٠ وكان مجلس الادارة يتألف مـن :

---

(٢٣) عمار الطالبي / المصدر السابق ، ج٣ / ٤٨١ نقلا عن جريدة المنتقد العدد الاول الخميس ذي الحجة ١٣٤٣هـ ٢ تموز ١٩٢٥م وقد ورد الشعار في متن بيان حمل توقيع « النخبة » وانظر أيضا ٣/٢٤٣ •

(٢٤) نفس المصدر •• ٤/٣٥٢ •

(٢٥) نفس المصدر •• ١/٨١ •

١ ـ محمد البشير الابراهيمي	نائبا للرئيس
٢ ـ محمد أمين العمودي	كاتب
٣ ـ الطيب العقبي	معاون
٤ ـ مبارك الميلي	أمين المال
٥ ـ ابراهيم بيوض	معاونه
٦ ـ المولود الحافظي	مستشار
٧ ـ مولاي ابن الشريف	
٨ ـ الطيب المهاجي	
٩ ـ العبد اليجرى	
١٠ـ حسني الطرابلسي	
١١ـ عبدالقادر القاسمي	
١٢ـ محمد الفضيل البراتني [٢٦]	

وأصدرت الجمعية جريدة السنة ثم الشريعة ثم الصراط ثم البصائر [٢٧] •

ابن باديس والمستقبل :

يحتل ابن باديس موقعه ضمن المفكرين الذين ارتبطوا بالمستقبل ورفضوا الانكفاء عند حد معين • وقد استخدم مصطلحات متعددة في التعبير عن ارتباطه بالمستقبل مثل (الاصلاح والنهضة والتمدن والترقي والتقدم

(٢٦) د• تركي رابح / المصدر السابق ص٦٦ وانظر أيضا عمار الطالبي ٥١٨/٣ وقد تغير هذا المجلس سنة ٩٣٦ انظر ص٥٥٢ •

(٢٧) د• تركي الرابح / المصدر السابق ص٧٢ • صدرت جريدة البصائر سنة ١٩٣٥ وكان الشيخ الطيب العقبي رئيس تحريرها وانظر أيضا عمار الطالبي / المصدر السابق ٥٣٩/٣ •

والارتفاع والمنزلة اللائقة وكمال الانسان) والتدقيق في الموقع الذي استخدمت فيه هذه المصطلحات وفي السياق العام لأفكاره يكشف ان تقاربها في المدلول انما يخفي تميزاً في كيفية صنع المستقبل والارتباط به فهو يستخدم الارتفاع مقابل الانحطاط فهو اذن قياس مستوى موقع الأمة من الزمن وهو قريب من المنزلة اللائقة في المعنى(٢٩) اما الاصلاح فهو عمليه تقويم الشيء في وضعه الذي هو فيه (الاصلاح هو ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بازالة ما طرأ عليه من فساد) اذن الاصلاح لا يشترط الانتقال الى مستوى حركة أخرى انما فقط ازالة عوامل التوقف وهذا الاصلاح أساسي في بلوغ المستقبل لانه يهيء للنهضة فهو يرتبط بالتنبه الذي هو أساس النهضة(٣٠) المصطلح الواسع الذي يستخدمه ابن باديس هو مصطلح (النهضة) التي تحقق بمشروع تاريخي فهو قد درس تاريخ وسياسة الرسول (ص) • وتوصل الى ان الرسول القائد (ص) « اقر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في تكوين الامم ووضع للأمة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعياً »(٣١) •

لذلك فالنهضة المستقبليه عنده تتحقق بما يلي :

١ ـ معرفة التأريخ لانها أساسية لمن يريد ان يتخذ لنفسه منزلة لائقة في هذا الوجود •

٢ ـ الايمان بالله ورسوله •

---

(٢٨) عمار الطالبي / المصدر السابق ، وسوف ترد الاشارة الى مواضع وردت هذه المصطلحات في أعمال ابن باديس من خلال الهوامش اللاحقة •

(٢٩) نفس المصدر ٣/١١٥ ، ٢٦٥ •

(٣٠) نفس المصدر ١/٢٣١ ، ٣/٢٤١ •

(٣١) نفس المصدر ٤/٢٠ •

٣ ـ الوعي بأن اللغة (العربية) هي الرابطة التي تربطنا بالماضي وتربط ماضينا بمستقبلنا[٣٢] •

اذن هـو يرى ان النهضة تتحقق بالوعي بالذات القـومي والايمان والتسلح بالعلم والاقبال على العمل[٣٣] •

لذلك فالعلم أساسي في النهضة العلمية والدعوة الى الوعي بمضمون علمي يتمثل بعلميـة النظرة وشمولية العلم ومثـل هـذا الوعي ضروري للمجتمع رجالا ونساء مع تركيز على الأطفال (المستقبل) • والعلم المطلوب هـو « ادراك جازم مطابق للواقع عن بينـة سـواء كانت تلك البينة حسا ومشاهدة ، أو برهانا عقليا كدلالة الاثر على المؤثر ، والصنعة على الصانع ، فأذا لم تبلغ البينة بالادراك رتبة الجزم فهو ظن) •

(ويطلق العلم أيضا على ما يكاد يقارب الجزم ويضعف فيه احتمال النقيض جدا)[٣٤] غير ان النهضة (لكي تتحقق تحتاج الى التنبه) (فالأمم لا تنهض الا بعد تنبه أفكارها وتفتح أنظارها)[٣٥] • وان هـذه الحاجة اضافة الى الدرس المستنبط من تاريخ الأسلام تحدد للعلماء دورا وواجبا في النهضة وهو دور أولي في حدود الاصلاح[٣٦] ، لان النهضة تحتاج الى (قوة) والقوة اما تصنعه (جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحـة ولدفع المضـرة متساندة في العمـل عـن فكـر وعزيمة)[٣٧] والنهضه عنده تقود الى التقدم والرقي •

---

(٣٢) عمار الطالبي : المصدر السابق ١/٣٧٠ ، ٣/٢٦٥ •
(٣٣) نفس المصدر : ٣/٢٧٨ •
(٣٤) عمار الطالبي / المصدر السابق ١/٢٦٦ •
(٣٥) نفس المصدر / ٣/٢٤١ •
(٣٦) نفس المصدر / ٣/١١٥ ، ٢١٧ •
(٣٧) نفس المصدر / ١/٣٧٠ •

لم يكن ابن باديس منكرا خيالياً انما كان واقعياً بحكم مفاهيمه أولا وواقعه ثانيا وتنماءه ثالثا فهو يرى ان (النسبة للوطـن توجب .. القيـام بواجباته)[٣٨] .

لهـذا حـدد اسس النهضة كمـا يراها (العروبة والاسلام والعلم والفضيلة)[٣٩] وصرف جهده لخلق أداة التنبه وفي البداية كان التدريس (عشر سنوات في الدرس لتكوين نشيء علمي ... فلمـا كملت العشـر وظهرت بحمد الله نتيجتها رأينا واجبا علينا ان نقـوم بالدعوة الى الاسلام الخالص (الاصلاح) والعلم الصحيح (افتتاح المدارس العربية بعيدا عن مدارس الاحتلال والصوفيه) واستعان بالصحافة فأصدر المنتقد ثم الشهاب ، فكانت هذه رسائله مجتمعة في صنع الوعي اللازم لتشكيل الجماعة[٤٠] . (جمعية العلماء المسلمين) التي عملت بكل ما تملك لكي تعرف آلامه نفسها وتتجه الوجهة التي تقودها الى الحياة السعيدة ، لم تكن نظرته الى التعليم نظرة تقليدية انما ثورية ودراسة الزاوية التي كان يقدمهـا في جـريدة الشهاب بأسم (مجالس التذكير) يعطي فكـرة عن ثورية ممارسة التعليم فهو يأخذ المثال التاريخي المكرس للوعي (آية قرآنية) ويتعرض لها بالشـرح ويلجأ الى شرحه بطابع العصر في المفرد اللغوي المستخدم في الشرح أو في معنى اللفظ ثم يستخلص من المثال المثل الاعلى فيه ويسميه (أدب واقتداء) ثم يؤشر كيفية توظيف هذا المثل في عصره عندما يحدد صيغ الافادة منه

---

(٣٨) نفس المصدر / ٣/٤٦٧ .

(٣٩) نفس المصدر / ٣/٥٥٧ وانظر أيضا اساسيات هـذا الشـعار في ٣/٢٠٦ ، ٢٧٨ .

(٤٠) نفس المصدر : ٣/٢٨٧ .

تحت عنوان (استفادة)[٤١] . كل هذا يأتي ضمن مفهوم جديد للتعليم فهو اذن لم يكن ينظر الى التعليم على انه عملية اكاديمية تقاس بمحتواها العلمي فعصره لا يفترض هذا انما كان ينظر له على انه عملية تعليم (على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل) كما يقول الشيخ الابراهيمي .

وهنا يبرز سؤال مشروع عما اذا كان ابن باديس طبق مفهومه للنهضه بدقة وبغض النظر عن وضوح مفاهيمه وانطلاقها من وعي دقيق للتجربة التاريخية للأمة كما دعاها وفي حدود عصره كان مفهومه للنهضة تفتقر الى أحد عناصره وهو (القوة) وقد نفذ بعض منتقديه من المحدثين ساسة ومفكرين لكي يضعوه في مكان هامشي من حركة التحرر القومي في الجزائر[٤٢] .

يتسم الزمن الذي سبق ابن باديس بالدور الفردي في التوجه الى الاصلاح أو الثورة ليس بمعنى (الفرد) ولكن بمعنى الفردية التي ظهرت حتى مع اتساع نطاق البشر الممارسين للاصلاح أو الثورة وعندما يطغي مفهوم الفردية فليس ثمة فرق بين ان تثور وحدك أو تثور مع عشيرتك . الواضح ان ابن باديس استوعب هذه الحقيقة لهذا طرح موضوع (الجماعة) ليس بمعنى العدد انما بالفهم والروح وبشر بها (ازفت ساعة الجماعة ومضى عصر الفرد)[٤٣] والذي يتبع جهود ابن باديس الثقافية من خلال المنتقد

(٤١) د. تركي رابح / المصدر السابق ، ص٢٦٠ نقلا عن مقالة للشيخ الابراهيمي في مجلة مجمع اللغة العربية (العدد ٢١ ، ص١٤٣) وفيها يتحدث الشيخ الابراهيمي عن كيفية تخطيطها هو وابن باديس للتربية في اجتماعهما في المدينة المنورة سنة ١٩١٣ .

(٤٢) عمار الطالبي / المصدر السابق : ١/٩٠ في تحليله لموقف ابن باديس من الاستقلال .

(٤٣) نفس المصدر : ـ/٨٤ نقلا عن جريدة الشباب العدد ٣١ في حزيران ١٩٣٦ .

أو الشهاب أو دروسه واختياراته من التاريخ يكتشف كم كان حريصا على تنمية روح الجماعة وفي الجمعية بذل جهودا كبيرة في محاربة الاتجاهات التي تنزع الى التفرد والتميز عن الجماعة بمواقف ومفاهيم فردية .

لذلك نجح في الاحتفاظ بوحدة الجمعية ووحدة قواعدها وهيء قواعد واعية لأسس تكوينها التاريخي ، واسس تملكها المستقبل بنظرة مرتبطة بهذا المستقبل وليس بواقعه المتخلف والماضي الذي نشأت فيه اسس تكونها التاريخي ، وقد أدرك خلفائه هذا الاتجاه . يقول البشير الابراهيمي : (لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا)(٤٤) . لقد كان هم ابن باديس ان يضع آلامه في (الزمن الآتي) لذلك ركز على الربط بين حركاتها والمستقبل وسعى لكي يعزز هذه النظرة من خلال تأكيده على التجديد وتكوين جيل جدير مجدد وهذا الجيل المجدد هو (القوة) عند ابن باديس وليس القوة بمعناها التقليدي ولا العقيدة . فعناصر واسس النهضة التي رفعها (العروبة والاسلام والعلم والفضيلة) ليست اكتشافات جديدة تميز بها انما هي محصلة الواقع التاريخي للأمة وحاجاتها في عصرها ، ربما يكون له الفضل في جمعها وسوقها في وحدة موضوعية ثورية ولكن يبقى الانجاز الحقيقي هو بناء « جيل مجدد » يحمل فكرته لذلك فالجواب على السؤال المطروح « عما اذا كان ابن باديس طبق مفهومه للنهضة بدقة » يقرره حجم الفائدة التي افادتها الجزائر في تاريخها الثوري بعد ابن باديس . وفي تقديري ان ابن باديس كان يدرك نجاحه في بدء هذا الجيل وانه في أيامه اكتشف هذه الحقيقة ومغزاها (اين يوظف هذا الجيل) وبعكس هذا الاستنتاج التغيير الحاصل في خطابه السياسي في مسألة الاستقلال سواء في مكوناته الفكرية

(٤٤) د. تركي رابح / المصدر السابق ، ص٦٧ وانظر ايضا ٢٦٢ .

حيث بدأ يتردد مفهوم العروبة والاسلام والوحدة العربية أكثر وضوحا واستقرارا ، كذلك مسألة حقوق الشعب في الاستقلال ومقاومة الاندماج ، أو في الصياغة العامة للخطاب السياسي التي بدأت تحمل طابع الانذار . (لا يحق للأمة ان تستمر على السياسة القديمة سياسة المطالبة والانتظار)[٤٥] وبدأت تظهر الدعوة الى « الاعتماد على النفس »[٤٦] و (يجب ان نقول نحن كلمتنا)[٤٧] (اتحد ماضي الاستعمار وحاضره علينا ، يجب ان تتحد صفوفنا)[٤٨] (لنطالب بالمساواة في جميع الحقوق في وطننا)[٤٩] .

نظرة الى المكونات التاريخيه للجزائر

العروبة والاسلام :

ينطلق مفهوم ابن باديس للعروبة والاسلام من استيعابه للجزائر (الوطن) تاريخا وواقعا وحاضرا : (اما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط في الماضي والحاضر والمستقبل .. وتفرض على تلك الروابط فروضا خاصة)[٥٠] اذن بينه وبين الجزائر مباشرة واتصال وهو أمر طبيعي فهو ينتمي الى هذا الوطن ، وتضرب جذور انتمائه في القدم الى ما قبل الاسلام (عصر الامازيغ) ، غير انه يدرك اثر الاسلام في الامازيغ وفي الجزائر ، فهو الذي وحدهم مع العرب واوجد جيلا ينتمي

(٤٥) عمار الطالبي : المصدر السابق ٣/٣٦٩ .
(٤٦) نفس المصدر السابق : ٣/٣٦٥ ، ٣٨٦ .
(٤٧) نفس المصدر السابق : ٣/٣٧٠ .
(٤٨) نفس المصدر السابق : ٣/٣٧٠ .
(٤٩) نفس المصدر السابق : ٣/٣٧١ .
(٥٠) عمار الطالبي / المصدر السابق : ٣/٢٣٦ .

وطنا الى الجزائر وحضارة وثقافة الى الاسلام[٥١] . ويدافع ابن باديس عن التوحد التاريخي للعرب والامازيغ عندما يدرك البعد الجغرافي لهذا التوحد (نعم ان لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال ... واقرب هذه الأوطان الينا هو المغرب الأدنى والمغرب الاقصى اللذان ما هما والمغرب الاوسط الا وطن واحد لغة وعقيدة وأدبا وأخلاقاً وتاريخاً ومصلحة ثم الوطن العربي والاسلامي ثم وطن الانسانية العام[٥٢] ورغم ان هذا النص يظهر مفهوم ابن باديس للوطن غامضا فهذا الغموض عنده يقتضيه تتبع الاسلام فبالجغرافية يتتبع عالمية الاسلام غير انه يعود الى تحديد الوطن العربي تحديدا متطابقا مع الأمة العربية[٥٣] ، والملاحظ على ابن باديس انه يطرح مفهومه للعروبة منطلقا من الثقافة وليس أي اعتبار آخر وهو بهذا يستوعب صيغة تجدد بناء الأمة العربية كما ارساها الرسول (ص) والمعنى التريخي لتوحد الامازيغ بالعروبة فهو يرى ان الجزائر بدأت في التاريخ امازيغية غير انها دخلت الاسلام وتكلمت العربية طائعة مختارة وامتزج الامازيغ بالعرب ونتجت عن المصاهرة حالة مشاطرة حياتية جعلتهم شعبا واحدا « متحدا غاية الاتحاد ممتزجاً غاية الامتزاج ، واي افتراق بعد يبقى بعد ان اتحد الفؤاد واتحد اللسان»[٥٤] فخيار الوحدة ليس خيارا ناتجا عن وحدة الدم انما خيارا ناتجاً عن وحدة الدم انما خيارا قائما على الاواحدة الواحدة والبناء النفسي والاخلاقي الواحد قاعدته اللغة (ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دمها

---

(٥١) نفس المصدر : ٣/٤٨٣ .

(٥٢) نفس المصدر : ٣/٢٣٧ .

(٥٣) نفس المصدر : ٣/٣٨٩ ، ٣٩٨ .

(٥٤) الميلي / المصدر السابق ، ٥٦ . ابن الطالبي ، المصدر السابق ٤/٦٥ .

ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها اتحادا يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك في الآلام والامال)[٥٥] وقد سحب من الاسلام دليله لاسقاط العامل العرقي في تكون الأمة العربية (ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم • انما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي)[٥٦] لذلك لم يجد تناقضا بين ان يكون جزائرياً امازيغياً وعربياً ، لم يجد تناقضا بين الشخصيةالامازيغية للجزائر وبين انتماءها الى العروبة فالتمازج الذي تحقق في الاسلام يجعل التقاءهما طبيعيا فكأنه يعتبر انتماء الامازيغية الى العروبة انتماء الوطنية الى (القومية)[٥٧] لذلك اوجب على كل من يدين بالاسلام ان يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم بحكم الارتباط الموضعي بين العرب والاسلام[٥٨] • ويستوعب ابن باديس في نظرته للأمة العربية المكونات التأريخية التي تمتكها فهو برى في العرب أمة ترتبط بموطن واضح محدد ولها لغتها وعقليتها وثقافتها وتاريخها بما يكفي لمنحهأ هويتهأ ولكنه لا يكفي لمنحها وحدتها السياسية التي يعتبرها الأساس في تحقيق سيادة الأمة ومشروعها التاريخي « الوحدة السياسية لا تكون الا بين شعوب تسوس نفسها وتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها مع غيرها من الأمم وتتفق على تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة »[٥٩] •

فالعروبة عنده وطن وأمة لكل منهما تأريخية التي سبقت الاسلام ويرى ان جهل الناس بهذه التأريخية شكل مصدر ظلم للعرب فالناس

---

(٥٥) الميلي / المصدر السابق ٨١ •
(٥٦) المصدر ص١٤٥ • عمار الطالبي / المصدر السابق ٣/٢٦٤ •
(٥٧) الميلي / المصدر السابق ص١٤٤ • عمار الطالبي / المصدر السابق ٣/٢٦٤ •
(٥٨) نفس المصدر ٣/٢٩٨ « الوحدة العربية » •
(٥٩) نفس المصدر •

يعتقدون انهم خلقوا في الاسلام بينما الواقع غير ذلك[٦٠] • غير انه ما من شك ان الأمة العربية تميزت بالاسلام من بين كل عصورها لما مثله الاسلام في حياتها لذلك فهو يعتبره مع اللغة من مقومات الأمة العربية الأساسية كما يرى في الوحدة بمعنى البناء النفسي والاخلاقي والروحي • مقوما آخر له أهميته لأنه أساس الانتماء الثقافي والحضاري الى العروبة وان اللغة تصنع هذا البناء وتسهم فيه • ويشير أيضا الى مقومات أخرى احدها التأريخ لانه تأريخ الاتحاد والتمازج والحضارة والرسالة لذلك اولاه أهمية خاصة فهو جزائرياً يحوى مكونات وملامح الشخصية الجزائرية فهو أساسي في بعثها وأساسي كعامل محفز اجتماعي من أجل مستقبلها أيضاً[٦١] • ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة رائعة في هذا الوجود[٦٥] • وعربياً هو تاريخ المجد العربي الممتد البعيد وتاريخ الدولة العربية والابداع العربي • ولنا من هذا التاريخ الممتد البعيد مجد وملك هو تاريخ القومية العربية الخالدة[٦٣] فالتاريخ عنده ، ميدان حركة وتحول فهو قوة تحويلية في حياة الأمـة وهي واصلة لما تريد والذي ينقصها فقط الوحدة السياسية وان هذا التأريخ متصل وواصله يتمثل باللغة العربية لغة الدين والجنس والقومية والوطنية • وهنا يكرر ابن باديس الجنس ويعطيه موقعا مهمـا فهو رابطة ومقوم قومي وهو تعبير ثقافي (لغة) وليس عرقياً • اما الاسلام فهو عنده • ليس الصفة التي يرثها الانسان من اهله ، لذلك رفض الاسلام الوراثي ، التقليدي (الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وانما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء) فهذا الاسلام قد يحفظ للأمة شيء لكنه لا ينهض

---

(٦٠) الميلي / المصدر السابق ص١٤٥ •
(٦١) نفس المصدر السابق ص٧١ •
(٦٢) عمار الطالبي / المصدر السابق ٣/٢٤٠ •
(٦٣) نفس المصدر ٣/٢٤١ •

بهـا لانـه لا يشكل عامل تنبيه لهـا اذ يسبب مما لحقه من بدع وضلال واستكانة وخدر أصبح هو ولجمود حليفين • الاسلام المطلوب هو (الاسلام الذاتي) اسلام من يفهم قواعد الاسلام ويدرك محاسن الاسلام في عقائده وأخلاقـه وآدابه وأحكمه وأعمـاله ويتفقـه ـ حسب طاقته ـ في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويبني ذلك كلـه على الفكر والنظر) • أي الاسلام القائم على فهم واستيعاب العقيدة وقناعة ويقين من الايمان بها وقد خاض ابن باديس معارك فكرية مع التقليديين والصوفية والمتفرنسين على السواء دفاعا عن الاسلام لا خطابيا انمـا محاججة وحرص وهو مسوق حججه على عصرنة مفهومة للاسلام وربطه باللغة العربية ليتجاوز به حدود ضرورة الدين الى الثقافة ويشتق منـه القيم والتقاليد(٦٤) ، ولم يهمـل أهمية استخدامه سياسيا في تمييز الجزائر عن فرنسا بأعتباره أحد أبرز عوامل تكونها التاريخي والاجتماعي والثقافي اضـافة الى عوامل الجغرافية (الوطن)(٦٥) • وعلى هذا الوعي ارتكزت عنده مسألة الحقوق التي يجب ان يحصل عليها الجزائريون دون نظـرة استصغار أو تمييز أو مطالبـة بالتخلي عن أي من ميزاتهـا في القوميـة والدين واللغة(٦٦) • فالحقوق تقترن بالمقومات الذاتية وليست بديلة لهـا معارضا بذلك الموقف الفرنسي الذي يشترط لمنح الحقوق للجزائريين تخليهم عن الاسلام(٦٧) •

اشتق ابن باديس من هذا الفهم موقفا علميا في نقد الاندماج ورفضه سياسة • فهو يرى ان الاحتـلال الفرنسي وضـع الجـزائر أمام تناقض (الجنسية القوميـة) مع (الجنسية السياسية) فالجنسية القوميـة تقررها

(٦٤) عمار الطالبي : المصدر السابق ، ٣/٢٥٥ •
(٦٥) نفس المصدر : ٣/٢٠٨ ، ٣١٨ •
(٦٦) نفس المصدر : ٣/٢٢٩ •
(٦٧) نفس المصدر : ٣/٢٣٨ •

مقومات ومميزات الشعوب مثل اللغة والعقيدة والتاريخ والشعور • اما الجنسية السياسية فهي واقع نشأ بالاحتلال (قضت به الظروف) ومن الممكن ان يكون هناك اتحاد بين شعبين يختلفان في الجنسية القومية (اذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية)[٦٨] والا فليس هناك الا أحد خيارين اندماج الاضعف في الأقوى أو انسلاخه لذلك قاوم الاندماج وفاد المؤتمر الاسلامي الجزائري الى قرار بالاجماع على (المحافظة التامة على المميزات الشخصية والمطالبة بجميع الحقوق السياسية) واظهر تمسكا شديدا بهذا المبدأ عندما قابلت هيئة الجمعية لجنة البحث البرلمانية الفرنسية في مايس ١٩٣٧[٦٩] والاسلام اكسب العروبة مبدأ انسانيا عندما كونها لحمل رسالة للبشريه جمعاء ، فأصبحت انسانية الأمة جزءاً من مكوناتها التأريخية لذلك فالأمة كما يراها ابن باديس كيان انساني في أصل تكوينه ، وستكون بالضرورة انسانيه في تكونها المستقبلي[٧٠] ، رغم ما للعرب من ارث تأريخي ودور حضاري وان الاسلام بتقاليده السمحاء الداعية الى الكمال الانساني والحريصه على الاخوة والسلام بين الشعوب غذى هذه الانسانية ، لذلك فالمحافظة على تقاليد الاسلام هذه حفاظ على ابرز مقومات القومية وتحصينه من الانزلاق العنصري[٧١] • غير ان هذا لا يعني ان الآخرين يسطيعون ان يخصوا العرب من الاسلام (محمد صلى الله عليه وسلم ••• كانت أول عنايته موجهة الى قومه وكانت دعوته على

---

(٦٨) نفس المصدر : ٣/٣٥٢ •
(٦٩) نفس المصدر : ٣/٣٥٣ •
(٧٠) نفس المصدر : ٣/٣٥٥ •

(٧٠) محمد الميلي : المصدر السابق ، ٥٣ • عمار الطالبي : المصدر السابق ٤/٢٠ •
(٧١) نفس المصدر : ٤/١٥٩ •

ترتيب حكيم بديع لا يمكن ان يتم اصلاح انسانيا أو شعبيا الا بمراعاته)[٧٢] • فالاسلام هنا ليس طقوس وعبادات فقط انما أيضاً تأريخ صنعته معاناة أمة أول مستوى فيها (عشيرته) ثم بقية العرب لانهم (رشحوا لهداية الأمم)[٧٣] فالذي يسعى للاصلاح باقصاء العرب عن الاسلام لن يحقق شيئا •

المشروع التاريخي لابن باديس :

استوعب ابن باديس معنى الاحتلال الفرنسي للجزائر فبين ١٨٣٠ — ١٨٧١ قضى الاستعمار على صفوة الشعب ونخبته التي قادت ثورته طوال اربعين عام وبعد ١٨٧١ ركزت سلطات الاحتلال على ان لا تظهر في هذا الشعب نخبة واعية ويمكننا تفسير سياسته فكانت ممارساتها وفقا لهذا الهدف فالازاحة والافقار ومنع التعليم وافساد المجتمع وتخريب الثقافة والقضاء على النظام العام التشريعي والقيم المستمدة من الاسلام سياسات تهدف الى الحيلولة دون تكون وعي أو طبقة واعية وبالمقابل اتجهت لخلق (الاعوان) وفي حالة وضع المجتمع الجزائري آنداك وطبيعة الاحتلال الفرنسي يجب ان تتوقع وجود هؤلاء الأعوان • وتعبر عبارة مالك بن نبي (الاستعمار والقابلية الاستعمارية غيرا كل المعطيات)[٧٤] تعبيرا دقيقا عن الوضع لانها محصلة استخلاص دقيق للنتائج أيضا •

واستوعب أيضا الشعب الجزائري وأدرك ما فيه من عوامل ايجابية

---

(٧٢) نفس المصدر : ٤/١٧ •

(٧٣) نفس المصدر : ٤/١٧ ، ١٨ ، ١٩ •

(٧٤) انظر مقدمة مالك بن بني للاعمال الكاملة لابن باديس التي نشرها عمار الطالبي : المصدر السابق ١/١١ •

(التمسك بالاسلام واللغة العربية) وما فيه من سلبيات طارئة دون ان يبخسه حقه فهو يرى لتقليدية الايمان والقائمين عليها فضل في استمرار مقومات الشعب غير ان هذا الاستمرار وفي حالة الاحتلال يشكل حالة سلبية (تراجع) لانه لا يحقق نهضة لذلك اعتبر الاكتفاء بالمستوى القائم مع انه (فضيلة) الا انه أيضا (خطيئة) فهاجم هذا المستوى وهاجم الزوايا الصوفية وانتقد الأحزاب لانها لا تملك مقومات الاصلاح .

واستشرف المستقبل (احياء الروح القومية)[٧٥] بخلق المسلم الجزائري . (الذي تعيش في روحه ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل) هذا الانسان هو الذي تحتاجه الوطنية الجزائرية « القيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسعة بنيه فلا شرف لمن « يحافظ على شرف وطنه » ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه »[٧٦] ويأتي هذا الاستشراف ضمن سياق عام من الوعي فهذا المسلم يدرك ان الاسلام ليس من صنعه وانما جاءه به العرب واتحد معهم وللعرب وطن يمتد من المحيط الى الخليج . وان كل هذه المسميات ليست بنت اليوم هي من (ذكريات الماضي) لكنها من عوامل استمرار النوع فهي ثوابت تاريخية فلا يكفي اذن نقدبمه كما هي لتحدث النهضة بل لابد من التجديد يحتاج الى (دعوة) كل هذه العناصر صاغها ابن باديس في تفسير سورة التوبة (الآية / ١٢ – ١٣) (انما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ورسوله (العقيدة) اذا كانت لهم قوة (ارادة النهضة) فانما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة (قوة الجماهير) منظمة تفكر وتدبر وتتشاور (التخطيط) وتنهض (تناضل) لجلب المصلحة (حاجات الجماهير) ولدفع

(٧٥) نفس المصدر : ٣/٢٧٨ .

(٧٦) عمار الطالبي : المصدر السابق ٣/٤٦٧ .

المضرة (التحصين المستمر يحكم الوعي) متساندة في العمل عن فكر وعزيمة (النضال الثوري) ،[٧٧] • يتحدد المشروع التاريخي لابن باديس (بالنهضة) في ثلاث محاور أساسية ز الجزائر ـ الأمة العربية ـ الأمة الاسلامية) فلسفته العامة (التجديد) في العناصر المكونة للشخصية الوطنية والقومية والانسان ذاته واداته خلق الوعي وصولا الى خلق الارادة التي تنهض بمسؤولية تحقيق انهضة ان دراسة حياة ابن باديس وأفكاره ومواقفه كاملة وقياسها الى الزمن الذي عاشه بأحداثه تكشف عن تطور مسار تحقيق هذا المشروع التأريخي • ويمكن تأشير المستويات التالية في ذلك المسار •

أولا ـ نشر التعليم وتكوين النشىء العلمي وهي مهمة استغرقت العشر سنوات بدء من عودته الى قسنطينة حيث حرك هذه المرحلة عقائديا بالدعوة الى الاصلاح والاصلاح هو ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بأزالة ما طرأ عليه من فساد رافعاً شعار (الحق فوق كل احد والوطن قبل كل سيء)[٧٨] •

ثانيا ـ تأسيس جمعية العلماء المسلمين وقد تم تحريك هذه المرحلة عقائدياً بالدعوة الى (العروبة والاسلام والعلم والفضيلة) رافعا شعار (الحق والعدل والمؤاخاة في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات)[٧٩] •

ثالثا ـ حرية الاختيار ومشروعيته ويمكن تمييز هذا المستوى بالمصطلحات الواردة في الخطاب السياسي لابن باديس وللجمعية وهي

---

(٧٧) نفس المصدر : ١/٣٧٠ •
(٧٨) نفس المصدر : ١/٢٣١ مقالة في سنة ١٩٣٠ • والشعار ورد في العدد الاول من المنتقد ١٩٢٥ انظر ١/٢٨١ •
(٧٩) عمار الطالبي : المصدر السابق ٣/٥٥٧ تحديد الاسس التي قامت عليها الجمعية • اما الشعار فقد ورد في مجلة الشباب ١٩٣٦ •

مصطلحات واضحة وصريحه (الأمــة الجزائرية) (الأمــة العربية) (الجنسية القومية • والجنسية السياسية) (الوحدة العربية)[٨٠] وهو تصعيد مقصود يتوازن مع عنف النضال السياسي والفكري ضد الاندماج واليأس الناجم عــن استنزاف الوســائل السلمية في التعامل مع الاحتلال (اليأس الذي يدفعنا الى المغامرة والتضــحية)[٨١] فاليأس موقف ثوري يعبر عن ثوريته فيما يتطلب من الاستعداد للتضحية والاعتماد على النفس وليس موقفا استسلاميا يترك الميدان • لذلك فالموقف من الاحتلال بعــد خيبة الظن ان (لا نعتمد الا على انفســنا ونتوكل على الله ••• وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[٨٢] •

(٨٠) وردت هذه المصطلحات بكثرة في الفترة من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ •
(٨١) نفس المصدر : ٣/٣٦٥ •
(٨٢) نفس المصدر : ٣/٢٨٦ ، ٥٥٩ •

قائمة المصادر :

١ ـ د• تركي رابح •• الشيخ عبدالحميد بن باديس (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٤) •

٢ ـ د• الحسن بوعياد •• الظهير البربري (دار الطباعة الحديثة ، المغرب ، ١٩٧٩) •

٣ ـ د• شارل اندري جونيان •• افريقيا الشمالية تسير (الدار التونسيه للنشر ، ١٩٧٦) •

٤ ـ د• صلاح عقاد •• المغرب العربي (مكتبة الانجلو ـ مصرية ، ١٩١١) •

٥ ـ د• عبدالحميد بن جلون •• هذه مراكش (مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٤٨) •

٦ ـ د• عبدالكريم غلاب •• الثقافة والفكر في مواجهة التحدي (دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٧٦) •

٧ ـ د• علال القاسي •• الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٤٨) •

٨ ـ د• عمار الطالبي : الحميد بن باديس •• الأعمال الكاملة (دار مكتبة الجزائر للتأليف والتوزيع والنشر الجزائر ، ١٩٦٨) •

٩ ـ د• عمر فرولأ •• (د• مصطفى الخالدي) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٣) •

١٠ـ د. فرحات عباس .. ليل الاستعمار ، ترجمة أبو بكر رحال .

١١ـ د. محمد علي داهش .. جمهورية الريف في مراكش ١٩١١ ـ ١٩٢٦ (رسالة ماجستير ، مكتبة معهد الدراسات القومية والاشتراكية ـ الجامعة المستنصرية ـ بغداد) .

١٢ـ د. محمد الميلي .. ابن باديس وعروبة الجزائر (دار العودة ـ دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣) .

١٣ـ د. مصطفى الخالدي (انظر عمر فروخ) .

١٤ـ د. نزار الحديثي .. الأمة العربية والتحدي (بغداد ، ١٩٨٥) .

ملحق العـدد
مقررات قسم التاريخ
جامعة قطـر

توصيف مقررات قسم التاريخ

أ ت ١٠٠

تاريخ العالم العربي الحديث ٣ ساعة مكتسبة

مفهـوم العـالم العربي الحديث ـ الحكم العثماني للعالم العربي ـ الحركات الاستقلالية في العالم العربي ـ الحركات السلفية في العالم العربي ـ الأطماع الاستعمارية الأوربية في العالم العربي .

أ ت ١٠١

تاريخ الدولة العربية الاسلامية ٣ ساعة مكتسبة

أحوال العرب قبل الإسلام ـ السيرة النبوية ـ أثر الاسلام في بلاد العرب ـ الخلافة الصحابية ـ الانتشار الاسلامي ـ النزاع بين علي ومعاوية وقيام الدولة الأموية ـ الأحزاب الدينية في العصر الاموي ـ سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ .

أ ت ٢٠٢

تأريخ الدولة الاموية ٣ ساعة مكتسبة

قيام الدولة الأمويه ـ معاوية بن أبي سفيان وتأسيس الدولة ـ انتقال الخلافة الأموية من الفرع السفياني الى الفرع المرواني ـ التوسع الاسلامي في العصر الأموي ـ الاحزاب السياسيه والدينية في العصر الاموي ـ عمر بن عبدالعزيز ـ نهاية الدولة الأموية .

أ ت ٢٠٠

الحضارة المصرية القديمة — **٢ ساعة مكتسبة**

مصادر تاريخ الحضارة المصرية القديمة ـ مظاهر الحضارة المصرية في دولها المختلفة ـ تطور النظام السياسي ـ الحياة الاقتصادية ـ الحياة الاجتماعية ـ المعتقدات الدينية ـ الثقافة والآداب والعلوم ـ خصائص الحضارة المصرية القديمة وعلاقتها بالشرق الأدنى القديم .

أ ت ٢٠٣

تاريخ أوربا في العصور الوسطى — **٢ ساعة مكتسبة**

مفهوم العصور الوسطى ـ الامبراطورية الرومانية ـ الامبراطورية والمسيحية ـ الصراع المذهبي في داخل الكنيسة المسيحية ـ الغزوات الجرمانية ـ سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية ـ الامبراطورية الرومانيه الشرقية (البيزنطية) ـ شارلمان وامبراطورية الفرنجة ـ نهاية الدولة البيزنطية .

أ ت ٢٠١

حضارات الشرق الادنى القديم — **٣ ساعة مكتسبة**

نشأة الحضارة وشروطها ـ مظاهر الحضارة المصرية من عصر الدولة القديمة الى نهاية العصر البطلمي ـ حضارة بلاد الرافدين في العصور السومرية والسامية ـ حضارة سورية وفلسطين القديمة ـ الآراميون ـ الحضارة الايرانية والأمبراطورية الفارسية .

أ ت ٢٠٧

تاريخ الدولة العباسية — **٣ ساعة مكتسبة**

العصر العباسي الأول : قيام الدولة العباسية ـ موقفها من الأمويين والعلويين ـ العصر العباسي الثاني : امرة الأمراء ـ عصر السيادة التركية ـ

عصر السيادة البويهية ـ عصر السيادة السلجوقية ـ سقوط الدولة العباسية ـ الدول الاسلامية المستقلة في المشرق •

أ ت ٢٠٤

تاريخ أوربا الحديث من النهضة الى الثورة الفرنسية ٢ ساعة مكتسبة

النهضة الأوروبية الحديثة ـ تكوين أوربا في القرن السادس عشر ـ الحروب الايطالية والتوسع القاري ـ الاصلاح الديني ـ الكشوف الجغرافيه والاستعمار ـ عصر لويس الرابع عشر •

أ ت ٢٠٨

تاريخ دويلات المشرق الاسلامي ٣ ساعة مكتسبة

مقدمة عامة ـ ضعف الدولة العباسية ـ الأتراك ، امرة الأمراء ـ الحكم البويهي ـ الحكم السلجوقي ـ الدولة الطاهرية ـ الدولة الصفارية ـ الدولة السامانية ـ الدولة الزيدية ـ الدولة الزيارية ـ الدولة الغزنوية ـ آل بويه ـ آل سلجوق •

أ ت ٢٠٥

تاريخ اليونان القديم ٢ ساعة مكتسبة

الوسط الجغرافي التاريخي في بحر ايجة والبحر المتوسط ـ الاستعمار الاغريقي ما بين القرنين ١٢ ـ ٨ ق•م ـ التنافس الاغريقي الفينيقي في البحر المتوسط ـ الحضارة الاغريقية في العصر الكلاسيكي ـ الحروب الميدية والعلاقات بين الاغريق والفرس ـ النزاع بين اسبارطة وأثينا ـ الاسكندر الأكبر والحضارة الهلينية •

أ ت ٢٠٦

تاريخ الرومان القديم **٢ ساعة مكتسبة**

الوسط الجغرافي التاريخي في البحر المتوسط وأوربا ؛ مصادر التاريخ الروماني ـ العصر الملكي ـ العصر الجمهوري ـ الصراع بين روما وقرطاجة ـ المؤسسات الرومانية وتطورها ـ يوليوس قيصر ـ الامبراطورية ـ التوسع الروماني في الشرق وآثاره الحضارية •

أ ت ٢٠٩

تاريخ جزيرة العرب الحديث والمعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

(ا) قيام المملكة العربية السعودية في القرن العشرين ـ ضم الحجاز ونتائجه ـ النفط وآثاره الاجتماعية والاقتصادية ـ العلاقات الخرجية للمملكة العربية السعودية •

(ب) العزلة اليمنيه في عهد الامام يحيى ـ الصراع على السلطة ـ ثورة ١٩٦٢م ـ الاستعمار البريطاني في الجنوب العربي ـ الحركة الوطنية في الجنوب ـ قيام جمهورية اليمن الشعبية •

أ ت ٢١٠

تاريخ بلاد الشام والعراق الحديث والمعاصر **٣ ساعة مكتسبة**

(أ) الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ـ استقلال سوريا ولبنان ـ عدم استقرار السلطة في سوريا ـ أزمة الحكم في لبنان •

(ب) الانتداب البريطاني في فلسطين ـ الحركة ا طنية الفلسطينية ـ الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨م ـ تطور القضية الفلسطينية •

(ج) الانتداب البريطاني في العراق ـ تطور العلاقات البريطانية العراقية ـ العراق الجمهوري •

أ ت ٣٠١

الطولونيون والاخشيديون والحمدانيون **٢ ساعة مكتسبة**

(أ) الدولة الطولونية : قيام الدولة ـ الحياة السياسية والاجتماعيه والاقتصادية في الدولة ـ علاقتها بالدولة العباسية •

(ب) الدولة الأخشيدية : قيام الدولة ـ حروبها في الشام ـ الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة ـ علاقة الاخشيدية بالحمدانيين •

أ ت ٣٠٤

موضوعات من تاريخ آسيا الحديث والمعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

يختار الأستاذ مجموعة من الدول أو قضية من القضايا المتعلقة بتاريخ آسيا الحديث كالاستعمار أو حركات التحرر ـ أو تطور ايران في العصر الحديث ـ أو تجربة اليابان في نهضتها الوطنية والاقتصادية ـ أو تجربة الصين في ثورتها الاشتراكية •

أ ت ٣٠٢

الحضارة الاسلامية (نظم الحكم والادارة) **٢ ساعة مكتسبة**

الخلافة الاسلاميه وتطورها ـ الوزارة : وزارة التفويض ـ وزارة التنفيذ ـ الامارة العامة والامارة الخاصة ـ القضاء ـ الحسبة ـ الشرطة ـ ديوان المظالم ـ الدواوين الاسلامية ـ الجيش والأسطول •

أ ت ٣٠٣

تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر **٢ ساعة مكتسبة**

الثورة الفرنسية ـ نبليون بونابرت ـ الصراع بين القومية والرجعية في أوربا ـ الوحدة الايطالية ـ الاتحاد الالماني ـ استقلال وحياد بلجيكا ـ

تطور الديمقراطية في بريطانيا ـ المسألة الأيرلندية ـ التنافس الاستعماري الأوربي .

أ ت ٣٠٠

تاريخ الجزيرة العربية القديم **٢ ساعة مكتسبة**

مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم ـ شعوب الجزيرة العربية الأقدمين ـ اللغة العربية ومكانتها بين اللغات السامية ـ الحضارات القديمة في الجزيرة العربية ـ ديلمون ـ اليمن ـ تاريخ اليمن القديم ـ حضارة عرب الهلال الخصيب ـ الأنباط والتدمريون ـ أمارتا الغساسنة والمناذرة ـ عرب الحجاز قبل الاسلام .

أ ت ٣٠٨

تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

ثورة ١٩١٩م في مصر ـ الحركة الوطنية المصرية ـ تطور العلاقات الانجليزية المصرية ـ قضية وحدة وادي النيل ـ التيارات السياسية والفكرية في مصر والسودان .

أ ت ٣١٠

تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

(أ) الاحتلال الايطالي لليبيا ـ المقاومة ـ قضية الوحدة والاستقلال .
(ب) الحركة الوطنية في تونس ـ الاستقلال .
(ج) التيارات الوطنية في الجزائر ـ الثورة الجزائرية الكبرى ـ الجزائر الجمهورية .
(د) المسألة المغربية ـ الحماية الفرنسية ـ الحركة الوطنية ـ الاستقلال .

أ ت ٣٠٩

تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر — ٢ ساعة مكتسبة

التعريف بافريقيا جنوب الصحراء ـ حضارة وتاريخ أفريقيا القديم ـ الاسلام وافريقيا ـ الكشف الجغرافي والاستعمار وعلاقته بأفريقيا ـ تسابق الدول الأوربيه لاستعمار أفريقيا ـ نظم الاستعمار في أفريقيا ـ حركات الاستقلال الافريقية ـ أفريقيا والعالم اليوم ـ قضية الوحدة الافريقية •

ا ت ٣٠٥

الحضارة الاغريقية الرومانية — ٢ ساعة مكتسبة

(أ) مقدمة جغرافية تاريخية عن حوض البحر المتوسط ـ العلاقات بين بحر ايجة وحضارات الشرق الادنى القديم ـ طروادة وحضارة ميكاني ـ ملاحم هو ميروس ـ حضارة بلاد اليونان حتى العصر الكلاسيكي ـ عصر بركليس ـ الاداب الفنون ـ التفاعل بين اليونان والشرق •

(ب) شعوب ايطاليا القديمة ـ الحضارة الاتروسكية ـ أصول الحضارة الرومانية ـ مؤسسات الدولة الرومانية ـ التشريع ـ الجيش ـ اللغة والآداب ـ الفنون ـ العمران ـ روما والشرق العربي •

أ ت ٣٠٦

الفاطميون والايوبيون والمماليك — ٣ ساعة مكتسبة

قيام الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا ـ الدعوة الشيعية ـ التوسع الفاطمي في شمال أفريقيا وصقلية ـ الفاطميون في مصر ـ الحياة السياسيه والفكرية والاقتصادية للفاطميين ـ علاقة الدولة الفاطمية بالدولة العباسية ـ التوسع الفاطمي في الشام والجزيرة العربية ـ نهاية الدولة الفاطمية وقيام الدوة الأيوبية ـ وحدة مصر وسوريا في العصرين الأيوبي والمملوكي ـ الموقف من الحروب الصليبية •

أ ت ٤٠٠

علم التاريخ ومنهج البحث التاريخي **٢ ساعة مكتسبة**

علم التاريخ ـ المواصفات التي يجب أن تتوافر للمؤرخ ـ موقف التاريخ من العلوم الانسانية والتطبيقية والأدبية ـ علم التاريخ والعلوم المساعدة : الآثار ـ الجغرافيا ـ الاجتماع ـ المنطق ـ الفلسفة ـ المسكوكات ـ الجيولوجيا ـ المصادر التاريخية المختلفة ـ كتابة التاريخ ـ مناهج البحث التاريخي •

أ ت ٤٠١

الحضارة الاسلامية (الحياة الفكرية) **٣ ساعة مكتسبة**

مقدمة عامة ـ الثقافات القديمة في البلاد المفتوحة ـ اليونانية والسريانية ومدارسها ـ الفارسية ـ الهندية ـ المسيحية واليهودية ـ التمازج الحضاري : الفكري ـ الاجتماعي ـ حركة الترجمة والنقل ـ المعاهد العلمية ودور الترجمة والنسخ والمكتبات ـ العلوم عند العرب ـ العلوم النقلية ـ العلوم العقلية ـ العلوم الكونية •

أ ت ٤٠٢

تأريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر **٣ ساعة مكتسبة**

الأهمية التاريخية للخليج في العصور الوسطى ـ الزحف البرتغالي ـ التنافس الانجليزي الهولندي ـ السياسة البريطانية في الخليج في القرن التاسع عشر ـ موقف فرنسا ـ سلسنة مسقط ـ قيام النظام التعاهدي في ساحل عمان ـ العثمانيون والخليج ـ نظام المعاهدات المانعة والحماية ـ انسحاب بريطانيا من الخليج ـ استقلال الأمارات العربية ـ النفط والتحديث •

أ ت ٤٠٣

نصوص ووثائق تاريخية **٢ ساعة مكتسبة**

يحدد القسم سنويا النصوص والوثائق التي تطرح للدراسة على أن

تكون الأولوية لنصوص ووثائق بلغة أجنبية .

أ ت ٤٠٦

تاريخ المغرب والاندلس **٣ ساعة مكتسبة**

الفتوح العربية الاسلامية لأفريقيا والمغرب ـ الفتح العربي للأندلس ـ عصر الولاة ـ عصر الامرة ـ عصر الخلافة الأموية بالأندلس ـ الأسرة العامرية ـ السيادة الحمودية الادريسية ـ عصر ملوك الطوائف ـ تدخل المرابطين والموحدين في الاندلس ـ نهاية الحكم الاسلامي في الأندلس .

أ ت ٤٠٧

قضايا اسلامية معاصرة **٢ ساعة مكتسبة**

حركة التوسع والانتشار الاسلامية ـ عوامل التفكك في الدولة الاسلامية ـ عوامل داخليه ـ عوامل خارجية ـ مظاهر اليقظة في العالم الاسلامي ـ الحركات السلفية ـ الجامعة الاسلامية ـ الحركات التحررية ـ الجامعة العربية ـ المؤتمر الاسلامي ـ دراسات موجزة لنماذج من القضايا الاسلامية المعاصرة ـ المسلمون في الفلبين ـ المسلمون في جيبوتيء ـ المسلمون في أرتيريا ـ المسلمون في قبرص ـ بعض قضايا التخلف العامة : الحضارة الاقتصادية والفكرية .

أ ت ٤٠٨

تاريخ أوربا المعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

التكتلات والأحلاف قبل الحرب العالمية الأولى ـ تطور العلاقات الدولية أثناء الحرب ومقررات فرساي ـ الانظمة الجديدة : ثورة ١٩١٧ في روسيا ـ النازية ـ الفاشية ـ الأزمات الدولية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩م ـ تطور العلاقات الدولية أثناء الحرب العالمية الثانية ـ بروز الدولتين العظمين :

الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ـ هيئة الأمم المتحدة ـ مظاهر الحرب الباردة ـ قيام السوق الأوربيه المشتركة ـ عوامل تخفيف التوتر الدولي •

أ ت ٤٠٩

التاريخ الامريكي الحديث والمعاصر **٢ ساعة مكتسبة**

الاكتشاف ـ الاستيطان ـ الثورة الامريكية ـ نظام الحكم ـ نمو الولايات المتحدة العمراني ـ الحركات الاستقلالية في أمريكا اللاتينية ـ مسالة الرقيق والحرب الأهليــة ـ العلاقات الامريكية الاوربية ـ العلاقات الامريكية العربية في مجالات الخدمات والاقتصاد والاستراتيجية •

أ ت ٤١١

علم الآثار **٢ ساعة مكتسبة**

علم الاثار وعلاقته بعلم التاريخ ـ طرق البحث الأثري ـ الحفريات ـ الطبقات الأثرية ـ ترميم الاثار ـ تفسير الأثار ـ حفظ الاثار ـ مشكلات التاريخ •

أ ت ٤١٨

حضارات ما قبل التاريخ **٢ ساعة مكتسبة**

تاريخ ظهور الحياة فوق سطح الكرة الارضية ـ مراحل ظهور الانسان وأماكن تواجده ـ حضارات العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث وعصور استخدام المعادن وأثرها في تطوير المجتمعات •

أ و ٢١٢

علم الكتابة العربية **٣ ساعة مكتسبة**

عرض لمواد وأدوات الكتابة القديمة في الحضارات المختلفة وعند العرب ـ تاريخ الخط العربي وتطوره ـ اللغات التي كتبت بالخط العربي ـ مجالات استخدام الخط العربي في الفنون والزخرفة •

أ و ٢١١

المدخل في الوثائق والمكتبات — **٣ ساعات مكتسبة**

مقدمة ـ تعريف الوثيقة وفقاً للمدارس المتعددة ـ أنواع الوثائق وتقسيماتها ـ أجزاء وصيغ الوثائق ـ البروتوكول الافتتاحي ـ النص ـ البروتوكول الختامي ـ النقد والتحليل ودراسة الوثيقة .

مقدمة ـ تاريخ المكتبات في العالم القديم ـ المكتبات في الاسلام ـ المكتبه والمجتمع ـ مبادىء الاعداد الفني والخدمات المكتبية .

أ و ٣١٣

التصنيف وتطبيقاته — **٢ ساعة مكتسبة**

مقدمة ـ التعريف بالتصنيف ـ مبادىء التصنيف ـ أنواع التصنيف ـ خطة ديوي ـ دراسة تطبيقية للتصنيف .

أ و ٢١٣

الكتاب الاسلامي — **٢ ساعة مكتسبة**

مقدمة ـ الكتاب القديم وتطوره في الحضارات المختلفة ـ المخطوط وتعريفه ـ الكتاب الاسلامي وتاريخ العناية به ـ (تدوينه ـ التصوير ـ التذهيب ـ التجليد) تحقيق المخطوط ونشره ـ مكتبات المخطوطات في العالم الاسلامي ـ ظهور الكتاب المطبوع .

أو ٤١٥

الاجراءات المكتبية — **٢ ساعة مكتسبة**

انشاء المكتبات (المكان ـ الأثاث ـ الأدوات والاجهزة) ـ تزويد المكتبات بالكتب والمراجع والدوريات ـ الاعداد الفني (التسجيل ـ الفهرسه ـ التصنيف والخدمات المكتبية الأخرى) .

أو ٤١٤

البيليوجرافيا ٢ ساعة مكتسبة

تعريف معنى البيليوجرافيا وتأريخها وتطورها ـ البيليوجرافيا العربيه وتاريخها في الاسلام ـ البيليوجرافيا الموضوعية ـ أهمية الخدمات البيليوجرافية ـ دراسات تطبيقية •

أو ٣١١

المراجع العامة ٢ ساعة مكتسبة

مقدمة ـ تعريف المصدر والمرجع ـ طرق الاستخدام ـ الموسوعات دائرة المعارف الاسلامية ـ الموسوعة العربية ـ دائرة معارف الناشئين ـ المعاجم (الألفاظ ـ المعاني) كتب التراجم العامة ـ تراجم الطبقات ـ القرون ـ البيليوجرافيات ـ الدوريات وأنواعها وأهميتها •

أو ٤١٣

الفهرسة الوصفية والموضوعيه ٢ ساعة مكتسبة

مقدمة ـ قواعد الفهرسة ـ الفهرسة الوصفية والموضوعية ـ تطبيقات على قواعد الفهرسة •

أو ٤١٦

قاعة بحث مكتبات (دراسات تطبيقية) ٢ ساعة مكتسبة

دراسات تطبيقية على الخدمات المكتبية والأعداد الفني ـ الفهرسة ـ التصنيف ـ التكشيف ـ الاستخلاص ـ البيليوجرافيات ـ اعداد بحث في موضوع معين عن خدمة البحث •

أو ٣١٤

مكتبات نوعية ٢ ساعة مكتسبة

دور المكتبات في الخدمات المختلفة ـ مكتبات المدارس ـ مكتبات الأطفال ـ مكتبات الاعلام ـ مكتبات الوسائل السمعية والبصرية •

أو ٣١٢

ادارة دور الوثائق ومراكز المعلومات **٢ ساعة مكتسبة**

مقدمة في الادارة ـ دور الوثائق ورسالتها ـ ومراكز المعلومات ـ ادارتها ـ تنظيمها ـ الأجهزة ـ الأدوات ـ مجموعات الوثائق ـ التعاون الدولي والعربي في مجال الوثائق •

أو ٢١٤

التوثيق والاعلام **٤ ساعة مكتسبة**

التعريف بالتوثيق والاعلام ـ مراكز التوثيق ـ أنواعها ـ وخدماتها ـ المشكلات والمتطلبات لاقامة مراكز التوثيق وخدمات المعلومات ـ الاطار العام للمعلومات ـ الذاكرة الخارجية ـ المصادر الوعائية وغير الوعائية ـ الأساليب الفنية في التوثيق والاعلام ـ تكنولوجيا الميكروفيلم ومجالات استخدامه ـ مراحل وضع نظام متكامل للمعلومات •

رمز ورقم المقرر		اسم المقرر	عدد الساعات المكتسبه
أي	٥٦١	قاعة بحث	٢
أي	٥٦٢	ادب فارسي	٢
أي	١٣٣	فن القصة	٢
أي	١٣٤	الأدب المسرحي	٢
أي	١٦٣	التطبيق النحوي	٢
أي	١١٩	مذاهب أدبية وفنية في الأدب العربي المعاصر	٢
أي	٤٢١	أدب أطفال	٢

ثانيا : التخصص الفرعي : الصحافة ٢٥ ـ ٣٠ ساعة مكتسبة •

أي ص	٢٠١	فن الالقاء لاذاعي	٢
أي ص	٢٠٢	الرأي العام	٢

أى‌ص	٢٠٣	تاريخ الصحافة	٢
أى‌ص	٢٠٤	الكتابة الاذاعية	٢
أى‌ص	٢٠٥	المقـال	٢
أى‌ص	٣٠١	الخبر ومصادره	٢
أى‌ص	٣٠٢	التحرير الصحفي (١)	٢
أى‌ص	٣٠٣	الترجمة الصحفية (١)	٢
أى‌ص	٣٠٤	العلاقات العامة	٢
أى‌ص	٣٠٥	التحرير الصحفي (٢)	٢
أى‌ص	٣٠٦	نظريات الاتصال	٢
أى‌ص	٤٠٢	الترجمة الصحفية (٢)	٢
أى‌ص	٤٠٣	تدريب عملي (١)	٢
أى‌ص	٤٠٤	تدريب عملي (٢)	٣
أى‌ص	٤٠٦	الدعاية والاعلام	٢

التخصص الرئيسي : التاريخ **مرجأ التخصص**

التخصص الفــرعي : المكتبات **فيه حاليا**

أولا : التخصص الرئيسي في التاريخ : ٦٥ ساعة مكتسبة :

يختار الطالب ٦٥ ساعة مكتسبة من المقررات الآتية :

رمز ورقم المقرر		اسم المقرر	عدد الساعات المكتسبة
أت	١٠٠	تاريخ العالم العربي الحديث	٣
أت	١٠١	تاريخ الدولة العربية الاسلامية	٣
أت	٢٠٠	الحضارة المصرية القديمة	٢
أت	٢٠١	الشرق الأدنى القديم	٣
أت	٢٠٢	تاريخ الدولة الأموية	٢

رمز ورقم المقرر	اسم المقرر	عدد الساعات المكتسبة
أت ٢٠٣	أوربا في العصور الوسطى	٢
أت ٢٠٤	أوربا من النهضة حتى الثورة الفرنسية	٢
أت ٢٠٥	تاريخ اليونان القديم	٢
أت ٢٠٦	تاريخ الرومان القديم	٢
أت ٢٠٧	تاريخ الدولة العباسية	٣
أت ٢٠٨	دويلات المشرق الاسلامي	٣
أت ٢٠٩	تاريخ جزيرة العرب الحديث والمعاصر	٢
أت ٢١٠	تاريخ بلاد الشام والعراق الحديث المعاصر	٢
أت ٣٠٠	تاريخ الجزيرة العربية القديم	٢
أت ٣٠١	الطولونيون والأخشيديون والحمدانيون	٢
أت ٣٠٢	الحضارة الاسلامية (نظم الحكم)	٢
أت ٣٠٣	أوربا في القرن التاسع عشر	٢
أت ٣٠٤	موضوعات من تاريخ آسيا الحديث والمعاصر	٢
أت ٣٠٥	الحضارة الاغريقية والرومانية	٢
أت ٣٠٦	الفاطميون والأيوبيون والمماليك	٣
أت ٣٠٨	تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر	٢
أت ٣٠٩	تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر	٢
أت ٣١٠	تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر	٢
أت ٤٠٠	علم التاريخ ومنهج البحث التاريخي	٢
أت ٤٠١	الحضارة الاسلامية (الحياة الفكرية)	٢
أت ٤٠٢	تاريخ الخليج العربي المعاصر	٢
أت ٤٠٣	نصوص ووثائق تاريخية	٢
أت ٤٠٦	تاريخ المغرب والأندلس	٣

أت	٤٠٧	قضايا اسلامية معاصرة	٢
أت	٤٠٨	تاريخ أوربا المعاصر	٢
أت	٤٠٩	التاريخ الأمريكي المعاصر	٢
أت	٤١٠	التاريخ الاقتصادي	٢
أت	٤١١	علم الآثار	٢
أت	٤١٨	حضارات ما قبل التاريخ	٢

ثانيا : التخصص الفرعي : مكتبات ٢٥ ساعة مكتسبة .

المقررات الاجبارية :

أو	٢١١	المدخل في الوثائق العربية	٣
أو	٢١٢	علم الكتابة العربية	٢
أو	٢١٣	الكتاب الاسلامي	٢

رمز ورقم المقرر		اسم المقرر	عدد الساعات المكتسبة
أو	٢١٤	التوثيق والاعلام	٢
أو	٣١١	المراجع العامة	٢
أو	٣١٢	ادارة دور الوثائق ومراكز المعلومات	٢
أو	٣١٣	التصنيف وتطبيقاته	٢
أو	٣١٤	مكتبات نوعية	٢
أو	٤١٣	الفهرسة الوصفية والموضوعية	٢
أو	٤١٤	بيليوجرافيا	٢
أو	٤١٥	اجراءات مكتبية	٢
أو	٤١٦	قاعة بحث (مكتبات)	٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٣٦ لسنة ١٩٨٨

سعر النسخة ١٥ دينارا

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان